الحصون المنيعة

في

براءة عائشة الصدّيقة باتفاق أهل السنّة والشيعة

تأليف

الشيخ محمد عارف بن أحمد بن سعيد

المنير الحسيني الدمشقي

المتوفى ١٣٤٢هـ

تحقيق

السيد يوسف أحمد

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@alilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@alilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين.

وقد جعل الله أمته خير أمة أخرجت للناس، وذلك في قوله تعالى:﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾؛ ولذا وجب عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلك من سماتها في قوله تعالى:﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾، وقد حمل الصحابة الكرام أمانة التبليغ بعد النبي ﷺ؛ فنشروا دين الله في مشارق الأرض ومغاربها، ووضعوا قواعد الإسلام، واعتمدوا في ذلك على كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ.

وكان لآل بيت النبوة الدور المهم في إرساء دعائم الإسلام، وخاصة قواعد الفقه وأصول الدين، لما اعتمد عليهم في بيان أحكام كثيرة قد لا تكون ظاهرةً للعيان؛ فكان الاعتماد على آل البيت في ذلك مثل:أحكام الطهارة و الاغتسال وغير ذلك.

وكان لأزواجه الطاهرات الركن المهم في بيان هذه الأحكام، وعلى رأس أزواجه أم المؤمنين الصديقة الطاهرة بنت الصديق "عائشة بنت أبي بكر الصديق"؛ لمكانتها من رسول الله ﷺ وفقهها وعلمها، وذلك لتزوجها من رسول الله ﷺ وهي جارية صغيرة، وذلك فيما رواه البخاري:"تزوج النبي ﷺ عائشة، وهي ابنة ست، وبنى بها وهي ابنة تسع، ومكثت عنده تسعًا". (انظر: البخاري (٥١٥٨) في النكاح).

وقال المزي في تهذيب الكمال(٢٢٧/٣٥):"تزوجها رسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة بسنتين في قول أبي عبيدة، وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بسنة ونصف، أو نحو ذلك، وهي بنت ست سنين، وبنى بها بالمدينة بعد منصرفه من وقعة بدر في شوال سنة اثنتين من الهجرة وهي بنت تسع سنين، وقيل: بنى بها في شوال على رأس ثمانية عشر شهرًا من مهاجره إلى المدينة، ومناقبها وفضائلها كثيرة جدًّا (رضي الله عنها).

وتوفيت في شوال سنة (٥٨) وصلى عليها أبو هريرة، وقيل: توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة (٥٨)، وأمرت أن تدفن ليلاً، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة.

وقال الذهبي في سير الأعلام (١٣٥/٢):"بنت الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية التيمية المكية النبوية، أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ أفقه نساء الأمة على الإطلاق.

هاجر بها أبوها، وتزوجها النبي قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وقيل: بعامين، ودخل بها في شوال سنة اثنين منصرفه ﷺ من غزوة بدر وهي ابنة تسع، فما تزوج بكراً سواها، وأحبها حباً شديداً كان يتظاهر به.

وقد حاولت بعض طوائف من الشيعة سحب هذه الفضائل من أم المؤمنين، وذلك لما كان من موقفها في: وقعة الجمل ضد أمير المؤمنين علي بن طالب أبي طالب رضي الله عنه والتي ندمت عليها عائشة(رضي الله عنها)، وأما ما كان من الحروب في ذلك الوقت فقال النووي: "كانت لكل طائفة شهية اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم عدول رضي الله عنهم ، ومتأولون في حروبهم، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة، لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها،ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم، واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة؛ فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم، ولم يقتنع بعض طوائف الشيعة بهذا التحقيق والتفسير من الأئمة الكبار العلماء، وحركتهم مشاعر العداوة لأم المؤمنين (رضي الله عنها).

واعتمدوا على بعض الأقوال الواهية، والتفاسير الضعيفة في اتهام أم المؤمنين في حادث الإفك، وبأنها هي التي أفكت على السيدة مارية القبطية، واتهمتها في خادم لها كما هو موضح في سياق الكتاب وهذا من اختلاط الأمور عندهم بدعم من مشاعر البغض والعداء للصديقة بنت الصديق(رضي الله عنها).

ولم يقف الأمر عند أم المؤمنين عائشة، بل تعدى ذلك إلى كبار الصحابة وتكفيرهم، وقد حذر النبي ﷺ من سب الصحابة فقال ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه".

وفي ذلك يقول النووي:" اعلم أن سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون كما أوضحنا، قال القاضي:" وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يُقتل... انتهى.

تعريف الشيعة:

هم الذين شايعوا علياً ﷺ وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو تبقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين الذي لا يجوز للرسل(عليهم السلام) إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة.

ظهور التشيع:

يبدوا أن التشيع ظهر في حياة النبي ﷺ، وكنتيجة لأحاديث منسوبة إليه ﷺ منها: "من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره،واخذل من خذله، وأدر الحق معه كيفما دار"، وقوله: " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"، وغيرها من الأحاديث، وكانت لعلي جماعته هي أول فرقة من الشيعة منهم: المقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر.

ويفرق المؤرخون بين هذا التشيع الذي ظهر مبكراً، واشتد أثناء فتنة عثمان، وخروج عليّ بعد ذلك لقتال طلحة والزبير وعائشة، وبعد مقتل عليّ، واستفحل بعد مقتل الحسين، وبين التشيع الاصطلاحي الذي تطور، وصار مذهباً له أصوله وقواعده؛ كالقول بوجوب الإمامة وعصمة الإمام والتقية.

والنظريات في أصول التشيع كثيرة، ومعظمها وضعها المستشرقون، وقد ردوه في قول إلى الروح الفارسية الآريه وقالوا:" إن الشيعة فرقة فارسية، وجعلوا التشيع على أصول من عقائدهم في ملوكهم،... الخ".

ومن النظريات في التشيع أنه من تأثير اليهودية، وكما قيل: الشيعة يهود المسلمين، وقالوا مقالة اليهود فلا ملك إلا في آل البيت، كما قالت اليهود: لا ملك إلا في آل داود، ولا جهاد إلا بعد مجيء المهدى، كما قالت اليهود: لا جهاد حتى يجئ المسيح المنتظر[1].

مصادر التشريع الإسلامي:

وبعد؛ فإن الإسلام قام على دعائم أساسية وهي: التمســك بالكتاب والعمل بالسنة النبوية، وهما ركنا الدين، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة الذين تمسكوا بعروة الإسلام، ويتبعون السلف من الصحابة والتابعين، وعلى رأسهم الأئمة الأربعة ولا خلاف بين هؤلاء الأئمة في الاعتقادات، وكلهم متفقون إلا ما كان من اختلاف في الأحكام العملية الفقهية التي

(١) انظر موسوعة الفرق والجماعات الإسلامية (ص٢٦٥-٢٦٧).

ليس عليها دليل قاطع من نص أو إجماع واختلافهم لا يوجب التكفير

وأهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية الذين عناهم الرسول ﷺ لما سُئل عنهم فقال:" الجماعة"، وقال:" ما أنا عليه وأصحابي".

فنسأل الله أن يجعلنا ممن يتمسك بالكتاب والسنة والمتبعين للجماعة آمين

التعريف بالمصنف:

قال في معجم المؤلفين(١٠/١٠٤): محمد عارف بن أحمد بن سعيد الدمشقي الشافعي الشهير بالمنير، فقيه مشارك في بعض العلوم، ولد وتوفي بدمشق (١٢٦٤-١٣٤٢).

ومن مؤلفاته: " أسمى المراتب في العقل والعلم والأدب"، "حسن الابتهاج بالإسراء والمعراج"،"الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة"،"الامتنان بتكذيب المفتري على القرآن"، "مرشد الطلاب إلى أركان الإعراب".

وقال في الأعلام للزركلي(٦/١٨٠): محمد عارف بن أحمد بن سعيد المنير الحسيني الدمشقي، فاضل من فقهاء الشافعية، مولده ووفاته في دمشق، له رسائل منها::" أسمى المراتب في العقل والعلم والأدب"، "حسن الابتهاج بالإسراء والمعراج"، "الاعتماد في الجهاد"، "أقرب القرب في تفريج الكرب"،"الامتنان بتكذيب المفتري على القران"، "الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة"، "هدي أهل الإيمان"، "رفع الإعراب عن كنية الإعراب"، وهو أخو محمد صالح، كانا توأمين وعاشا على غير وفاق[1].

وقد قام(رحمه الله) بعرض حادث الإفك مع تفنيد آراء الشيعة، وبيان خطأ ما وقعوا فيه من إلصاق تهمة الإفك إلى أم المؤمنين عائشة، وأنها أفكت على السيدة مارية القبطية، واتهمتها في خادمها، وذلك في ولد النبي ﷺ إبراهيم ﷺ، وكما جاء في سياق الكتاب.

المخطوط:

في دار الكتب المصرية تحت رمز أدب(٤٠٤٠) في(١٣٩)ورقة، وبخط واضح قام فيه المصنف بتقسيمه إلى: مقدمة واثنين وعشرين باباً وخاتمة.

خطة العمل بالكتاب:

١- تفسير آيات القرآن من مصادر أهل السنة وخاصة تفسير ابن كثير.

---

(١) انظر ترجمته: "إيضاح المكنون" للبغدادي (١/٨١)، "الأعلام" للزركلي(٦/١٨٠)، "الأعلام الشرقية" (٢/١١٧)، "تراجم أعيان دمشق"(٨)، "معجم المطبوعات"(١٢٥٨-١٢٥٩)، "منتجات التواريخ لدمشق"(٢/٧٥٦-٧٥٩)، "معجم المؤلفين"(١٠/١٠٤).

٢-تخريج الأحاديث من كتب الصحاح والسنن.

٣- ترجمة للرجال الواردة.

٤- الاستعانة بآراء فقهاء الإسلام، والعلماء الكبار منهم: الإمام النووي، وغيره.

٥- التحقيق من بعض الكتب الموضحة للفرق والجماعات الإسلامية.

خاتمة المقدمة:

وبعد؛ فإني أقدم هذا الكتاب راجياً من الأخوة القراء التوجيه والإرشاد مما كان منا من التقصير، فالكمال لله وحده، فالرجاء تقديم النصح لنا فما زلنا نتعلم منكم، ولابد أن يستمر المسلم في التعليم إلى أن يلقى الله ﷻ، سائلاً المولى جل وعلا أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا إنه نعم المولى ونعم المصير، وأهدي هذا العمل إلى روح والديّ - رحمهما الله -مردداً قوله تعالى:﴿ **رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾، وإلى شريكة الحياة- أم أولادي-بارك الله فيها ونفعنا وإياها بما علمنا، ولفلذات الأكباد ابنتنا "رنا" وأخويها "أحمد" و"محمد" داعياً المولى أن يكونوا بكتابه متمسكين، ولسنة نبـــيه ﷺ متبعين.

﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾

المحقق

السيد يوسف أحمد

في يوم الخميس الموافق ٢٩ من صفر سنة ١٤٢٤هـــ-

الموافق الأول من مايو سنة ٢٠٠٣م

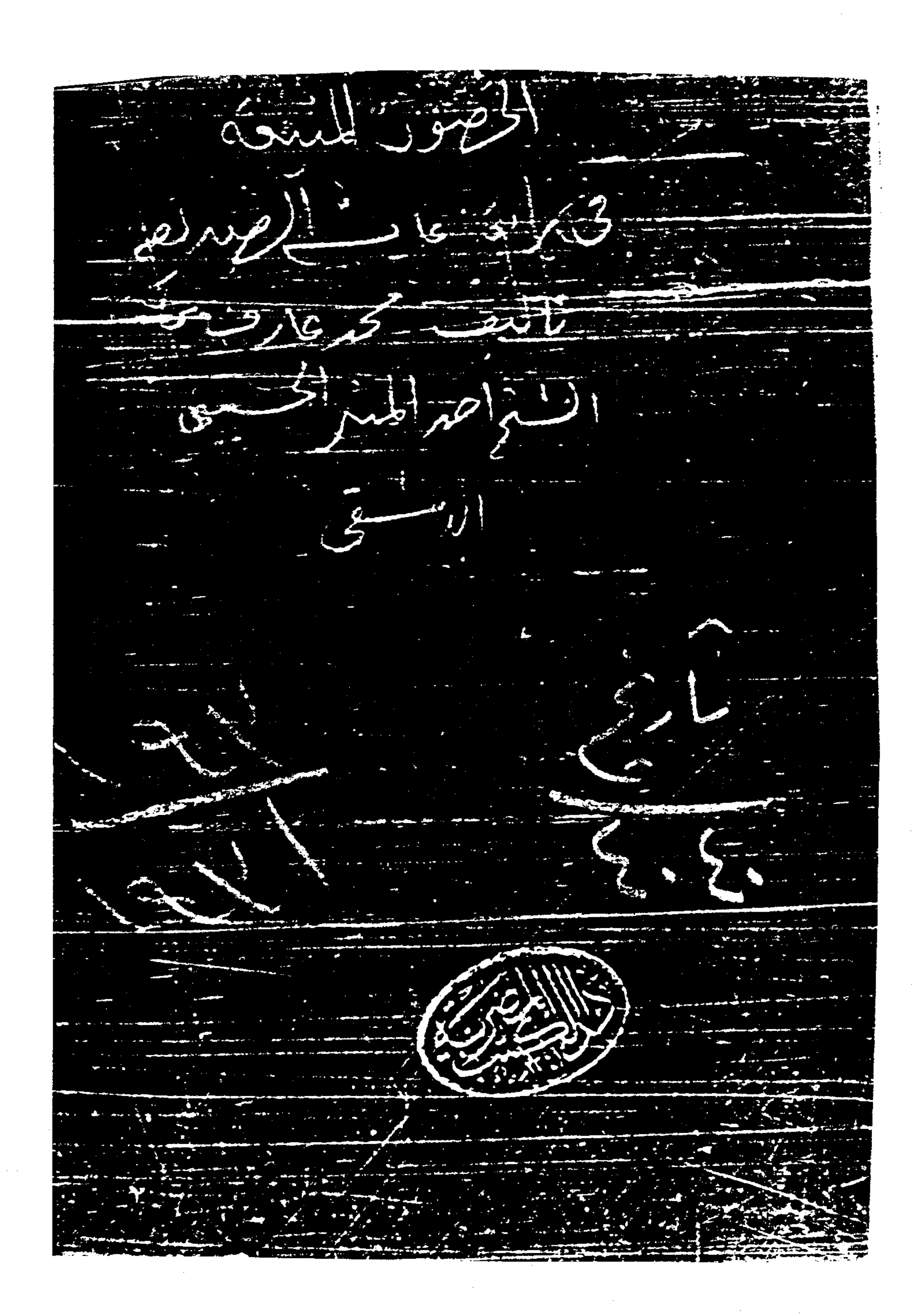

الحصون المنيعة

تأليف محمد عارف بن

الشيخ أحمد المنير الحسيني

الدمشقي

صورة عنوان المخطوط

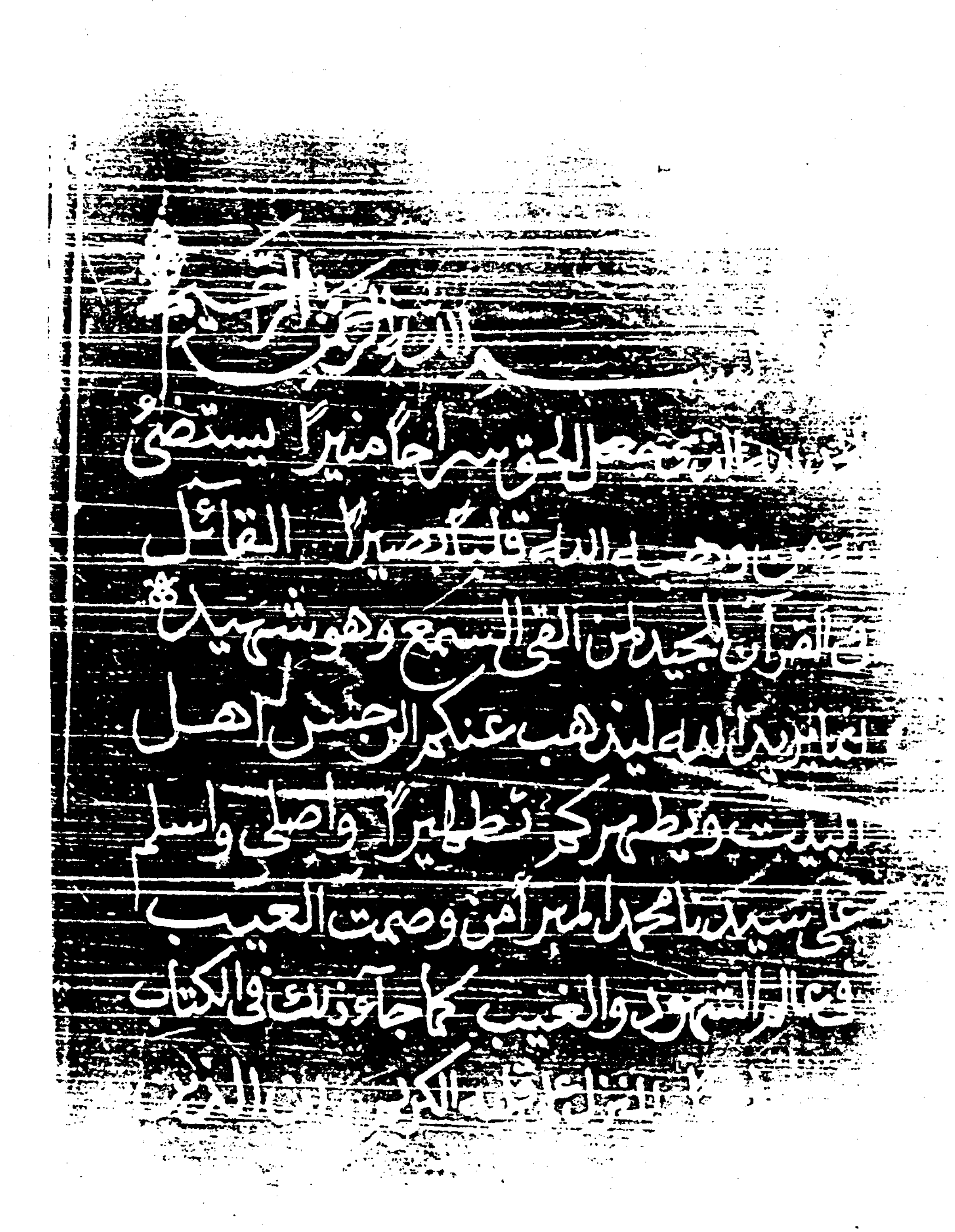

بسم الله الرحمن الرحيم
[illegible] جعل الجوهرة سراجا منيرا يستضي
[illegible] الله قابلا بصيرا القائل
[illegible] المجيد لمن ألقى السمع وهو شهيد
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ويطهركم تطهيرا وأصلي وأسلم
على سيدنا محمد المبرأ من وصمة العيب
في عالم الشهود والغيب كما جاء ذلك في الكتاب
[illegible] الكريم [illegible]

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

احرر رسالة اخرى بعد انتهاء كتابي التدقيق
في الرد على التحقيق في مسئلة الرفيق الذي لم
يتم بعد ابين فيها براءة الصديق الاكبر رضي الله
تعالى عنه مما نسبه اليه اعداؤه الشيعة كونه
اعتقد بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
انه ساحر في تفسير قوله تعالى ثاني اثنين
اذ هما في الغار) تم الكتاب بعون الملك
الوهاب
وصلى الله تعالى على
سيدنا واسعدنا
وسندنا محمد
واخوانه وآله
وصحبه وسلم
الى يوم

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

الحصون المنيعة

في

براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة

تأليف

الشيخ محمد عارف بن أحمد بن سعيد

المنير الحسيني الدمشقي

المتوفى ١٣٤٢ هـ

تحقيق

السيد يوسف أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحق سراجًا منيرًا، يستضيء به من وهبه الله قلبًا بصيرًا، القائل في القرآن المجيد، لمن ألقى السمع وهو شهيد:﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(١)، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، المبرأ من وصمة العيب في عالم الشهود والغيب، كما جاء ذلك في الكتاب مسطورًا، المنزل على قلبه الكريم:﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(٢).

وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، وعلى آله الطاهرين وصـــحابته وأزواجه وذرياته وقرابته، سيما السيدة عائشة الصديقة(٣) التي لم يكن لها غير الله نصيرًا.

ما تعاقب الملوان وأشرق النيران، وزدنا اللهم بالصلاة عليه أجورًا، واجعل ذنبنا بها مغفورًا، وعيبنا مستورًا، وسعينا مشكورًا. آمين يارب العالمين.

أما بعد: فيقول العبد الواله في حب النبي ﷺ محمد عارف ابن المرحوم الشيخ أحمد المنير الحسيني الدمشقي(٤).

---

(١) سورة الأحزاب (٣٣). قال ابن كثير في تفسيره(٣/٤٩٩): نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة، وهكذا روى أبو حاتم قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.

(٢) سورة النور(١١). هذه العشر آيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه؛ فأنزل الله تعال براءتها صيانة لعرض رسول الله ﷺ فقال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ**﴾.

تفسير ابن كثير(٣/٢٨٠).

(٣) عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق التيمية، أم عبد الله، فقيهة نساء الأمة، دخل بها النبي ﷺ في شوال بعد بدر، ولها من العمر تسع سنين، وروى عنها جماعة من الصحابة، والأسود ومسروق وابن المسيب وعروة وقاسم والشعبي ومجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكه ومعاذة العدوية وعمرة الأنصارية ونافع مولى ابن عمر، وخلق كثير.

قال رسول الله ﷺ:"فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام". تاريخ الإسلام/ وفيات سنة(٥١-٦٠).

(٤) محمد عارف بن أحمد بن سعيد، المنير الدمشقي. ترجمته: انظر الأعلام للزركلي(٦/١٨٠). معجم المؤلفين(١٠/١١٤).

الذي أسبغ الله تعالى عليه من فضله الوارف أحسن الله لهما، ورضي الله بكرمه عنهما، وأسكنهما جنته، ورزقهما بجاه النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم). شفاعته وحماهما مما يشينهما يوم الحساب؛ فإنه عز شأنه إليه المرجع والمآب. إنني منذ ميزت بين المعرفة والجهالة، وفرقت الهدى عن الضلال، وتشرقت في سلك الحفاظ، وصرت أفهم معاني الألفاظ، وقرأت آية الإفك مع الفهم، وسألت عنها أولي العلم، وأعتقد كما يعتقدون أن الشيعة[١] به يقولون، مصرين إلى الآن، وإن خالفت صريح القرآن، ثم اجتمعت في ربيع الثاني من هذه السنة سنة تسع وثلاث مائة وألف بأحد الشيعة وقد كان يظهر التبرؤ منهم، والتمذهـــب بمذهب أهـــل السنة[٢]؛ فسألته عن اعتقادهم بالإفك، وعما يقولون بما جاءنا فيه في كريم القرآن. فقال: لا تصدق، إنهم يعتقدون الإفك في عائشة (رضي الله عنها) في زمن من الأزمان كما هو الشائع عنهم؛ فلم أصدقه ظنًا مني أن ذلك الإنكار جهلاً منه أو تقية منهم، ثم في منتصف جمادى الأول من هذه السنة أيضًا وقعت على تفسير المسمى "بالصافى"[٣] في تفاسير الشيعة المطبوع عند بعض أصحابي، ففتحته، فوجدت مسألة الإفك كما قال ذلك المسئول، لايعتقدون صحتها لا كما هو عنهم مشهور ومنقول؛ فطلبت إعادة ذلك التفسير المذكور لأحرر رسالةً تبين أن براءة السيدة عائشة الصديقة[٤] مقررة باتفاقهم أيضًا كما في الكتاب مسطور، لكن بعضهم فيه مخالف لبعض؛ ففرقت ووافقت أهل السنة في أن قصة الإفك وقعت على السيدة عائشة البريئة، وأخرى خالفتها وقالت: إنما وقعت على السيدة

(١) الشيعة هم الذين شايعوا عليًا رضي الله عنه وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصيةً، إما جليًا وإما خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو تقية من عنده وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين الذي لايجوز للرسل (عليهم السلام) إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة.

(٢) قَسَّمَ الشهرستاني الشيعة إلى خمس فرق هي: الكيسانية والزيدية والإمامية والغلاة والإسماعيلية، وهم عند الأشعري: الشيعة الغالية، وهم خمس عشرة فرقة، والشيعة الإمامية وهم الرافضة، وهم أربع وعشرون فرقة، والشيعة الزيدية وهم ست فرق، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص على الإمام، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر.

(٣) الصافي في تفسير القرآن، تأليف: محسن بن محمد بن مرتضى بن محمود الكاشي الملقب بفيضي، والمتوفى سنة (١٠٩١).

(٤) من فضائل عائشة روى البخاري في صحيحه (٣٧٧٠)، ٦٢كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٣١باب فضل عائشة (رضي الله عنها) عن أنس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام". ورواه مسلم في صحيحه[٨٩-(٢٤٤٦)]كتاب فضائل الصحابة، ١٣باب في فضائل عائشة (رضي الله تعالى عنها).

مارية القبطية[١]؛ فأبى أن يعيرني إياه إلا بإذن صاحبه[٢]؛ فذهبت مرارًا إلى صاحبه ورجوت إعارته من جانبه فلم يقبل، وهو عنه في غنية وعدم حاجة، ثم توافقنا معه أن أنقل منه ما أحتاج إليه عنده بعد كثرة اللجاجة؛ فذهبت لذلك مرات، ونقلت منه بعض ورقات، ثم لما رأى أن في ذلك تعبًا شديدًا سمح لي باستعارته أربع ليالٍ تحديدًا، فشكرت يده على هذه النعمة بعد تحميل تلك الرحمة، وتركت ما كنت مشتغلاً بإتـــمام تأليفه من كتابي الذي سميته" التدقـــيق في الرد على التحـــقيق"[٣]، وشرعت بتأليف هذا الكتاب مستمدًا من فيوضات روحانية رفيع الجنان أمطر اللهم عليه سحائب شرائف صلواتك، وعلى آله الكرام مع مزن لطائف تسليماتك وذلك في ليلة الجمعة الحادي والعشرين من ذي الحجة الحرام، خـــتام ذلك العام وسمـــيته:"الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة، باتفاق أهل السنة والشيعة"[٤]، وأرجو منه تعالى أن يجعله لي ذخرًا يوم الدين، وفخرًا يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم جعلته هدية إلى (سده) [٥] مليك أهل السنة والجماعة، ومن يجب له على كل المسلمين الخضوع والطاعة.

المحامي عن شريعة سيد العالمين، والذاب عن حمى آله الطاهرين خادم بيت الله الحرام،

---

(١) مارية أم إبراهيم القبطية، وكان المقوقس صاحب الإسكندرية قد أهداها إلى النبي ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ قد بعث إليه الكتاب مع حاطب بن أبي بلتعة، فقبل المقوقس الكتاب، وأكرم حاطبًا وأحسن نزله، وأهدى معه إلى النبي ﷺ بغلة وكسوة وجاريتين، إحداهما أم إبراهيم وهي السيدة مارية القبطية، والأخرى وهبها النبي ﷺ لجهم بن قثم العبدي، وفي رواية أخرى ثلاث جواري أهدى الثالثة لحسان بن ثابت.

الذهبي في تاريخ الإسلام الجزء الأول ذكر رسل النبي ﷺ.

(٢) النظريات في أصل التشيع كثيرة، ومعظمها وضعه المستشرقون، وقد ردوه في قول إلى الروح الفارسية الآرية، وقالوا: إن الشيعة فرقة فارسية، وجعلوا التشيع على أصول من عقائدهم في ملوكهم، فقد كانوا يقولون بـــأنهم ينحدرون من الآلهة، وأن النور الإلهي ينتقل في أصلاب العائلات المصطفاة، وهناك نظريات في التشيع بأنه من تأثير اليهودية، وكما قيل الشيعة يهود المسلمين.

انظر الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية(صـــ٢٦٦).

(٣) للمصنف مؤلفات أخرى منها:كتاب" مصادر الفضائل"، وكتاب"حسن الابتهاج بالإسراء والمعراج". انظر: إيضاح المكنون للبغدادي (١/٤٠٧).

(٤) أهل السنة هم الذين عناهم الرسول ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية فقال:"الجماعة، وقال: ما أنا عليه وأصحابي"؛ فكانت تسميتهم أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث.

موسوعة الفرق والجماعات(صــ٧٥).

(٥) كلمة غير واضحة بالأصل.

والمتشرف بالانتماء إلى رحاب سيد الأنام، سلطاننا الأعز الذي رفع الله تعالى به منار هذا الدين المحمدي، وأعز الحائز شفاعته، الصادق الأمين البار بحبيبته عائشة أم المؤمنين كم أمرنا أن نأخذ عنها شطر الدين التي برأها الله تعالى بصريح القرآن المبين المشمول باكسير إنطاء)(*) الصديق الأكبر(١)، أن وفق الله تعالى بعض عبيده لاستنتاج مثل هذا الكبريت الأحمر الذي فيه الأجر العظيم والنفع العزيز العميم، وسرور الموحدين، وكبح الملحدين، إن شاء الله تعالى أيام خلافته، وإشراق ضياء عدالته مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان، ابن مولانا المرحوم السلطان الغازي عبد الحميد خان، فانفرد بإبداع هذا التأليف زمانه، وفاز بالحصول على مثله أوانه نتيجة انطباع ما فطر عليه من حب الحبيب الأعظم لما قابل مرآة طالع سعده الأتم.

حفظه الله تعالى وآله الكرام في دينهم ونفسهم وسلطانهم على الدوام بحرمة سيد الأنام (عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام) ثم إني أقول تحدثا بنعمة الله ﷻ قد انتهى تأليف هذا الكتاب في أقل من ثمانية عشر يومًا(٢). فله مزيد الفضل، إلا أنني وشجته بعد ذلك بدرر فوائد، ومنطقته بغرر زوائد، دعت المناسبة إليها والحاجة للوقوف عليها، وقد رتبته على مقدمة، واثنين وعشرين بابًا، وخاتمة. آمين.

المقدمة

في بيان معنى الإفك لغة واصطلاحاً

أما لغةً فقد جاء في القاموس: أفك كضرب وعلم. إفكا:بالكسر، والفتح، والتحريك، وأفوكًا: كذب(٣).، وقال ابن عباس ﷺ:﴿جَاءُواْ بِالإِفْكِ﴾. تكلمواْ في الكذب، وقال

(*) كذلك بالأصل.

(١) هو عملاق الإسلام أبو بكر الصديق ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، روى البخاري في صحيحه (٣٦٥٦) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٥-باب قول النبي ﷺ:"لو كنت متخذًا خليلاً "، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ:"لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي".

(٢) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام، عن عائشة (ﷺ) قالت:"لقد تحدث بأمري في الإفك واستفيض فيه، وما أشعر، وجاء رسول الله ﷺ ومعه أناس من أصحابه، فسألواْ جاريةً لي سوداء كانت تخدمني فقالواْ: أخبرينا ما علمك بعائشة؟ فقالت: والله ما أعلم منها شيئًا أعيب من أنها ترقد ضحي حتى إن الداجن داجن أهل البيت تأكل خميرها، فأداروها وسألوها حتى فطنت، فقالت: سبحان الله، والذي نفسي بيده ما أعلم على عائشة إلاَّ ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر، قالت: فكان هذا وما شعرت. تاريخ الإسلام للذهبي. حديث الإفك سنة (٥هـ).

(٣) أفك(فلانا) أفكاً، وأفكاً: كذب عليه وخدعه، والأمر على وجهه:كذب،فهو آفك، وأفيك، =

الإمام الرازي: والإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل:هو البهتان[١]، وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفجأك، وأصله الأفك، وهو القلب؛ لأنه قول مأفوك عن وجهه،وقال الجلال المحلي:الإفك أسوأ الكذب، وعبارة الزمخشري[٢] كالرازي، وكذا البيضاوي.

وقال السيد صديق بن حسين في تفسيره الذي سماه"فتح البيان في مقاص القرآن": الإفك: أسوأ الكذب، وأفحشه وأقبحه، وهو مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه؛ فالإفك وهو الحديث المقلوب لكونه مصروفاً عن الحق، وقيل البهتان.

وقال الصافي- وهو التفسير المذكور- وإسناد القول إليه هنا، وفيما سيأتي مجاز:بالإفك بأبلغ ما يكون من الكذب.

وأما اصطلاحاً: فهو الفرية التي افتروها على السيدة عائشة الصديقة أم المؤمنين وحبيبته[٣]، وزوج حبيب رب العالمين، وابنة صاحبه في الغار الصديق الأكبر[٤](رضي الله تعالى عنهما) مع سيدنا صفوان بن المعطل السلمي الذكواني.

=

المؤتفكات:الرياح تختلف مهابُّها: ومدائن قوم لوط التي قلبها الله على قومه.

(١) البهت والبهتان: الكذب المفترى، وفي القرآن الكريم﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾.

(٢) كان الزمخشري من المعتزلة، ويطلق عليهم العدلية لأنهم قالوا: إن الله عادل، ومنزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم لكان ظالماً،كما لو خلق العدل كان عادلاً، والله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد.

وهم قادرون خالقون لأفعالهم خيرها وشرها، ومستحقون على ما يفعلونه ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة، وسموا هذا النمط عدلاً.

انظر: موسوعة الفرق والجماعات(ص٢٩٢).

(٣) روي البخاري في صحيحه (٤٧٥٣) كتاب تفسير القرآن،٩- باب﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾،من حديث ابن أبي مليكه، قال: استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة،قالت: أخشى أن يثني على فضل ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت:ائذنوا له فقال:كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت الله قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكراً غيرك،ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلفه؛ فقالت: دخل ابن عباس فأثنى علي، وددت أني كنت نسيا منسيا.

(٤) قال في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي: سماه النبي ﷺ صديقاً، فقال: "يكون بعدي اثنا عشر خليفة أبو بكر لا يلبث إلا قليلاً ، وكان علي بن أبي طالب يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء: الصديق، وقيل: سمي الصديق يوم أخبر النبي ﷺ بالإسراء؛ فكذبته قريش وصدقه أبو بك.

انظر: مختصر كتاب الموافقة وهامشة (ص٢١) من تحقيقنا (طبعة دار الكتب العلمية).

قال ابن عباس (رضي الله تعالى عنهما): نزلت فيما قالوا على عائشة من الفرية،وقال الرازي: وأجمع المسلمون على أن المـــراد ما أفك به على عائشـــة[١]، وقال الجلال المحلي: أسوأ الكذب على عائشة أم المؤمنين، قذفها، وقال الزمخشري[٢] في الكشاف: والمراد ما أفك به على عائشة- (ضي الله تعالى عنها) وكذا البيضاوي في تفسيره:"أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، وقال المفتي أبو السعود في تفسيره:" والمراد به ما أفك به الصديقة أم المؤمنين"، المراد بما في الآية، ما وقع من الإفك على عائشة أم المؤمنين.

وقال الصافي في الجوامع: وكان سبب الإفك أن عائشة ضاع عقدها[٣].

ثم قال كذا رواه الزهري[٤] عن عائشة.

---

(١) نزلت آيات الإفك في شأن عائشة أم المؤمنين (ﷺ) حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله لها ولنبيه (صلوات الله وسلامه عليه) فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله ﷺ؛ فقال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ**﴾ تفسير ابن كثير(٣/٢٧٦).

(٢) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الخوارزمي النحوي، كان علامة وبرع في الأدب وصنف التصانيف، وله كتاب الفائق في غريب الحديث، وربيع الأبرار، وأساس البلاغة، ومشتبه أسامي الرواة، وكتاب النصائح والمنهاج في الأصول، وضالة الناشد، توفي سنة (٥٣٨).

ترجمته: الأنساب (٦/٢٩٧)، نزهة الألباب(٣٩١،٣٩٣)، المنظم(١٠/١١٢)،معجم البلدان(٣/ ١٤٧)، معجم الأدباء(١٩/١٢٦-١٥٣)، الكامل(١١/٩٧)، إنباه الرواة(٣/٢٦٥)، وفيات الأعيان (٥/١٦٨،١٧٤)، ميزان الاعتدال(٤/٧٨)،العبر(٤/١٠٦)، الجواهر المضية (٢/١٦٠،١٦١)، لسان الميزان(٦/٤)، والنجوم الزاهرة(٥/٢٤٧).

(٣) روى البخاري في صحيحه (٤١٤١)كتاب المغازي ٣٦-باب حديث الإفك، عن عائشة في حديث طويل وفيه: لما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، قالت:وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني؛ فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن، ولم يغشهن اللحم .... الحديث بطوله.

(٤) الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة أبو بكر القرشي الفقيه، الحافظ المدني الزهري فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه، أخرج له الستة، توفي سنة(١٢٥،١٢٤،١٢٣).

ترجمته: تهذيب التهذيب(٩/٤٤٥)،تقريب التهذيب(٢/٢٠٧)، الكاشف(٣/٩٦)،التاريخ الكبير(١/ ٢٢٠)،الجرح والتعديل(٨/٣١٨)، ميزان الاعتدال(٤/٤٠)، التاريخ الصغير(١/٥٦)،حلية الأولياء(٣/ ٣٦٠)، تاريخ الثقات(٤١٢)، تراجم الأحبار(٤/١٣)، طبقات ابن سعد(٤/١٢٦)،سير أعلام النبلاء (٥/٣٢٦)، المعين(٤٢٧)، معرفة الثقات(٣٤٣)، الثقات(٥/١٤٩)، الوافي بالوافيات(٥/٢٤)،تاريخ أسماء الثقات(١١٩١).

الباب الأول

في سبب تسميته بالإفك[1]

قال الرازي: وإنما وصف تعالى ذلك الكذب بكونه إفكاً، لأن المعروف من حال عائشة خلاف ذلك، لوجوه.

وقال في فتح البيان: وإنما وصفه الله بأنه إفك، لأن المعروف من حالها (رضي الله عنها) خلاف ذلك،ونقل عن الواحدي أنه قال: ومعنى القلب أي بناءً على أنه مأخوذ من معنى القلب في هذا الحديث الذي جاء به أولئك النفر[2].

إن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والديانة، وعلو النسب والتسبب والعفة، لا القذف، فإن الذين رموها بالسوء قلبوا الأمر على وجهه فهو إفك قبيح، وكذب ظاهر[3].

وقال أبو السعود: لأنه مأفوك عن وجهه وسنته، أي مقلوب.

---

(١) قال البخاري: والإفك بمنزلة النِّجْس والنَّجس، يقال: إِفْكُهم وأَفْكُهم، فمن قال:أَفَكَهُم، يقول: صرفهم عن الإيمان وكذبهم، كما قال:﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ يصرف عنه من صرف.

انظر البخاري تعليقاً في -٣٦باب حديث الإفك من٦٤-كتاب المغازي.

(٢) كان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول- رأس المنافقين - فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين؛ فتكلموا به، وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله تعالى.

ابن كثير في تفسيره(٣/٢٧٦).

(٣) قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر:" يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي؛ فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا بأمرك؛ فقام سعد بن عبادة- وهو سيد الخزرج -، وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله.... وتثاور الحيان الأوس والخزرج؛ فأسكتهم رسول الله ﷺ.

انظر المرجع السابق مختصرًا (٣/٢٧٨).

وكذا قال الزمخشري والبيضاوي وغير واحد وكذا قالوا في تفسير قوله تعالى:﴿**وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ**﴾[١].

قال البيضاوي كما يقول المستيقن المطلع على الحال، وقال الصافي فيه كما يقول المستيقن المطلع على الحال.

الباب الثاني

في أن الإفك وقع على السيدة عائشة البريئة (رضي الله عنها)

لم يخالف أحد من أهل الإسلام في أن الإفك وقع على السيدة عائشة الصديقة أم المؤمنين، وهذا إجماع عند أهل السنة والجماعة والمعتزلة[٢]،وسائر الفرق، والشيعة إلاّ فرقة شذت منهم فقالت: وقع على السيدة مارية القبطية، وسيأتي بيان ذلك، والكلام عليه إن شاء الله تعالى[٣].

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): نزلت فيما قالوا على عائشة في الفرية.

وقال الرازي: أجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة.

---

(١) في قوله تعالى:﴿**وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ**﴾ قالوا: نزلت في أبي أيوب الأنصاري وامرأته عندما قالت له امرأته: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة (رضي الله عنها)؟ قال: نعم وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك. المرجع السابق (٣/٢٨١).

(٢) المعتزلة: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية، وأصول مذهبهم هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمن خالفهم في التوحيد سموه مشركًا، ومن خالفهم في الصفات سموه مشبهًا، ومن خالفهم في الوعد والوعيد سموه مرجئًا، ومن اكتملت له وتحققت فيه هذه الأصول الخمسة فهو المعتزلي حقًا.

(٣) دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة بن زيد، فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود؛ فقال أسامة: يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلاّ خيرًا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا قط أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها؛ فتأتي الداجن فتأكله فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول.
تفسير ابن كثير (٣/٢٧٧).

وقال أيضًا: لا شك أن هذه الآية يعني:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ**﴾(١) نزلت في قذف عائشة.

وقال الزمخشري(٢): المراد ما أفك به على عائشة.

وقال في فتح البيان: وأجمع المسلمون على أن المراد بما في الآية ما وقع من الإفك على عائشة.

وقال الصافي من الشيعة في الجوامع: وكان سبب الإفك أن عائشة ضاع عقدها...الخ.

وقال القمي: روت العامة أنها نزلت في عائشة، وما رميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة...انتهى. وسيأتي(٣).

فإن قلت: قال الرازي وغيره: وأجمع المسلمون على أن المراد، ما أفك به على عائشة(٤)، وكذا أنت قلت وهذا إجماع.

ثم قلت: إلا فرقة قالت وقع على السيدة مارية القبطية(٥)، وهذا تناقض أقوال إنما لم يعتبر مخالفة هذه الفرقة، إما لعدم الاطلاع على قولها أو لأنها خرقت الإجماع، وخرق الإجماع لا يجوز، أو لم يعتد بقولها وشذوذها؛ لأنها خالفت العامة من الشيعة أيضًا التي عضدت

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٣/٢٨٣): هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئًا من الكلام السيئ؛ فقام بذهنه شيءٌ منه، وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه، فقد قال تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾، أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح ﴿**لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا**﴾ أي بالحد، وفي الآخرة العذاب الأليم .

(٢) الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم الخوارزمي النحوي قال الذهبي عنه في سير أعلام النبلاء (٢٠/١٥١): قال السمعاني: برع في الأدب، وصنف التصانيف، وورد العراق وخرسان، ما دخل بلدًا إلا اجتمعواْ عليه، وتلمذواْ له، وكان علامة نسابة جاور مدة حتى هبت على كلامه رياح البادية، وقد تقدمت ترجمته بأوسع من ذلك.

(٣) قال ابن جرير في تفسيره: حدثني محمد بن عثمان الواسطي، حدثنا جعفر بن عون عن المعلي بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قالت: تفاخرت عائشة وزينب (رضي الله عنهما) فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء، وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في كتاب الله حين حملني صفوان بن المعطل على الراحلة؛ فقالت لها زينب: يا عائشة ما قلت حين ركبتيها؟ قالت: قلت حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين. ابن كثير في تفسيره(٣/٢٨٠).

(٤) لما دخل ابن عباس على عائشة (رضي الله عنها)، وهي في سياق الموت قال لها: ابشري فإنك زوجة رسول الله ﷺ، وكان يحبك، ولم يتزوج بكراً غيرك، ونزلت براءتك من السماء. المرجع السابق(٣/٢٨١).

(٥) مارية القبطية تقدم الكلام عنها وقد توفيت سنة (١٦). انظر تاريخ الإسلام وفيات سنة(١٦).

مذهب سائر المسلمين، وقد أشار الصافي في تفسيره المذكور إلى أن هذا القول واهٍ جدًا.

بقوله: أقول إن صح هذا الخبر... إلى آخره، وذلك ظاهر في تضعيفه، وعدم اعتماده عند الشيعة[(١)] أنفسهم.

الباب الثالث

في سبب وقوع الإفك

قال ابن عباس (ضي الله تعالى عنهما) نزلت-يعني آية الإفك- في عبد الله بن أُبي ابن سلول[(٢)] المنافق، وحسان بن ثابت الأنصاري، ومسطح بن أثاثة[(٣)]- ابن خالة أبي بكر الصديق - وعباد بن عبد المطلب، وحمنة بنت جحش الأسدية- فيما قالوا على عائشة - وصفوان بن المعطل في الفرية.

وأُبيّ:بضم الهمزة، وفتح الباء الموحدة، وتشديد الياء المثناة التحتية، تصغير أب.

وقال الرازي: أما سبب النزول؛ فقد روى الزهري، عن سعيد بن المسيب[(٤)] وعروة بن

---

(١) الشيعة طوائف كثيرة منهم من كفّر الصحابة، وفي اعتقادهم بأن علي بن أبي طالب أولى بالخلافة منهم جميعاً، بل زاد بعضهم فكفّر علي بن أبي طالب نفسه لعدم القيام في طلب حقه بزعمهم.
وقال القاضي عياض: ولا شك في كفر من قال هذا، لأن من كفّر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام، وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون هم مخطئون في تقديم غيره لا كفار، وبعض المعتزلة لا يقولون بالتخطئة لجواز تقديم المفضول عندهم.النووي في شرح مسلم (١٤٢/١٥)طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) قال أبو أسامة وغيره: حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر لما توفي عبد الله بن أبي، أتى ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه؛ فقام رسول الله ﷺ يصلي عليه؛ فقام عمر فأخذ بثوبه فقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله عنه؟ قال: إن ربي خيرني فقال:﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ**﴾،وسأزيد على السبعين فقال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ**﴾. تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة(٩)هـــ.

(٣) روت عائشة حادث الإفك بكامله، وفي آخره قالت: فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر- وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره -: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة؛ فأنزلت﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ**﴾ قال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي؛ فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. الذهبي في تاريخ الإسلام حوادث سنة(٥)هـــ.

(٤) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، أبو محمد القرشي المخزومي العائذي، =

الزبير[١]، وعلقمة بن وقاص[٢]، وعبد الله بن عبد الله بن عقبة بن مسعود، كلهم رووا عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا، أقرع بين نسائه. قالت: فأقرع بيننا في غزوة بني المصطلق، فخرج فيها سهمي[٣]؛ فخرجت مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف من المدينة نزل منزلاً، ثم آذن بالرحيل.

فقمت حين أذنوا بالرحيل، ومشيت حتى جاوزت الجيش، وأقبلت على رحلي، فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع؛ فرجعت والتمست عقدي، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني، فحملوا هودجي، وهم يحسبون أني فيه[٤]، فلما رجعت لم أجد أحدًا، فجلست،

المدني الأعور، قال ابن حجر في التقريب: اتفقوا على أن مراسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٣، ٩٤، ١٠٠).

ترجمته: تهذيب التهذيب(٤/٨٤)، تقريب التهذيب(١/٣٠٥،٣٠٦)، الكاشف(١/٣٧٢)، الثقات (٤/ ٢٧٣)، التاريخ الكبير(٣/ ٥١٠)، الحلية(٢/١٦١)، الجرح والتعديل(٤/٢٦٢)، سير الأعلام (٤/٢١٧).

(١) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أبو عبد الله الأسدي المدني، ثقة، فقيه مشهور، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٤،٩٥،٩٩).

انظر: تهذيب التهذيب(٧/١٨٠)، تقريب التهذيب(٢/١٩)، سير الأعلام (٤/٤٤١).

(٢) علقمة بن وقاص بن محصن بن كلدة بن عبد ياليل بن طريف، أبو عمرو الليثي، العتواري، المدني، ثقة، ثبت، أخطأ من زعم أن له صحبة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وقيل: ولد في عهد النبي ﷺ، وتوفي سنة (٨٠).

انظر: التقريب (٢/٣١)، الجرح والتعديل(٦/٢٢٥٩)، الثقات(٥/٢٠٩)، سير الأعلام(٤/٦١).

(٣) ذكروا أن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة (رضي الله عنها): فأقرع بيننا في غزوة غزاها؛ فخرج فيها سهمي، وخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذن بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من ظفار، وقد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه...الحديث.

تفسير ابن كثير (٣/٢٧٧).

(٤) قالت عائشة: أقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني، فاحتملوا هودجي، فرحلوا على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه، قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل، وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ لا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ. المرجع السابق (٣/٢٧٧).

فنمت، وكان صفوان[١] يمكث في العسكر، يتتبع أمتعة الناس، فلما رآني عرفني؛ فنزل وتنحى حتى ركبت، ثم قاد البعير، وافتقدني الناس حين نزلوا، وماج الناس في ذكري، فبينا الناس كذلك، إذ هجمت عليهم؛ فتكلم الناس، وخاضوا في حديثي". انتهى ملخصاً[٢].

وقال البيضاوي: والمراد ما أفك على عائشة (رضي الله عنها)، وذلك أنه ﷺ استصحبها في بعض الغزوات، فأذن ليلة في القفول بالرحيل، فمشت لقضاء حاجة، ثم عادت إلى الرحل، فلمست صدرها، فإذا عقد من جزع ظفار[٣] قد انقطع؛ فرجعت تلتمسه، فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج، فرحله على مطيها وسار، فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحدًا، فجلست كي يرجع إليها منشد، وكان صفوان بن المعطل السلمي[٤] قد عرس وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته؛ فركبتها؛ فقادها حتى أتيا الجيش؛ فاتهمت به.

---

(١) كان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم فأتى فعرفني حين رآني، وكان قد رآني قبل الحجاب؛ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني؛ فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول. المرجع السابق (٢٧٧/٣).

(٢) قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً، فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد؛ أشيروا على في أناس أبنوا أهلي، وأيم الله ما علمت على أهلي إلا خيرا، وما علمت على أهلي من سوء، وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط، ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غلب معي، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله ائذن لنا أن نضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل فقال: كذبت، أما والله لو كانوا من الأوسط ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد وما علمت. المرجع السابق(٢٧٩/٣).

(٣) قال النووي في قول عائشة "وعقدي من جزع ظفار قد انقطع":أما العقد فمعروف نحو القلادة، والجزع بفتح الجيم وإسكان الزاي وهو خرز يماني، وأما ظفار فبفتح الظاء المعجمة وكسر الراء، وهي مبنية على الكسر، تقول هذه ظفار، ودخلت ظفار، وإلى ظفار بكسر الراء بلا تنوين في الأحوال كلها، وهي قرية في اليمن.

(٤) صفوان بن المعطل بن ربيعة، أبو عمرو السلمي ثم الذكواني، صحابي مشهور، توفي سنة (١٩) وقيل سنة (٥٨، ٦٠)، وهو صاحب حديث الإفك.

ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري(٣٠٥/٤)، الذيل على الكاشف(٦٧٤)، تعجيل المنفعة(٤٧٤)، تاريخ البخاري الصغير(٤٣/١)، الجرح والتعديل(١٨٤٤/٤)، أسد الغابة (٣٠/٣)، تجريد أسماء الصحابة (٢٦٧/١)، الإصابة(٤٤٠/٣)، الاستيعاب(٧٢٥/٢)، الوافي بالوفيات (٣٢٠/١٦)، الثقات(١٩٢/٣).

وقال في فتح البيان: حاصله أن سبب النزول هو ما وقع من أهل الإفك الذين تقدم ذكرهم في شأن عائشة، وذلك أنها خرجت من هودجها تلتمس عقدًا لها انقطع من جزع، فرحلوا وهم يظنون أنها في هودجها، فرجعت وقد ارتحل الجيش، والهودج معهم فأقامت في ذلك المكان، ومر بها صفوان بن المعطل[١]، وكان متأخرًا عن الجيش، فأناخ راحلته، وحملها عليها، فلما رأى ذلك أهل الإفك قالوا ما قالوا؛ فبرأها الله مما قالوا[٢].

وقال الصافي: وكان سبب الإفك أن عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق من خزاعة" انتهى.

وكذا قال عامة أهل التفسير والحديث في القديم وفي الحديث.

الباب الرابع

في بيان من جاء بالإفك، وهو كبيرهم

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): نزلت في عبد الله بن أُبي ابن سلول المنافق، وحسان بن ثابت[٣] الأنصاري، ومسطح بن أثاثه ابن خالة أبي بكر الصديق، وعباد بن عبد المطلب، وحمنة[٤]

---

(١) صفوان بن المعطل: صاحب النبي ﷺ الذي له ذكر في حديث الإفك، وقال فيه النبي ﷺ " ما علمت عليه إلا خيراً"،وقال هو: ما كشفت كنف أنثى قط. روى عنه سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وسعيد المقبري، وروايتهم مرسلة إن كان مات سنة(١٩)في غزوة أرمينية، وإن كان قد توفي كما قال الواقدي سنة ستين بشميشاط فقد سمعوا منه، وقال خليفة: مات بالجزيرة. الذهبي في تاريخ الإسلام سنة(١٩).

(٢) روى مسلم في صحيحه [٥٦-(٢٧٧٠)] كتاب التوبة، ١٠- باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه....الحديث بطوله، وقال النووي: هذا دليل لمالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات، وفي العتق والوصايا والقسمة، ونحو ذلك، وقد جاء فيها أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، قال أبو عبيد عمل بها ثلاثة من الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين): يونس و زكريا و محمد ﷺ. شرح مسلم للنووي (٨٦/١٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو، أبو عبد الرحمن، ويقال:أبو الحسام، ويقال: أبو الوليد، الأنصاري البجاري، المدني، الخزرجي شاعر الرسول، صحابي مشهور، أخرج له الستة عدا الترمذي، توفي سنة(٥٤،٥٥). ترجمته: تهذيب التهذيب(٢٤٧/٢)، تقريب التهذيب(١٦١/١)، الكاشف(١/ ٢١٦)، تاريخ البخاري الكبير(٢٩/٣)، الجرح والتعديل(١٠٢٦/٣)، الإصابة(٦٢/٢)، أسد الغابة(٢/ ٥)،تجريد أسماء الصحابة(١٢٩/١)، الوافي بالوفيات(٥١٦/١١)،سير الأعلام(٥١٢/١)، الثقات(٣/ ٧١)، أسماء الصحابة الرواة(٨١٩).

(٤) حمنة بنت جحش الأسدية، أخت زينب أم المؤمنين ﷺ، كانت تحت مصعب بن عمير،ثم طلحة، =

بنت جحش الأسدية.

ثم قال: والذي تولى كبره، أشاع وأعظم المقالة فيه، وهو عبد الله بن أُبي منهم، له عذاب عظيم في الدنيا بالحد، وفي الآخرة بالنار. انتهى.

ولم يذكر زيد بن رفاعة.

وقال الرازي: أما العصبة، فقيل: إنها جماعة من العشرة إلى الأربعين، وكذلك العصابة، واعصوصبوا: اجتمعوا وهم: عبد الله بن أبي ابن سلول- رأس النفاق -وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت(١)، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، ومن ساعدهم.

ثم قال: والأقرب أن المراد به- أي بالذي تولى كبره -عبد الله بن أبي بن سلول، فإنه كان منافقًا(٢)". انتهى.

ولم يذكر عباد بن المطلب، وزاد زيد بن رفاعة، وكذا ذكر الزمخشري، والبيضاوي، وأبو السعود، والصديق حسن، والجلال المحلي، وأسقط زيد بن رفاعة أيضًا، فيكون جملة من ذكرهم أربعة.

وقول الرازي هو الأقرب، أقول: يعنيه ما جاء في صريح مسلم(٣) عن عائشة، وكان

وكانت تستحاض، وهي أم ولدي طلحة:عمران ومحمد.

أخرج لها: البخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

ترجمتها: تهذيب التهذيب(٤١١/١٢)، تقريب التهذيب(٥٩٥/٢)، الثقات(٩٩/٣)، أسد الغابة (٦٩/٧)، أعلام النساء(٢٥١/١)، الاستيعاب(١٩١٣/٤)،الإصابة(٥٨٦/٧)، تجريد أسماء الصحابة (٢٥٧/٢)، الكاشف(٤٦٨/٣))، أسماء الصحابة الرواة(١٠١٤).

(١) روى البخاري في صحيحه(٤٧٥٦) كتاب تفسير القرآن، ١١-باب:﴿**وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾، عن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب وقال:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت: لست كذلك. قلت: تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله:﴿**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ**﴾. فقالت: وأي عذاب أشد من العمى. وقالت: وقد كان يرد عن رسول الله ﷺ.

(٢) قال الذهبي وقال ابن عيينة، عن عمرو،عن جابرقال:أتى رسول الله ﷺ قبر عبد الله بن أُبي بعدما أدخل حفرته، فأمر به فأخرج، فوضعه على ركبتيه أو فخذيه، فنفث عليه من ريقه وألبسه قميصه، والله أعلم. متفق عليه.

تاريخ الإسلام وفيات سنة(٩)

(٣) أخرج مسلم في صحيحه[٥٦-(٢٧٧٠)] كتاب التوبة،١٠- باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف من حديث عائشة بطوله زمنه:"فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن

الذي تولى كبره عبد الله بن أُبي بن سلول. وكذا غيرهما كما مر عن ابن عباس[١].

والظاهر أن ذكر عباد، وإسقاط زيد وبالعكس وإسقاطهما معًا من المحلى، مبني على جعلهما من المساعدين، لا ممن جاءوا به، ويؤيد ذلك أنهما لم يذكرا فيمن جلد عند ذكر من جلد، ولا واحد منهما.

وأما الصافي مفسر الشيعة فلم يتعْرض لتسمية أحد ممن جاءواْ بالإفك، إما لعدم معرفته إياهم أو لغير ذلك.

ملحق في بيان كيفية أفك مسطح[٢].

قال الإمام الرازي: قال المفسرون: نزلت هذه الآية يعني:﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو...**﴾ في أبي بكر حيث حلف ألا ينفق على مسطح، وهو ابن خالة أبي بكر[٣]، وقد كان يتيمًا في حجره،

أُبي ابن سلول...الحديث"، وقال النووي في قولها:" وكان الذي تولى كبره": أي معظمه وهو بكسر الكاف على القراءة المشهورة، وقرئ في الشواذ بضمها وهي لغة.

(١) قال النووي" اعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة: وذكر النووي فوائد كثيرة منها: براءة عائشة (رضي الله عنها) من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان- والعياذ بالله- صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين.

قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا إكرام من الله تعالى لهم.

شرح مسلم للإمام النووي (٩٩/١٧)-طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) قالت عائشة (رضي الله عنها): قدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمناها شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول:" كيف تيكم" ؟.

فذلك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرزنا ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه في البرية، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها في بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، فعثرت فقالت: تعس مسطح.فقلت لها: بئسما قلت تسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: وماذا قال: قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك. تفسير ابن كثير (٢٧٧/٣)؟

(٣) قالت عائشة (رضي الله عنها): لما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره-: والله لا أنفق عليه شيئا بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله تعالى ﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾، قال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

وكان ينفق عليه وعلى قرابته؛ فلما نزلت الآية: أي ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾... إلى قوله ﴿وَلاَ يَأْتَلِ...﴾[١] الآية، قال لهم أبو بكر: قوموا فلستم مني، ولست منكم، ولا يدخلن على أحدٌ منكم؛ فقال مسطح: أنشدك الله والإسلام، وأنشدك القرابة والرحم أن لا تحوجنا إلى أحد، فما كان في أول الأمر من ذنب؛ فقال لمسطح: إن لم تتكلم فقد ضحكت؛ فقال: وقد كان ذلك تعجبًا من قول حسان، فلم يقبل عذره، وقال انطلقوا أيها القوم، فإن الله لم يجعل لكم عذرًا ولا فرجًا؛ فخرجوا ولا يدرون أين يذهبون، وأين يتوجهون في الأرض.

فبعث رسول الله ﷺ يخبره بأن الله تعالى قد أنزل على كتابًا ينهاك فيه أن تخرجهم فكبر أبو بكر وسره، وقرأ رسول الله ﷺ الآية عليه، فلما وصل إلى قوله تعالى:﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾[٢] قال: بلى يا رب، إني أحب أن يغفر لي، وقد تجاوزت عما كان، فذهب إلى بيته وأرسل إلى مسطح وأصحابه، وقال: قبلت ما أنزل الله على الـــرأس والعين[٣]، إنما فعلت بكم ما فعلت إذ سخط الله عليكم أما إذا عفا عنكم فمرحبًا بكم، وجعل له مثلي ما كان له قبل ذلك اليوم.

---

(١) يقول تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾ من الألية وهي الحلف أي يحلف "ألوا الفضل منكم " أي الطول والصدقة والإحسان" والسعة " أي الجدة " أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله " أي لا تحلفوا أن لا تصلوا قرابتكم المساكين والمهاجرين، وهذا غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام. ولهذا قال تعالى: ﴿وليَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا﴾ أي عما تقدم منهم من الإساءة والأذى، وهذا حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم.المرجع السابق (٣/٢٨٤).

(٢) هذه الآية نزلت في الصديق ﷺ حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبداً بعدما قال في عائشة ما قال كما تقدم في الحديث، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة، واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها. المرجع السابق(٣/٢٨٤).

(٣) كان الصديق ﷺ معروفا بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب فلما نزلت هذه الآية إلى قـــوله:﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾الآية، فإن الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح وما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدا، فلهذا كان الصديق هو الصديق ﷺ وعن بنته.
المرجع السابق (٣/ ٢٨٤).

استنتاج:

في بيان أن سيدنا أبا بكر[1] ﷺلم يكن غضبه على مسطح، وقطع نفقته عنه لحظ نفسه، بل كان لله ﷻ، إذ لا يليق بأحدٍ من المسلمين أن يغضب أو ينتصر لنفسه، بل يغضب لله تعالى، فكيف يقع ذلك من الصديق الأكبر صاحب رسول الله ﷺ وخليفته، وأفضل الخلق بعده؟ فلم يكن غضبه على مسطح إلا لله، سيما وأن في ذلك هجرًا، والهجر لا يجوز أكثر من ثلاثة أيام[2]، إلا لله سبحانه وتعالى.

بيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما أنزل آيات الإفك، وبرأ عائشة، وصفوان[3] مما أفك به عليهما، وذكر سبحانه عظيم ذلك عنده، وأنه ليس بهين، وأن لكل امرئ من الآفكين ما اكتسب من الإثم، ظهر له أن مسطحًا من الآفكين الآثمين فهجره وقطع عنه نفقته لله تعالى.

ولما علم أن الله سبحانه وتعالى قبل توبته ورضي عنه، حنث بيمينه ورجع إلى إنفاقه عليه ابتغاء لمرضاة الله تعالى، وعفا عنه وصفح حبًا بغفران الله تعالى، فرضي الله تعالى عنه وأرضاه.

يدلك على ذلك قوله ﷺ المارُّ: "إنما فعلت إذ سخط الله عليكم، أما إذا عفا عنكم فمرحبًا بكم"[4].

---

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات سنة (١٣). وصح من حديث الجريد، عن عبد الله بن شقيق قال: قلت لعائشة: أي أصحاب النبي ﷺ كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟.قالت: أبو بكر.قلت ثم من؟، قالت: عمر قلت: ثم من ؟ قالت أبو عبيدة، قلت ثم من ؟فسكتت. تاريخ الإسلام وفيات سنة(١٣).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه [٢٥-(٢٥٦٠)] كتاب البر والصلة والآداب، ٨-باب تحريم الهجر فوق ثلاث، بلا عذر شرعي، عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: " لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".

(٣) روى مسلم في صحيحه (٥٧) كتاب التوبة، ١٠-باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، وفيه قال عروة: قالت عائشة: "والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله، فوالذي نفسي بيديه، ما كشفت عن كنف أنثى قط، قالت،ثم قتل بعد ذلك شهيداً في سبيل الله".

(٤) قال النووي من فوائد حديث الإفك: فيه فضائل لأبي بكر ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ الآية، وفيه: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين، وفيه: العفو والصفح عن المسيء، وفيه: استحباب الصدقة، والإنفاق في سبيل الخيرات، وفيه: أنه يستحب لمن حلف على يمين، ورأى خيراً منها أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه.

شرح مسلم للنووي(١٧/١٠٠) طبعة دار الكتب العلمية.

الباب الخامس

في ذكر الآيات التي نزلت بالإفك

قال الله تبارك وتعالى[(١)]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ.لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ. لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ[(٢)] وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ.وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا[(٣)] وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ. وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ

---

(١) قال القاسم بن محمد:" اشتكت عائشة، فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر ﷺ، ولو لم يكن إلا ما في القرآن من البراءة لكفي بذلك شرفاً "، ولها حظ وافر من الفصاحة والبلاغة مع ما لها من المناقب (رضي الله عنها).
تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٦٠).

(٢) إن الله ﷻ لما يبين في أول سورة النور ما في جريمة الزنا من عظيم الفحش، وكبير الشناعة مما لم يجتمع في جريمة أخرى، وتشنيع الفعل، وأمر هذا شأنه يلحق العرض من الرمي به ما ينكس الرأس، ويهدم الشرف؛ففرض الله لنا فيما فرض من أحكام حد القذف الزاجر الرادع الكفيل لصيانة الأعراض، ومن قذف مسلماً أو مسلمة ولم يستطع إقامة البينة المطلوبة لإثبات قوله، فهو كاذب عند الله، أي: حكمه في شريعة الله تعالى حكم الكاذب يقيناً، فيقام عليه حد الكاذب.
الفقه على المذاهب الأربعة(٥/١٦٧،١٦٨).

(٣) في الدنيا بإقامة الحد، وفي الآخرة تأديباً للمؤمنين، وتربية لنفوسهم على الخير، والبعد عن مواطن الشر، وتطهيراً لألسنتهم والتحفظ بها عن الخوض في أعراض الناس، وحفظاً لهم من أن يقعوا في معصية الله تعالى، ويصبحوا من الفاسقين، وفي تشريع الحدود تطهير للمجتمع من الشرور والمفاسد التي تهلكهم وتفرق بين صفوفهم، وإذا قارنا بين المجتمع الذي كان في عهد رسول الله ﷺ وبين مجتمعنا أدركنا الفرق الكبير والبون الشاسع بينهما، وذلك لإقامة الحدود في عهده وعهد الخلفاء الراشدين من بعده.
الفقه على المذاهب الأربعة(٥/١٨٣،١٨٤).

اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ منكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ[١] الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُواْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ. يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ. الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلْطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[٢].

علاوة:

روى البخاري[٣] وغيره أنه لما أنزل الله براءتها، وسُرِّيَ عن رسول الله ﷺ. وقال لها:"أبشري يا عائشة، أما والله لقد برأك الله"، قالت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك، وأن أمها قالت لها: قومي إليه، وقالت والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا اللهالذي، أنزل براءتي[٤].

وسيأتي لفظ البخاري وغيره إن شاء الله تعالى.

---

(١) اتفق العلماء على أن القاذف إذا أتى بأربعة من الشهود العدول من الرجال العقلاء، يشهدون عليها بما رماها،لا يقام عليه الحد، ولا يعتبر قاذفاً ويثبت الزنا، لأنه صادق في قوله، ويقام الحد على الزانية إذا تمت الشهادة عليها، وإنما اشترطوا أربعة شهود لأنه فعل يغمض الاطلاع عليه، فاحتيط فيه باشتراط الأربعة.الفقه على المذاهب الأربعة(٥/ ١٧٥).

(٢) [سورة النور:١١-٢٦]،وقد اختلف العلماء في عدد الآيات، وقد أوضحها ابن حجر في "شرح صحيح البخاري"، وبين فيها آراء العلماء ، وعدد الآيات وسيأتي بيانها وذكر رأي ابن حجر كاملاً في تحقيقنا من كتابه فتح الباري.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه(٤٧٥٠) ٦٥-كتاب تفسير القرآن،٦- باب ﴿**لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ**......الآية﴾. عن عائشة وفيه:" فلما سري على رسول الله ﷺ سري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها:" يا عائشة أما الله ﷻ فقد برأك" ..... الحديث.

وفي مسلم[٥٦-(٢٧٧٠)] كتاب التوبة، ١٠ باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، عن عائشة وفيه:" فكان أول كلمة تكلم بها:" ابشري يا عائشة، أما الله فقد برأك "....... الحديث.

(٤) قال النووي: معناه قالت لها أمها قومي فاحمديه وقبلي رأسه واشكريه لنعمة الله التي بشرك، فقالت عائشة ما قالت دلالا عليه وتعباً لكونهم شكوا في حالها مع علمهم بحسن طرائقها وجميل أحوالها وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون، ولا حجة ولا شبهة فيه قالت: وإنما أحمد ربي سبحانه وتعالى الذي أنزل براءتي وأنعم على بما لم أكن أتوقعه، كما قالت: ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى في بأمر يتلى.

شرح مسلم للإمام النووي (١٧/٩٤) طبعة دار الكتب العلمية.

الباب السادس
فيما فسر به هذه الآيات أهل السنة

وقد اخترت أن أذكر ما قاله الإمام البيضاوي- رحمه الله تعالى -في تفسيرها، لأنه ليس الطويل الممل، ولا بالقصير المخل،ولموافقة تفسير الصافي له في الألفاظ غالباً إلا شذ في الشيعة[١].

قال البيضاوي- رحمه الله تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾بأبلغ ما يكون من الكذب، وهو الصرف، لأنه قول مأفوك عن وجهه، والمراد ما أفك به على عائشة (رضى الله عنها)، وذلك أنه ﷺ استصحبها في بعض الغزوات[٢]، فأذن ليلة في القفول في الرحيل، فمشت لقضاء حاجة، ثم عادت إلى الرحل، فلمست صدرها فإذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت لتلتمسه، فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج، فرحله على مطيها وسار[٣]، فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحداً، فجلست كي يرجع إليها منشد، وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش[٤] فأدلج فأصبح عند منزلها فعرفها فأناخ

(١) من النظريات في التشيع أنه من تأثير اليهودية، وكما قيل الشيعة يهود المسلمين ويبغضون الإسلام كبغض اليهود للنصرانية، ولم يدخلوه رغبة ولا رهبة من الله، وإنما مقتاً للمسلمين يحسبوا فيه فيتمكنوا من نشر الفساد والفتنة والفرقة بينهم، ويبذروا الشك، ويبلبلوا الخواطر ويزعزعوا الإيمان، وقالوا مقالة اليهود فلا ملك إلا في آل البيت كما قالت اليهود: لا ملك إلا في آل داود ، و لا جهاد إلا بعد مجيء المهدي كما قالت اليهود: لا جهاد حتى يجئ المسيح المنتظر.
الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية (صـ٢٦٦)

(٢) قال النووي: كانت هذه القصة في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق، ومعلوم أن سعد بن معاذ- الذي جاء ذكره في حديث عائشة -مات في إثر غزوة الخندق من الرمية التي أصابته وذلك في سنة أربع بإجماع أصحاب السير إلا شيئا قاله الواقدي وحده ،قال القاضي: قال بعض شيوخنا ذكر سعد بن معاذ في هذا وهم والأشبه أنه غيره، ولهذا لم يذكره ابن إسحاق في السير، وإنما قال إن المتكلم أولاً وآخراً أسيد بن حضير.
شرح مسلم للنووي(٩٢/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) في رواية مسلم[٥٦-(٢٧٧٠)] في التوبة، باب في حديث الإفك:" وأقبل الرهط الذين يحملون لي فحملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أني فيه. قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافًا، ولم يُهبَّلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثُقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا.... الحديث.

(٤) قولها: "عرس وراء الجيش فأدلج" قال النووي: التعريس النزول آخر الليل في السفر لنوم أو استراحة، وقال أبو زيد: هو النزول أي وقت كان والمشهور الأول، قولها: أدلج : بتشديد الدال وهو سير آخر الليل.
شرح مسلم للنووي(٨٨/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

راحلته فركبتها فقاده حتى أتيا الجيش،فاتهمت به.

﴿عُصْبَةٌ مِنْكُم﴾: جماعة منكم، وهي من العشرة إلى الأربعين، وكذا العصابة.

يريد عبد الله بن أبي، وزيد بن رفاعة، وحسان بن ثابت، ومسطح ابن أثاثة(١)، وحمنة بنت جحش، ومساعدهم وهي خبرات(٢).

وقوله ﴿لا تَحْسَبوهُ شَراً لَكُم﴾: مستأنف والخطاب للرسول ﷺ وأبي بكر وعائشة وصفوان، والهاء للإفك.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله، بإنزال ثمانية عشر آية في براءتكم وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظن بكم خيراً.

﴿لِكُلِ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكتَسَبَ مِن الإثْم﴾: لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصاً به.

﴿والذي تَولّى كَبرهُ﴾: معظمه(٣)، وقرأ يعقوب بالضم، وهو لغة فيه.

﴿مِنْهُم﴾: من الخائضين.وهو ابن أُبي(٤)، فإنه بدأ به، وأذاعه عداوة لرسول الله ﷺ،أو هو

---

(١) في رواية مسلم:" وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا، ولا تخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا..... ثم قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب، فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح فقلت لها ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدراً....إلى آخر الحديث.

(٢) قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري فقال: " يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟" فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيراً.
قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله تعالى بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك. تفسير ابن كثير (٣/٢٧٨)

(٣) كان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول- رأس المنافقين -فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزه آخرون منهم، وبقى الأمر كذلك قريباً من شهر حتى نزل القرآن. المرجع السابق (٣/٢٧٦)

(٤) في قوله تعالى ﴿والذي تَولّى كَبره مِنْهُم﴾ قيل: ابتدأ به، وقيل: الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه.﴿لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾: أي على ذلك، ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي بن سلول قبحه الله ولعنه وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث من استعذار النبي ﷺ من

وحسان، ومسطح، فإنهما شايعاه بالتصريح به، والذي بمعنى الذين.

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة أو في الدنيا بأن جلدوا، وصار ابن أُبي مطروداً مشهوراً بالنفاق، وحسان أعمى وأشل اليدين، ومسطح مكفوف البصر(١).

﴿لَوْلا﴾: هَلا.

﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المؤمِنُونَ والمؤمنات بِأَنْفُسِهِم خَيْراً﴾: بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله:﴿ولا تلمِزوا أنفُسَكُم﴾، وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ، وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين(٢)، والكف عند الطعن فيهم، وذبّ الطاعنين عنهم كما يذبون عن أنفسهم، وإنما جاز الفصل بين: ﴿لَوْلا﴾ وفعله بالظرف، لأنه منزل منزلته من حيث أنه لا ينفك عنه.

ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره، وذلك لأن ذكر الظرف أهم فإن التحضيض على ألا يخلوا بأوله ﴿وقَالُوا هَذا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾(٣): كما يقول المستيقن المطلع على الحال.

﴿لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: من جملة المقول تقديراً لكونه كذباً، فإن ما لا حجه عليه مكذب عند الله- أي

عبد الله بن أبي ابن سلول، وما كان من أمر المشاحنة بين الأوس والخزرج وقال ذلك مجاهد وغير واحد . تفسير ابن كثير(٣/٢٨١).

(١) روع البخاري في صحيحه(٤٧٥٥)٦٥-كتاب تفسير القرآن، ١٠-باب قوله : ﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمثْلِه أَبَدًا﴾ عن عائشة قالت: جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها، قلت- أي مسروق: أتأذنين لهَذَا؟ قالت: أو ليس قد أصابه عذاب عظيم ؟، قال سفيان: تعني ذهاب بصره، فقال:

حصان رزان ما تُزنُّ بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت: لكن أنت (أي لست كذلك).

(٢) في قــوله تعالى:﴿لولا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المؤمِنُونَ والمؤمنات بِأَنْفُسِهِم خَيْراً﴾، قيل أنها نزلت في أبي أيوب الأنصاري وامرأته (رضي الله عنهما) قالت له امرأته: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة (رضي الله عنها)؟ قال: نعم، وذلك الكذب أكنت فاعله ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله قال: فعائشة والله خير منك، فلما نزل القرآن بالآيات أي كما قال أبو أيوب وصاحبته.

تفسير ابن كثير مختصراً (٣/٢١٨).

(٣)﴿وقَالُوا هَذا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ أي قالوا بألسنتهم هذا كذب ظاهر على أم المؤمنين (رضي الله عنها)، فإن الذي وقع لم يكن ريبة وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بكامله يشاهدون ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، ولو كان هذا الأمر فيه ريبة، لم يكن هذا جهرة ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد، بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستوراً. المرجع السابق(٣/٢٨٢).

في حكمه- لذلك رتب الحد عليه[1].

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾: لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى: لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة،ورحمته في الآخرة بالعفو والغفران المقدران لكم.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: عاجلا.

﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: خضتم فيه.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]: يستحقر دونه اللوم والجلد.

﴿إِذْ﴾: ظرف لمسكم أو أفضتم.

﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: والمعنى يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه.

يقال: تلقى القول وتلقفه.

وقرىء: تتلقونه على الأصل.

وتلقونه: من لقبه إذا لقفه.

وتلقونه: بكسر حرف المضارعة.

وتلقونه: من القامة بعضهم على بعض.

وتلقونه وتألقونه من الولق والألق: وهو الكذب[3].

---

(١) فيه الحد وذلك لما أمر الله تعالى به في قوله تعالى﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: [٤] فأوجب على القاذف إذا لم يقم البينة على صحة ما قال ثلاثة أحكام أحدها : الجلد ثمانين جلدة، الثاني: أن ترد شهادته أبداً، الثالث: أن يكون فاسقاً ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس.
تفسير ابن كثير (٢٧٣/٣).

(٢) وهذا فيمن عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة كمسطح وحسان وحمنة بنت جحش - أخت زينب بنت جحش -، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أُبي ابن سلول، وأضار به فليس أولئك مرادين في هذه الآية لأنه ليس عندهم الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقاً مشروطاً بعدم التوبة أو ما يقابله من عمل صالح يوازنه أو يدجح عليه.
المرجع السابق(٢٨٢/٣).

(٣) روى البخاري في صحيحه تعليقاً كتاب تفسير القرآن،٧باب قوله:﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.... الآية﴾.
وقال مجاهد:"تلقونه" يرويه بعضكم عن بعض "تفيضون" تقولون.

وتثقفونه: من ثقفته إذا طلبته فوجدته وتقفونه.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾[(١)] أي تقولون كلاماً مختصاً بالأفواه بلا مساعدة من القلوب.

﴿مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾: لأنه ليس تعبيراً عن علم به في قلوبكم.

كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾: سهلاً لاتبعة فيه.

﴿وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾[(٢)]: في الوزر واستجرار العذاب، فهذه ثلاث آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم،تلقى الإفك بألسنتهم، والتحدث به من غير تحقق، واستصغار ذلك، وهو عند الله عظيم.

﴿وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا﴾[(٣)]: ما ينبغي لنا، وما يصح

﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾: يجوز أن تكون الإشارة أي القول المخصوص، وأن تكون إلى نوعه، فإن قذف آحاد الناس محرم شرعاً، فضلاً عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول اللهﷺ.

﴿سُبْحَانَكَ﴾[(٤)]: تعجب مما يقول ذلك، وأصله أن يذكر كل متعجب تنزيهاً لله تعالى من أن يصعب عليه مثله، ثم كثر فاستعمل لك متعجب، أو تنزيهاً لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة، فإن فجورها ينفر عنه، ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها.

في رقم(٤٧٥٢) باب "إذا تلقونه بألسنتكم....." ، قال ابن أبي مليكه:سمعت عائشة تقرأ " إذا تلقونه بألسنتكم" وبهامشه: قوله تلقونه: من ولق الرجل إذا كذب.

(١) أي: تقولون ما لا تعلمون.

(٢) أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين وتحسبون ذلك يسيرًا سهلاً ولو لم تكن زوجة النبيﷺ لما كان هيناً فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل، فإن الله سبحانه وتعالى يغار لهذا وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبي من الأنبياء، ذلك حاشا وكلا، ولما لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء، وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة. تفسير ابن كثير(٣/٢٨٢).

(٣) هذا تأديب آخر بعد الأول الآمر بظن الخير أي إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ينبغي الظن بهم خيراً، وأن لا يشعر نفسه سوى ذلك، ثم إن علق بنفسه شئ من ذلك وسوسة أو خيالاً فلا ينبغي أن يتكلم به، فإن رسول الله ﷺ قال:" إن الله تعالى تجوز عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل". المرجع السابق(٣/٢٨٣).

(٤) أي سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول الله، وحليلة خليله. المرجع السابق.

فيكون تقريراً لما قبله، وتمهيداً لقوله:﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[١] لعظمة المبهوت عليه، فإن حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها.

﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾[٢]: كراهة أن تعودوا لمثله، تعودوا ﴿أَبَدًا﴾:مادمتم أحياء مكلفين.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يمنع عنه، وفيه تهييج وتقريع.

﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾[٣]: الدالة على الشرائع، ومحاسن الآداب، كي تتعظوا وتتأدبوا.

﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾:بالأحوال كلها.

﴿حَكِيمٌ﴾: في تدابيره، ولا يجوز الكشخنة على نبيه، ولا يقرره عليها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾[٤]: يريدون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾: أن تنتشر.

﴿الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾: بالحد، والسعير، إلى غير ذلك.

﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾: ما في الضمائر.

﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٥]: فعاقبوا في الدنيا على مايدل عليه الظاهر، والله سبحانه يعاقب

---

(١) سورة النور(١٦).

(٢) أي ينهاكم الله متوعداً أن يقع منكم ما يشبه هذا أبداً أي فيما يستقبل، ولهذا قال:إن كنتم مؤمنين، أي إن كنتم تؤمنون بالله وشرعه، وتعظمون رسوله ﷺ فأما من كان متصفاً بالكفر فله حكم آخر. تفسير ابن كثير(٣/٢٨٣).

(٣) أي يوضح لكم الأحكام الشرعية، والحكم القدرية ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بما يصلح عباده حكيم في شرعه وقدره.

(٤) هذا تأديب ثالث لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ، فقام بذهنه شئ منه وتكلم به فلا يكثر منه ولا يشيعه ويذيعه فقد قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بالحد وفي الآخرة بالعذاب الأليم.

(٥) ﴿اللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أي فردوا الأمور إليه ترشدون، وقال الإمام أحمد:حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ميمون بن موسى المرئي، حدثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: "لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته".

ابن كثير في تفسيره (٣/٢٨٣).

على ما في القلوب من حب الإشاعة.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾:تكرير للمنة المعالجة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة،ولذا عطف قوله:﴿وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]: على حصول فضله ورحمته عليهم، وحذف الجواب وهو مستغني عنه بذكره مرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: بإشاعة الفاحشة.

وقرئ بفتح الطاء، وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها.

﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٢]: بيان لعلة النهي عن اتباعه.

والفحشاء: ما أفرط قبحه. والمنكر: ما أنكره الشرع.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾[٣]: بتوفيق التوبة الماحية للذنوب، وشرع الحدود المكفرة لها.

﴿مَا زَكَا﴾: ما طهر من دنسها.

﴿منكُم مِّنْ أَحَد أَبَدًا﴾: آخر الدهر.

﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾: يحمله على التوبة وقبولها.

---

(١) يقول الله تعالى:﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: أي لولا هذا لكان أمر آخر ولكنه تعالى رءوف بعباده رحيم بهم فتاب على من تاب إليه من هذه القضية وطهر من طهر منهم بالحد الذي أقيم عليهم، ثم قال تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ يعني طرائقه ومسالكه وما يأمر به.
المرجع السابق(٣/٢٨٣)

(٢) ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾: هذا تنفير تحذير.
قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ عمله، وقال عكرمة: نزعاته، وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات الشيطان، وقال أبو مجلز: النذور في المعاصي من خطوات الشيطان، وقال مسروق: سأل رجل ابن مسعود فقال:إني حرمت أن آكل طعاماً وسماه، فقال: هذا من نزعات الشيطان كفر عن يمينك وكل.
المرجع السابق(٣/٢٨٤).

(٣) أي لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيراً.
﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾: أي من خلقه، ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغي، وقوله ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ أي سميع لأقوال عباده،﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق منهم الهدى والضلال.
المرجع السابق(٣/٢٨٤).

﴿والله سَمِيعٌ﴾: لمقالتهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتهم.

﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾: ولايحلف التعال من الألية، أو ولا يقصر من الألو.

ويؤيد الأول أنه قرئ: ولايتال، وأنه نزل في أبي بكر، وقد حلف أن لا ينفق على مسطح[1]، بعد وكان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين.

﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾: في الدين.

﴿وَالسَّعَةِ﴾: في المال.

وفيه دليل على فضل أبي بكر[2] رضي الله عنه وشرفه.

﴿أَن يُؤْتُوا﴾: على أن لا يؤتوا، أو في أن يؤتوا. وقرئ بالتاء على الالتفات.

﴿أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾: صفات الموصوف واحد، ناس جامعين لها لأن الكلام فيمن كان كذلك. أو الموصوفات أقيمت مقامها، فيكون أبلغ في تعليل المقصود.

﴿وليعفوا﴾ لما فرط منه.

﴿وليصفحوا﴾ بالإغماض عنه.

﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾[3] على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم.

---

(١) لما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أقيم عليه شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة فإنه كان ابن خالة الصديق وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضي الله عنه، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها، وكان الصديق رضي الله عنه معروفاً بالمعروف له الفضل والايادي على الأقارب والأجانب. تفسير ابن كثير(٣/٢٨٤).

(٢) في فضل أبي بكر الصديق ما رواه الترمذي باب في فضل أبي بكر الصديق في فضائل الصحابة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" ما لأحد عندنا يداً إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مالاً قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن صاحبكم خليل الله". قال الترمذي حديث حسن غريب، وقال الذهبي: أسلم أبا بكر يوم أسلم وله أربعون ألف دينار.
تاريخ الإسلام وفيات سنة(١٣).

(٣) لما نزلت هذه الآية إلى قوله تعالى﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك، وكما تصفح يصفح الله عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبداً، فلهذا كان الصديق هو الصديق رضي الله عنه وعن ابنته.

﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: مع كمال قدرته، فتخلقوا بأخلاقه.

روي أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر، فقال: بلى أُحب. ورجع إلى مسطح نفقته.

﴿إنَّ الذينَ﴾: العفاف.

﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ﴾[(١)]: مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله، استباحة لعرضهم، وطعناً في الرسول عليه الصلاة والسلام، والمؤمنين، كابن أبي.

﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ﴾[(٢)]: كما طعنوا فيهن.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: لعظم ذنوبهم، وقيل: هو حكم كل قاذف، ما لم يتب.

وقيل: مخصوص بمن قذف أزواج النبي ﷺ.

ولو فتشت وعيد القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في الإفك على عائشة.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾[(٣)] ظرف كما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لأنه موصوف.

وقرأ حمزة والكسائي[(٤)]: بالياء للتقديم والفصل﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا

تفسير ابن كثير(٣/٢٨٤).

(١) هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات خرج مخرج الغالب فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما التي كانت سبب النزول وهي عائشة بنت الصديق (رضي الله عنهما).

وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية فإنه كافر لأنه معاند للقرآن. وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهي والله أعلم.تفسير ابن كثير(٣/٢٨).

(٢) في قوله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ﴾ روي ابن أبي حاتم أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن حراس عن العوام عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزلت في عائشة خاصة، وكذا قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقال: حدثنا أحمد بن عبده الضبي حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: رميت بما رميت وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك. تفسير ابن كثير(٣/٢٨٥).

(٣) روي ابن أبي حاتم وأبن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: " إذا كان يوم القيامة عرف الظافر بعمله فيجحد ويخاصم فيقال هؤلاء جيران يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمهم الله فتشهد عليهم أيديهم وألسنتهم ثم يدخلهم النار.

المرجع السابق(٣/٢٨٦).

(٤) علي بن حمزة بن عبد الله بن قيس بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي الكسائي، النحوي، شيخ القراءة

﴿يَعْمَلُونَ﴾ يعترفون بها، بإنطاق الله إياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها.

وفي ظهور ذلك مزيد تهويل للعذاب.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ جزاءهم المستحق. لمعاينتهم الأمر ﴿أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (١).

الثابت بذاته، الظاهر الوهيته، لا يشاركه في ذلك غيره، ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه. أو ذو الحق البين - أي العادل الظاهر عدله.

ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾: أي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس، وكـــذلك أهل الطيب(٢). فيكون كالدليل على قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾: يعني أهل بيت النبيﷺ، أو الرسول وعائشة، وصفوان.

﴿مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾(٣) إذ لم يصدق أنها زوجته ولم يقرر عليه. وقيل: الخبيثات والطيبات من الأقوال. والإشارة إلى الطيبين. والضمير في يقولون للأفكين -أي مبرأون مما يقولون فيهم- أو للخبيثين والخبيثات- أي مبرأون من أن يقولوا مثل قولهم.

والنحاه، نزل بغداد وأدب الرشيد ثم ولده الأمين، أخذ القراءة عن حمزة الزيات ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلة، وروى عن جعفر الصادق والأعمش وسليمان بن أرقم، وأبي بكر بن عياش ترجمة: تهذيب التهذيب (٣١٣/٧)، تاريخ البخاري الكبير (٢٦٨/٦)، الأنساب (٩٩/١١)، نسيم الرياض (١٨٢/١)، معجم المؤلفين(١٨٤/٧) الجرح والتعديل (١٨٢/٦).

(١) سورة النور (٢٥).

(٢) قال ابن عباس: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، والطيبات من القول للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من القول، قال: ونزلت في عائشة وأهل الإفك، وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن بن أبي الحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير. تفسير ابن كثير(٢٨٦/٣).

(٣) وجه هذا أن الكلام القبيح أولى بأهل القبح من الناس، والكلام الطيب أولي بالطيبين من الناس فما نسبة أهل النفاق إلى عائشة من كلام هم أولى به وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم، ولهذا قال تعالى ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:" الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء". المرجع السابق (٢٨٦/٣).

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[١] يعني الجنة.ولقد برأ الله أربعة بأربعة:- برأ يوسف عليه السلام[٢] بشاهد من أهلها. وموسى عليه السلام[٣] من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه، ومريم بإنطاق ولدها، وعائشة (رضي الله عنها) هذه الآيات مع هذه المبالغات، وما ذاك إلا لإظهار منصب الرسول ﷺ، وإعلاء منزلته. انتهى، أقول[٤]: وأفضل هذه التبرئات كان لعائشة الصديقة (رضي الله عنها) خصها الله تعالى به بمزيد تطهير لبيت النبوة، وتكذيباً للمنافقين الكفرة، وأسأل الله تعالى أن يرزقنا شفاعة أهل البيت ويحشرنا في زمرتهم، بجاه النبي ﷺ، ويزيدنا من حبهم، ويسقينا من كأس صافي ورده.

الباب السابع
فيما ذكره الشيعة في تفسير هذه الآيات الكريمة المحكمة

وإنما لم أتعرض في الكتاب لأقوال غير الصافي من الشيعة[٥] لعدم الحصول بالاطلاع على

---

(١) ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي عند الله في جنات النعيم وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة. انظر ما تقدم.

(٢) في قصة سيدنا يوسف عليه السلام قال ابن عباس: كان من خاصة الملك، وقال ابن زيد بن أسلم والسدي كان ابن عمها، وعن ابن عباس: كان صبياً في المهد وكذا روي عن أبي وهلال بن يساف والحسن وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم أنه كان صبياً في الدار، واختار بن جرير.

(٣) يقصد ما كان من اليهود من قولهم على سيدنا موسي عليه السلام لما كان منه التستر لا يرى من جلده شيء فقالوا: ما تستر إلا من عيب في جلده إما برص وإما أدره وإما آفة، فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فعدا الحجر بثوبه فأخذ موسى يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه أحسن ما خلق الله عز وجل وأبرأه الله مما يقولون. وانظر ما رواه البخاري (٤٧٩٩) كتاب تفسير القرآن ١٠-باب قوله﴿لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ وفي كتاب أحاديث الأنبياء، وباب (٣٠) رقم الحديث(٣٤٠٤).

(٤) في تبرئة سيدنا عيسى عليه السلام، قال الله تعالى:﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ﴾ أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ تبرئة لأمه مما نسبت إليها من الفاحشة قال: نوف البكالي لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتضع ثديه فنزع الثدي من فمه واتكأ على جنبه الأيسر وقال:﴿ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ الآية تفسير ابن كثير (١٢٣/٣).

(٥) أئمة الشيعة من آل البيت هم :

١- علي بن أبي طالب رضي الله عنه، توفي(٤٠)هـ.

٢- الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، توفي(٤٩)هـ.

٣- الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، توفي(٦١)هـ.

غيره، قال الصافي في تفسيره[١]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾: بأبلغ ما يكون من الكذب.

﴿عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾: جماعة منكم.

﴿لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾: استئناف، والهاء للإفك.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لاكتسابكم به الثواب العظيم.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾: بقدر ما خاض فيه.

﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: وعظمه.

﴿منهم﴾: من الخائضين.

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في "الجوامع" وكان سبب الإفك أن عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق[٢]، وكانت قد خرجت لقضاء حاجة، فخرجت طالبة له، وحُمل هودجها، على بعيرها ظناً منهم أنها فيه، فلما عادت إلى الموضع، وكان صفوان من وراء الجيش[٣]، فلما وصل إلى الموضع وعرفها، أناخ بعيره حتى ركبته وهو يسوقه حتى أتى الجيش،وقد نزلوا

٤- علي زين العابدين ابن الحسين ﷺ، توفي(٩٤)هـ.

٥-محمد بن علي زين العابدين الباقر ﷺ، توفي (١١٧)هـ.

٦- جعفر بن محمد بن علي زين العابدين، الصادق ﷺ، توفي(١٤٨)هـ.

٧- موسى بن جعفر الصادق، الكاظم، (١٨٣)هـ.

٨- علي الرضا، توفي(٢٠٣)هـ. ٩- محمد الجواد التقي، توفي(٢٢٠)هـ.

١٠- علي الهادي النقي(٢٥٤)هـ. ١١- الحسن العسكري(٢٦٠)هـ.

١٢- محمد المهدي (الإمام المنتظر).

انظر: "الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية"(ص٢٦٩)

(١) انظر: ما تقدم من التفسير من ابن كثير وغيره من كتب الصحاح.

(٢) قال الذهبي: قال سليمان: ثنا حماد بن زيد، عن معمر، والنعمان بن راشد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة (ﷺ)، أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، قالت: فأقرع بيننا في غزاة المريسيع، فخرج سهمي، فهلك فيَّ من هلك وكذا قال ابن إسحاق والواقدي وغيرهما إن حديث الإفك كان في غزوة المريسيع، وروي عن عباد بن عبد الله قال: قلت يا أماه حدثيني حديثك في غزوة المريسيع. تاريخ الإسلام حوادث سنة(٥).

(٣) قالت عائشة: وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأي سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان قد رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش. تفسير ابن كثير(٣/٢٧٧).

في قائم الظهيرة، قال: كذا رواه الزهري[1] عن عائشة، وقال القمي: روت العامة:أنها نزلت في عائشة وما رُميت به في بني المصطلق من خزاعة وأما الخاصة: فإنهم رووا أنها نزلت في ماريه القبطية، وما كانت رمتها به عائشة، ثم روى عن الباقر[2] قال: لما هلك إبراهيم ابن رسول اللهﷺ حزن عليه رسول الله ﷺ حزناً شديداً فقالت له عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريج، فبعث رسول اللهﷺ علياً وأمره بقتله[3]، فذهب علي ومعه سيفه وكان جريج القبطي في حائط فضرب على علي باب البستان فأقبل جريج ليفتح له الباب، فلما رأى علياً عرف في وجهه الغضب، فأدبر وأختبأ، ولم يفتح باب البستان، فوثب علي على الحائط، ونزل إلى البستان، واتبعه، وولي جريج مدبراً، فلما خشي أن يرهقه، صعد في نخلة، وصعد علي في أثره، فلما دنا منه رمي بنفسه من فوق النخلة وبدت عورته، فإذا ليس له من الرجال، ولا من النساء، فانصرف علي إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله، إذا بعثتني في أمر أكون فيه كالمسمار المحمي في الوبر، أمضي على ذلك، أم أثبت؟، قال بل أثبت، قال: والذي

---

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، أحد الأعلام وحافظ زمانه، طلب العلم في أواخر عصر الصحابة، فروى عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك، ومحمود بن الربيع وعبد الرحمن بن أزهر وأبي الطفيل وسنين أبي جميلة وربيعة بن عباد وعبد الله بن ثعلبة وكثير بن العباس بن عبد المطلب وخلق كثير، وعنه: صالح بن كيسان، وعقيل ومعمر، ويونس والأوزاعي ومالك والليث بن سعد وشعيب وخلائق، وروى عنه الكبار: عمر بن عبد العزيز وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار، وعمرو بن شعيب وزيد بن أسلم، توفي سنة (١٢٥،١٢٤،١٢٣). تاريخ الإسلام وفيات(١٢١-١٣٠).

(٢) الباقر هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، أبو جعفر الباقر سيد بني هاشم في زمانه، روى عن جديه الحسن والحسين وعائشة وأم سلمة وابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري وجابر، وسمرة بن جندب وطائفة وعنه ابنه جعفر الصادق، وعمرو بن دينار والأعمش وابن جريج والاوزاعي وآخرون، وكان أحد من جمع العلم والفقه والشرف والديانة والثقة والسؤدد، وكان يصلح للخلافة وهو أحد الاثني عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، ولا عصمة إلا لنبي وقولهم الباقر من بقر العلم أي شقة فعرف أصله وخفيه، توفي سنة(١١٧).
تاريخ الإسلام وفيات سنة (١١٠-١٢٠).

(٣) توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ وهو ابن سنة ونصف وغسله الفضل بن العباس ونزل قبره الفضل وأسامة بن زيد، فيما قيل، وكان أبيض مسمنا، كثير الشبه بوالده ﷺ، وقد روى البخاري(٨٥/٢) ومسلم (٢٣١٥) قال أنس: فلقد رأيت إبراهيم بين يدي رسول الله ﷺ يجود بنفسه، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: "تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب والله يا إبراهيم إنّا بك لمحزونون" .

بعثك بالحق ما له ما للرجال، وما له ما للنساء[١]، فقال: الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت وهذه الرواية أوردها القمي بعبارة أخرى في سورة الحجرات عند قوله تعالى﴿**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[٢]، وزاد: فأتى به رسول الله ﷺ فقال له: ما شأنك يا جريج؟ فقال: يا رسول الله إن القبط يحمون حشمهم ومن يدخل إلى أهاليهم، والقبطيون لا يأنسون إلا بالقبطيين، فبعثنى أبوها لأدخل إليها، وأخدمها وأوانسها أقول: إن صح هذا الخبر، فلعله إنما بعث علياً إلى جريج ليظهر الحق ويصرف السوء [٣] وكان قد علم أنه لا يقتله ولم يكن يأمر بقتله بمجرد قول عائشة، يدل على هذا ما رواه القمي في سورة الحجرات عن الصادق أنه سئل: كان رسول الله ﷺ أمر بقتل القبطي[٤]، وقد علم أنها كذبت عليه أولم يعلم، وإنما دفع الله عن القبطي القتل بتثبيت علي، فقال: بلى، قد كان والله علم، ولو كانت عزيمة[٥] من رسول الله ﷺ القتل، ما رجع حتى قتله، ولكن إنما فعل رسول الله ﷺ لترجع عن ذنبها، فما رجعت، ولا اشتدت عليها، قتل رجل مسلم بكذبتها.

﴿**لولا**﴾:- هلا.

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه[٥٩-(٢٧٧١)] كتاب التوبة،١١-باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة، عن أنس أن رجلاً كان يتـهم بأم ولد رسـول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لعلي:" اذهب فاضرب عنقه" فآتاه على فإذا هو في ركيٍّ يتبرد فيه، فقال له علي: اخرج فناوله يده فأخرجه ، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف علي عنه، ثم أتى النبي ﷺ فقال:يا رسول الله إنه لمجبوب ما له ذكر.

(٢) سورة الحجرات(٦)، قال ابن كثير في تفسيرها(٢٠٨/٤):- يأمر الله تعالى بالتثبيت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهي الله ﷻ عن اتباع المفسدين ومن هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر وقبلها آخرون لانا إنما أمرنا بالتثبيت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال، وقد ذكر كثير من المفسرين أنها نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط. (انظر القصة في تفسير ابن كثير).

(٣) قال النووي في حديث أنس المتقدم في صحيح مسلم" أن رجلاً كان يتهم بأم ولده ﷺ فأمر علياً رضي الله عنه أن يذهب يضرب عنقه فذهب فوجده يغتسل في ركي وهو البئر فرآه مجبوباً فتركه قيل لعله كان منافقاً ومستحقاً للقتل بطريق آخر وجعل هذا محركاً لقتله بنفاقه لا بالزنا وقد علم انتفاء الزنا، والله أعلم. شرح مسلم للنووي(١٠٠/١٧)- طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) القبط: كلمة يونانية الأصل بمعنى سكان مصر، ويقصد بهم اليوم المسيحيون من المصريين، وجمعها: أقباط.

(٥) عزم فلان عزماً، وعزيمة: جدَّ، عزم الأمر وعزم عليه: أراد فعله وعقد عليه نيته.

﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾[1] كما يقول المستيقين المطلع على الحال، وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ، وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين، والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم، كما يذبون عن أنفسهم.

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ [2] فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: قيل استئناف، أو هو من جملة المقول تقديراً لكونه كذباً فإن ما لا حاجة عليه مكذب عند الله أي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه[3].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى: ولولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم من جملتها الإمهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقررين لكم.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: عاجلاً

﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: قضيتم فيه.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: يستحقر دونه اللوم والجلد.

---

(١) قال البيضاوي في تفسيره ص٤٦٤:- كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة... إلى آخر كلامة وفي آخره وإنما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لأنه منزل منزلته من حيث أنه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه مالا يتسع في غيره وذلك لأن ذكر الظرف أهم فإن التخصيص على أن لا يخلو بأوله وقالوا: هذا إفك مبين.

(٢) اتفق العلماء على أن القاذف إذا أتى بأربعة من الشهود العدول من الرجال العقلاء يشهدون عليها بما رماها لا يقام عليه الحد، ولا يعتبر قاذفًا، ويثبت الزنا لأنه صادق في قوله ويقام الحد على الزانية إذا تمت الشهادة عليها بشروطها.

واتفقوا أيضًا على أن الشهادة على الزنا لا تثبت إلا بأربعة شهداء بقوله تعالى:﴿واللاتِي يأْتِينَ الفَاحِشة مِنْ نِسَائِكو فَاستَشْهِدُوا عَلَيهِن أَرْبَعة منْكُم﴾.

الفقه على المذاهب الأربعة(٥/١٧٥).

(٣) إذا قل عدد الشهود عن أربعة قال المالكية: إذا كان الشهداء أقل من أربعة اعتبروا قذفه، ويقام عليهم حد القذف، ويجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة، وقال الحنفية والحنابلة والشافعية في بعض أقوالهم: إذا كان الشهود أقل من أربعة فلا يعتبرون قذفه ولا يقام عليهم حد القذف لأنهم جاءوا شاهدين لا قاذفين، فلا ذنب لهم، ويسد باب الشهادة بالزنا، وقال الشافعية في قولهم الثاني: لو شهد في مجلس الحاكم دون أربعة من الرجال بزنا أحد الناس يقام عليه الحد في الأظهر من الذاهب.

الفقه على المذاهب الأربعة(٥/١٧٦).

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾[١]: يأخذه بعضكم عن بعض بالسؤال عنه.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾: بلا مساعدة من القلوب.

﴿مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾: سهلا لا تبعة له.

﴿وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾: في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام.
مترتبة علق بهامس العذاب العظيم[٢].

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا﴾: ما ينبغي وما يصح لنا.

﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ﴾: تعجب ممن يقول ذلك، فإن الله ينزه عند كل مستعجب من أن يصعب عليه، أو تنزيه الله من أن يكون حرمة نبيه فاجرة، فإن فجورها تنفير عنه، بخلاف كفرها.

﴿هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾: لعظم المبهوت عليه.

﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣]:فإن الإيمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع.

﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا[٤].

﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾: بالأحوال كلها.

﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا

---

(١) وأكمل البيضاوى فقال: إذ ظرف لمسكم أو أفضتم تلقونه بألسنتكم والمعنى يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرء تتلقونه على الأصل وتلقونه من لقيه إذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة ، وتلقونه من إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه أي تتبعونه،﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ أى وتقولون كلاما مختصا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب.تفسير البيضاوي (ص٤٦٤).

(٢) وقال البيضاوي تكملة لما ذكر: تلقي الإفك بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي لنا يصح أن تتكلم بهذا يجوز أن تكون الإشارة إلى القول المخصوص وأن تكون إلى نوعه، فإن قذف آحاد الناس محرم شرعاً فضلاً عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله ﷺ.

(٣) يعظكم الله أن تعودوا لمثله أو في أن تعودوا أبداً ما دمتم أحياء مكلفين إن كنتم مؤمنين، فإن الإيمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع. تفسير البيضاوي (ص٤٦٤).

(٤) انظر تفسير البيضاوي (ص٤٦٥).

﴿وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1]: في الكافي والآمال والقمي:- عن الصادق قال:- من قال في المؤمن ما رأته عيناه، وسمعته أذناه، فهو من الذين قال الله عز وجل. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ.... الآية﴾: في الكافي عن الكاظم[2] أنه قيل له: الرجل من أخوتي بلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات. فقال: كذب سمعك وبصرك من أخيك، وإن شهد عندك خمسون قمامة. وقال لك قولا، فصدقه وكذبهم، ولا تذيعن عليه شيئا تشينه به، وتهدم به مروءته، فتكون من الذين قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ..... الآية﴾.

وعن الصادق[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «من أذاع فاحشة كان كمبديتها»

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: تكرر للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة، وحذف الجواب للاستغناء عنه بذكره مرة.

﴿وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: بإشاعة الفاحشة[4].

---

(١) إن الذين يحبون يريدون أن تشيع أن تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير إلى غير ذلك والله يعلم ما في الضمائر وأنتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته.... الخ .تفسير البيضاوي(ص٤٦٥).

(٢) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، أبو الحسن، الهاشمي العلوي، المدني، الكاظم، صدوق،عابد، أخرج له الترمذي وابن ماجة، توفي سنة(١٨٣).

ترجمته: تهذيب التهذيب(٣٣٩/١٠)، تقريب التهذيب(٢٨٢/٢)، الكاشف(١٨٢/٣)، الجرح والتعديل(٦٢٥/٨)، ميزان الاعتدال(٢٠١/٤)، لسان الميزان(٤٠٢/٧)، نسيم الرياض(١٦٧/٢)، الضعفاء الكبير(١٥٦/٤)، تاريخ بغداد(٢٧/١٣).

(٣) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، القرشي، الهاشمي العلوي، المدني، الصادق، فقيه، إمام، صدوق، أخرج له: البخاري في الأدب، ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي(١٤٨، ١٤٠).

ترجمته: تهذيب التهذيب(١٠٣/٢)، تقريب التهذيب (١٣٢/١)، الكاشف(١٨٦/١، تاريخ البخاري الكبير (١٩٨/٢)، الجرح والتعديل(١٩٨٧/٢)، ميزان الاعتدال(٤١٤/١)، لسان الميزان (١٩٠/٧)، الثقات (١٣١/٦)، سير الأعلام (٢٥٥/٦)، الوافي بالوفيات (١٢٦/١١).

(٤) قال البيضاوي: وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكونها ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾بيان لعلة النهي عن اتباعه.

تفسير البيضاوي(ص٤٦٥).

وفي المجمع: عن علي خطأت بالهمزة.

﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾: الفحشاء: ما أفرط في قبحه، والمنكر: ما أنكره الشرع أو العقل.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُه﴾: بالتوفيق للتوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها.[١]

﴿مَا زَكَا﴾: ماطهر من دنسها.

﴿منكُم مِّنْ أَحَد أَبَدًا﴾: آخر الدهر.

﴿وَلَكنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾: بحمله على التوبة وقبولها.

﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾: لمقالتهم.

﴿عَليمٌ﴾: بنياتهم.

﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾: ولا يحلف من الألية على وزن فعلة بمعنى اليمين، أو ولا يقصر في الألو[٢].

﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾: الغنى.

﴿منكُمْ وَالسَّعَة﴾: في المال.

﴿أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[٣]: في الجوامع: قيل نزلت في جماعة من الصحابة حلفوا ألا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ولا يواسوهم.

﴿وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: القمي عن الباقر[٤]: أولي

---

(١) لا يستوفي حد القذف إلا بحضرة الإمام أو نائبه لاحتياجه إلى النظر والاجتهاد في شأنه ومن تكرر منه السرقة أو الزنا أو الشرب فحد فهو للكل، وتتداخل الحدود،أما لو زنى وسرق وقذف وشرب، فإنه يحد على كل واحد منها حداً على حده لأنه لو ضرب لأحدهما فربما اعتقد أنه لا حد في الباقي، فلا ينزجر عنها ولا كذلك إذا اتحدت الجناية، وفي إقامة الحدود تأديب للمؤمنين وتربية لنفوسهم على الخير، والبعد عن مواطن الشر، وتطهير لألسنتهم والتحفظ بها عن الخوض في أعراض الناس. الفقه على المذاهب الأربعة(٥/١٨٣،١٨٨).

(٢) قال البيضاوي: ويؤيد الأول أنه قرئ ولا يتأل، وأنه نزل في أبي بكر وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾ منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل أبي بكر ﷺ وشرفه. تفسير البيضاوي(ص٤٦٥).

(٣) انظر تفسير البيضاوي(٤٦٥) وتقدم تخريجه من تفسير ابن كثير.

(٤) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، أبو جعفر الباقر سيدبني هاشم في =

القربى هم قرابة رسول الله ﷺ، يقول يعفو بعضكم عن بعض، ويصفح بعضكم عن بعض. فإذا فعلتم كانت رحمة من الله لكم.

يقول: ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ.... الآية﴾: وفي المجمع: عن النبي ﷺ: ﴿ولتعفوا ولتصفحوا﴾ بالتاء كما روي بالياء أيضاً.

وفي المناقب: ما سبق عند تفسير ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾[1] من سورة المؤمنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ﴾: مما قذفت به.

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾: بالله ورسوله.

﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾: كما طعنوا فيهن[2].

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: لعظم ذنوبهم.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾: وقرئ بالياء.

﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بإنطاق الله إياها بغير اختيارهم.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾: جزاؤهم المستحق.

﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: لمعاينتهم الأمر.

﴿أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[3]: العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه في الكافي

زمانه، روى عن جديه الحسن والحسين وعائشة وأم سلمة وابن عباس وابن عمر وابي سعيد الخدري وجابر وسمرة بن جندب، وعبد الله بن جعفر عن أبيه وسعيد بن المسيب، وطائفة، وعنه: ابنه جعفر الصادق وعمر بن دينار والأعمش وابن جريج والأوزاعي ومرة بن خالد ومخول بن راشد وحلرب بن سريح والقاسم بن الفضل الحراني، وآخرون، وكان مولده سنة(٥٦) ووفاته سنة(١١٧). انظر تاريخ الإسلام وفيات(١١١- ٢٠).

(١) سورة المؤمنون(٦٢). قال ابن كثير: يقول الله تعالى مخبراً عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها أي إلا ما تطيق حمله والقيام به وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شئ ولهذا قال: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ يعني كتاب الأعمال. تفسير ابن كثير(٣/٢٥٦).

(٢) إن الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعناً في الرسول ﷺ والمؤمنين كابن أُبي لعنوا في الدنيا والآخرة كما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم، وقيل: هو حكم كل قاذف ما لم يتب، وقيل: مخصوص بمن قذف أزواج النبي ﷺ قال ابن عباس: (رضي الله عنهما) لا توبة له، ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل في إفك عائشة. تفسير البيضاوي(ص٤٦٦).

(٣) قال البيضاوي في تفسيره ص٤٦٦: الثابت بذاته الظاهرة ألوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر

عن الباقر: ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب.
وقد مضى تمام الحديث في هذه الصورة.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾[1]:

في المجمع عنهما: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء.

قالا: هي مثل قوله:﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾[2].

إلا أن ناساً لبقوا أن يتزوجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك، وكره ذلك لهم.

وقيل: الخبيثات والطيبات من الأقوال والكلم.

القمي يقول:الخبيثات من الكلام والعمل للخبيثين من الرجال والنساء يسلمونهم ويصدق عليهم من قال: والطيبون من الرجال والنساء للطيبات من الكلام والعمل.

وقد مر ما يقرب هذا من سورة الأنفال هذه الآية.

وفي الاحتجاج عن الحسن المجتبى[3]،وقد قام من مجلس معاوية وأصحابه، وقد ألقمهم الحجر.

= على الثواب والعقاب سواه وذو الحق البين أي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة.

(١) انظر تفسير البيضاوي(ص٤٦٦).

(٢) سورة النور(٣). وقال ابن كثير: هذا خبر من الله تعالى بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة أي لا يطاوعه على مراده من الزنا إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمه ذلك وكذلك﴿وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ﴾ أي عاص بزناه،﴿أَوْ مُشْرِكٌ﴾ لا يعتقد تحريمه قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ:﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ قال: ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع لا يزني بها إلا زان أو مشرك وهذا إسناد صحيح عنه.
تفسير ابن كثير(٢٧٠/٣).

(٣) الحسن بن علي بن أبي طالب، ابو محمد، ريحانة الرسول، الهاشمي القرشي، سبط رسول الله ﷺ، صحابي جليل أخرج له: أصحاب السنن الأربعة توفي سنة (٤٩،٥٠).
ترجمته: تهذيب التهذيب(٢٩٥/٢)، تقريب التهذيب(١٦٨/١)، الكاشف(٢٢٤/١)، تاريخ البخاري الكبير(٢٨٦/٢)، الجرح والتعديل(٧٣/٣)، أسد الغابة(١٠/٢)، الإصابة(٦٨/٢)، الوافي بالوفيات (٩٢/١٢)، سير الأعلام (٢٤٥/٣)، تجريد أسماء الصحابة(١٣٠/١)، البداية والنهاية(١١/٨)، الثقات(٦٧/٣).

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾:هم والله يا معاوية أنت وأصحابك، هؤلاء وشيعتك.

﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ......إلى آخر الآية﴾،هم علي بن أبي طالب [١] وأصحابه وشيعته.

﴿أُولَئِكَ﴾: يعني الطيبين والطيبات على الأول، والطيبين على الآخر.

﴿مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: فيهم أو عن أن يقولوا مثل قولهم.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: انتهى.

شهادة من صاحب المجمع عنها على أن السيدة عائشة الصديقة المبرأة (رضي الله عنها)[٢]،طيبة طاهرة تقية نقية، وذلك لأنه فسر قوله تعالى﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ بالخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال.

والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء.

وقد كانت السيدة عائشة الصديقة زوجة للنبي (صلى الله عليه وآله وســـلم)[٣]، وهو أطيب الطيبين من الرجال بالاتفاق.

فبالضرورة تكون طيبة لأن كون الطيبات للطيبين، صح مسلماً بنص القرآن.

وكون السيدة عائشة الصديقة زوجة له عليه وآله الصلاة والسلام، متفق عليه بالتسليم

---

(١) قال سفيان الثوري: عن الأسود بن قيس عن سعيد بن عمرو قال: خطبنا على فقال:إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في الإمارة شيئاً رأى رأيناه فاستخلف أبو بكر فقام واستقام ثم استخلف عمر فقام واستقام، ثم ضرب الدين بجرانه، وإن أقواماً طلبوا الدنيا، فمن شاء الله أن يعذب منهم عذب، ومن شاء أن يرحم رحم. تاريخ الإسلام للذهبي(٣١-٤٠)

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٧٧٥)٦٢- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا حماد، وحدثنا هشام عن أبيه قال:كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة فاجتمع صاحبي إلى أم سلمة فقلت:يأم سلمة والله أن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان ....وفي آخره فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال:" يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها".

(٣) قال الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات(٥١/٦٠): كان مسروق إذا حدث عن عائشة (رضي الله عنها) قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سماوات، فلم أكذبها، وقال أبو إسحاق السبعيني:" عن عمرو بن غالب أن رجلا نال من عائشة(رضي الله عنها)، عند عمار بن ياسر فقال: أغرب مقبوحاً منبوحاً أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ". صححه الترمذي.

فتكون هي طيبة أيضاً. ويرتب قياس من الشكل الأول.

هكذا عائشة الصديقة للنبي الطيب، وكل ما كان للنبي أطيب طيب بنص القرآن.

ينتج عائشة الصديقة طيبة بنص القرآن وهو المطلب.

رد:

وأما نقله عن سيدنا الحسن بحق سيدنا معاوية[1] (رضي الله عنهما)فلا أصل له.

يرده ما نقلة الصافي نفسة عن الصادق المتقدم.

وهو من قال في المؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه، فهو من الذين قال الله عز وجل:"إن الذين يحبون......... الآية".

وعن الكاظم[2] وهو أنه قيل له: الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه فاسأل عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات.

فقال: كذب سمعك وبصرك من أخيك، وإن شهد عندك خمسون قسامة.

وقال لك قولا فصدقه وكذبهم، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مرؤته فتكون من الذين قال الله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ.......الآية**﴾.

وعن الصادق[3]، عن رسول الله ﷺ: وهو أنه قال:" من أذاع فاحشة كان كمبتديها".

---

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أبي أمية ابن عبد شمس، أبو عبد الرحمن الأموي، الخليفة القرشي، صحابي أسلم قبل الفتح وكتب الوحي، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة(٦٠).
ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/٢٠٧)، الكاشف(٣/١٥٧)، تاريخ البخاري الكبير(٧/٣٢٦)، الثقات (٣/٣٧٣)، أسد الغابة(٥/٢٠٩)، البداية والنهاية(٨/٢٩)، سير الأعلام(٣/١١٩)، الاستيعاب(٣/١٤١٦).

(٢) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي الحسيني (تقدمت ترجمته)، وقال أبو حاتم: ثقة إمام، وقال غيره: حج الرشيد فحمل معه موسى من المدينة إلى بغداد وأجلسه إلى أن توفي غير مضيق عليه، بلغنا أنه بعث إلى الرشيد برسالة يقول: إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون. تاريخ الإسلام وفيات (١٨١-١٩٠).

(٣) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الإمام العلم، أبو عبد الله الهاشمي العلوي الحسيني المدني، وهو سبط القاسم بن محمد، فإن أمه هى أم فروة ابنة القاسم، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان جعفر الصادق يقول: ولدني الصديق مرتين.
وثقه يحيى بن معين والشافعي وجماعة، قال أبو حاتم: ثقة لايسأل عن مثله. وحدث عنه أبو حنيفة وابن جريج وشعبة والسفيانان وسليمان بن بلال والداروردي وابن أبي حازم ومالك ويحيى القطان وخلـق كثير، وتوفي سنة(١٤٨). تاريخ الإسلام للذهبي وفيات(١٤١-١٥٠).

فلا يكون سيدنا الحسين ﷺ يشيع الفاحشة ، وهي الخبث.

وأي فاحشة أفحش منه متخلقه بما نقله الصافي عن الأئمة من أهــل البيت[١].

بيان:

إن ما أذكره في هذا الكتاب رد لما ينقله الصافي عن الأئمة رضوان الله عليهم[٢]، أو مخالفاً مبني على عدم صحة النقل عنهم ولا على الود عليهم فليحفظ، وليلاحظ في كثير من المواطن.

استدراكات:

الأول: أنه لم يذكر أحد من المحدثين، وأهل السند والتاريخ ممن اقتدى بالشيعة في ذكر هذه القصة أن المتهم للسيدة ماريه[٣] هو السيدة عائشة الصديقة(رضي الله تعالى عنها) كما ادعاه الصافي.

الثاني: أن الذي أهداها للنبي (صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم) المقوقس[٤] صاحب

---

(١) تعتقد الشيعة الإمامية في آل البيت وقد تقدم أسماء اثنى عشر منهم بداية من سيدنا علي بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين ثم علي بن الحسين الملقب بزين العابدين وابنه محمد بن علي (الباقر) ثم ولده جعفر الصادق ويليه ابنه موسى بن جعفر الملقب بالكاظم، ثم علي الرضا، ثم محمد الجواد التقي، ثم علي الهادي، ثم الحسن العسكري، ثم محمد المهدي والملقب بصاحب الزمان، وأيضاً الإمام المنتظر، وتسمى الشيعة الاثني عشرية.

انظر موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية(ص٢٦٥)

(٢) أهل السنة والجماعة هم الجماعة وهم الذين عناهم الرسول ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية فقال:"الجماعة" وقال:"ما أنا عليه وأصحابي" فكانت تسميتهم لذلك أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث، وأما أهل الأهواء هم الذين لا يتابعون الكتاب ويخالفون السنة ويخرجون عن الإجماع، وجميع فرق المخالفين من الشيعة والروافض والخوارج والقدرية والمرجئة والغلاة وغيرهم، كانوا كما وصفهم الله تعالى مفارقين للدين.

(٣) ذكر الذهبي حادث الإفك سنة خمسة هجرية بينما ذكر في سنة ثمان من الهجرة في ذكر رسل النبي ﷺ بعثه لحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية فمضى بكتاب رسول الله ﷺ فقبل الكتاب وأكرم حاطبا وأحسن نزله، وأهدى معه إلى النبي ﷺ بغلة وكسوة وجاريتين إحداهما أم إبراهيم- هي السيدة ماريه- والأخرى وهبها النبي ﷺ لجهم بن قثم، وفي رواية أخري للذهبي اهدى النبي ﷺ الثالثة لحسان بن ثابت والثانية لأبي جهم بن حذيفة العدوي.

انظر مختصراً من تاريخ الإسلام السنة(٨).

(٤) كتب رسول الله ﷺ فيما رواه الذهبي في تاريخ الإسلام سنة(٨)هـ: روى يونس بن بكير عن ابن عون عن عمير بن إسحاق قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى فمزقه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: أما =

الاسكندرية ومصر لا أبوها.

الثالث: إن الخصي أسمه مأبور، لا جريج وقيل: مأيو، وقيل: هابو.

وسيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى.

الرابع: أن سيدنا علياً لم يمتثل أمر النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) بقتله بعد أن تمكن منه.

الخامس: إن سيدنا علياً لم يكن يعرف أن جريج خصي، وإن لم يغضب ولم يخوفه ويردعه.

السادس: أن سيدنا علياً لو كان يعلم أن أمر النبي عليه وآله الصلاة والسلام بقتل جريج رخصة لا عزيمة من غير أن يخبره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان علم أن جريجاً خصي فلم يخوفه ولم يروعه.

السابع: أن رسول الله ﷺلم يكن يخبر علياً بأن قتل جريج مشروط بكونه غير خصي، وإلا لم يكن لقوله له عليه وآله الصلاة والسلام بعد رجوعه من البستان[١] إذا بعثتني في الأمر أمضي أم أثبت.

الثامن: إن قول النبي ﷺ لما قال له ما له ما للرجال، وما له ما للنساء الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت[٢] يكون دليلاً على أن الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يكن عالماً من قبل، بكون جريج خصياً.

التاسع: أنا لو جعلنا قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: الحمد لله على عدم قتل على جريجاً يكون النبي لا يعلم أن علياً لا يقتل جريج.

هؤلاء فسيكون لهم بقية،ثم ذكر ما تقدم من إرسال حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية. انظر تاريخ الإسلام للذهبي سنة(٨)هـــ.

(١) وجده وهو يغتسل في ركي- وهو البئر- فرآه مجبوباً فتركه، قال النووي في شرح مسلم وقد تقدم لفظه وفيه"فآتاه على فإذا هو في ركي يتبرد فيها فقال له علي: احرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف على عنه، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه لمجبوب ما له ذكر. انظر شرح مسلم للنووي (١٧/١٠٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) مصدقاً لقوله تعالى﴿**لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهن بسبب نزول هذه الآية وفي معناها روى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق"إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة. تفسير ابن كثير(٣/٤٩٨).

وقد قال الصافي: وكان- أي رسول الله ﷺ — قد علم أنه- أي علي -لا يقتله فيناقضه.

العاشر: أن قول علي (رضي الله تعالى عنه)[1] للنبي ﷺ: إذا بعثتني في الأمر أمضي على ذلك أم أتثبت بعد رجوعه يدل على أن علياً[2] لم يكن يعرف أن النبي (صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وسلم) لا يريد قتله.

الحادي عشر: أن قول الصافي رمى بنفسه من فوق النخلة، وبدت عورته يدل على أن كشف جريج عن نفسه كان بطريق الصدفة لا عن قصد.

الثاني عشر: أن في هذا الخبر تناقضاً، لأن قوله: فرمى بنفسه إلى آخره يدل على كون كشف مأبور عن عورته عن غير قصد،مع قوله بعد: وإنما فعل رسول الله لترجع عن ذنبها[3].

أي بتبين أنه خصي فيظهر أن تهمتها له على زعمه في غير محلها.

وتبين ذلك يقتضي كشف العورة، وهو يستلزم القصد. وأيضًا فإن القتل عنه متوقفاً عليه وذلك يستلزم أن يكون الإطلاع عن قصد أيضًا.

ولأن قوله فلما رأى عليًا عرف الغضب في وجهه يدل على أن عليًا لم يكن يعرف أن جريجًا غير خصي[4]. وإلا لما غضب مع إثباته له معرفة كون الأمر بقتل جريج رخصة لا عزيمة بدون تعريف فأثبت له العلم في شيء ونفاه عنه في آخر وأما ترك قتله بعد رؤيته إياه خصياً.

---

(١) من مناقب علي بن أبي طالب ﷺ ما رواه البخاري في صحيحه(٣٧٠٦)، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال النبي ﷺ لعلي:" أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى".

(٢) كان لعلي جماعته وهي أول فرقة من الشيعة العلوية، منهم المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر ، وهؤلاء كانوا منقطعين إليه ويقولون بإمامته، ويفرق المؤرخون بين هذا التشيع الذي ظهر مبكراً، واشتد أثناء فتنة عثمان وخروج علي لقتال طلحة والزبير وعائشة وبعد مقتل علي ﷺ، واستفحل بعد مقتل الحسين، والتشيع الإصطلاحي الذي تطور وصار مذهباً له أصوله وقواعده كالقول بوجوب الإمامة وعصمة الإمام والتقية.

موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية(ص٢٦٦).

(٣) يقصد بقوله: أي ترجع السيدة عائشة عن ذنبها فيما اتهمت به كما يدعي السيدة ماريه القبطية كما تقدم من كلام الشيعة وهذا كله كلام عار من الصحة فليس يفعل ذلك أم المؤمنين وحبيبة رسول الله ﷺ وابنة الصديق الأكبر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار ﷺ وعن ابنة الصديق أم المؤمنين.

(٤) خصاه، وخصاء: سلَّ خصيتيه ونزعهما فهو خاص، وذاك مخصي، وخصيٌ.

فلا يخلو إما أن يكون علم أن قتله مبني على تقدير كونه غير خصي، أولا.

فإن كان علم فهذا العلم أيضاً لا يخلو: إما أن يكون بواسطة قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله، أو بطريق الكشف.

فإن كان بواسطة قول النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام فلا معنى لقوله بعد ذلك له إذا بعثتني[١] إلى آخره.

وإن كان بطريق الكشف فلم علم ذلك، ولم يعلم أن مراد النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم عدم قتله فلا يقول له ذلك.

ولم يعلم أيضاً أنه خصي فلا يخوفه ولا يروعه بغير حق ولا يغضب.

وإن كان لم يعلم فلم لم يقتله، ويمتثل لأمر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ههنا تناقضات من جهات لا يمكن توفيقها.

الثالث عشر: أنه لا دليل على أن الآيات الكريمات المذكورة نزلت في حق السيدة ماريه (رضي الله تعالى عنها).

بل الدلائل المتعاضدة قائمة على خلافه، كما سيأتي.

الرابع عشر: أنه لا يمكن أن تكون الآيات المذكورة نزلت في حق السيدة ماريه لوجوه منها: أن السيدة مارية (رضي الله تعالى عنها) وصلت المدينة بعد نزول الآيات المذكورة لسنتين[٢] على ما سيأتي بيانه مع غيره إن شاء الله تعالى.

---

(١) في بعث على ﷺ وقد أعطاه رسول الله ﷺ وذلك مما رواه البخاري (٤٢١٠) كتاب المغازي، ٤٠- باب غزوة خيبر، باب فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، فدعا علياً فبعثه ثم قال: "اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت" قال علي: علام أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله".

(٢) قال الذهبي في حوادث سنة ثمان من الهجرة: بسنده عن حاطب بن أبي بلتعة قال: بعثني النبي ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية فجئته بكتاب رســول الله ﷺ فأنزلني في منزله، وأقمت عنده ثم بعث إلى وقد جمع بطارقته فقال: إني سأكلمك بكلام وأحب أن تفهمه منى قلت: نعم، هلم،قال: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبي؟ قلت: بلي هو رسول الله، قال: فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه، قلت، عيسي أليس تشهد أنه رسول الله، فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه إلى السماء الدنيا قال: أنت حكيم جاء من عند حكيم، هذه هدايا أبعث معك إليه، فأهدى ثلاث جوار منهن أم إبراهيم وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حذيفة العدوي وواحدة وهبها لحسان بن ثابت.

وسيأتي في الباب السادس عشر في نقد ما خالف فيه الشيعة أهل السنة[١] وتحقيقه رد هذا القول من أصله وبيان فساده. إن شاء الله تعالى.

الباب الثامن
فيما وافق فيه الشيعة أهل السنة[٢]
من تفسير هذه الآيات الكريمة

قال البيضاوي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾: بأبلغ ما يكون من الكذب

قال الصافي: بأبلغ ما يكون من الكذب.

البيضاوي:﴿عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾: جماعة منكم.

الصافي: جماعة منكم.

البيضاوي[٣]:﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: لاكتسابهم به الثواب العظيم.

الصافي: لاكتسابهم به الثواب العظيم.

البيضاوي:﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾: بقدر ما خاض فيه.

الصافي: بقدر ما خاض فيه.

---

(١) أهل السنة والجماعة تمسكوا بعروة الإسلام وحبل الدين واجتمعوا في أصولهم غير متفرقين، فكانوا هم أهل النجاة، لا الجماعة، يستعملون في الأدلة الشرعية كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة والقياس، ويجمعون بين جميعها في فروع الشريعة، ويحتجون بجميعها وما من فريق من فرق مخالفيهم إلا وهم يردون شيئا من هذه الأدلة فبان أن أهل السنة والجماعة هم أهل النجاة باستعمالهم جميع أصول الشريعة دون تعطيل شيئ منها.

وأهل السنة على أربعة مذاهب هي : المالكية والحنبلية والشافعية والحنفية، وكتبهم المعتمدة هي الصحاح الستة وهي: صحيح البخاري،صحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجة، وسنن النسائي.

موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية(ص٧٥،٧٦).

(٢) روى عن النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَومَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران]أن الذين تبيض وجوههم الجماعة، والذين تسود وجوههم هم أهل الأهواء، وأهل الأهواء هم الذين لا يتبعون الكتاب، ويخالفون السنة ويخرجون عن الإجماع، ويفرقون الأمة.

وجميع فرق المخالفين من الشيعة والروافض والخوارج. والقدرية والمرجئة والغلاة وغيرهم كانوا كما وصفهم الله تعالى مفارقين للدين، وأهل السنة والجماعة تمسكوا بعروة الإسلام وحبل الدين.

المرجع السابق(ص ٧٥).

(٣) انظر ما تقدم نقلا عن البيضاوي في تفسيره.

البيضاوي:﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾: معظمه.

الصافي: معظمه.

البيضاوي﴿مِّنْهُم﴾: من الخائضين.

الصافي: من الخائضين.

البيضاوي: والمراد ما أفك به على عائشة[١] (رضي الله عنها).

وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات[٢]،فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة، ثم عادت إلى الرحل، فلمست صدرها فإذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها أنها دخلت الهودج، فرحلها على مطيها، وسار.

فلما عادت إلى منزلها لم تجد ثمة أحد. فجلست كي يرجع إليها منشد. وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش[٣] فأدلج، فأصبح عند منزلها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش، فاتهمت به.

الصافي: وكان سبب الإفك أن عائشة(رضي الله عنها) ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق، وكانت قد خرجت لقضاء حاجة، فخرجت طالبة له، وحُمل هودجها على بعيرها ظناً منهم

---

(١) روى البخاري في صحيحه(٤٧٥١) كتاب تفسير القرآن،٧-بـاب قـوله ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان أم عائشة أنها قالت: "لما رميت عائشة خرت مغشياً عليها".

(٢) قال النووي:مما رواه مسلم [٥٦-(٢٧٧٠)] كتاب التوبة،١٠-باب في حديث الإفك، في قولها "كان رسول الله ﷺ إذا أرد سفراً أقرع بين نسائه، فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معها":هذا دليل لمالك والشافعي وأحمد وجماهير العلماء في العمل بالقرعة في القسم بين الزوجات وفي العتق والوصايا والقسمة ونحو ذلك.

شرح مسلم للإمام النووي(١٧-٨٦)طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) قال ابن حجر: قوله من وراء الجيش في رواية معمر، قد عرس من وراء الجيش ،وعرس بمهملات مشدداً أي نزل،قال أبو زيد" التعريس النزول في السفر أي وقتٍ كان ، وقال عيره: أصله النزول من آخر الليل في السفر للراحة، ووقع في حديث ابن عمر بيان سبب تأخر صفوان ولفظه سأل النبي ﷺ أن يجعله على الساقة فكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم فمن سقط له شيء أتاه به، وفي حديث أبي هريرة وكان صفوان يتخلف عن الناس فيصيب القدح والجراب والأدواة، وفي مرسل مقاتل بن حبان فيحمله فيقدم به فيعرفه في أصحابه.

فتح الباري(٣٧١/٨).

أنها كانت فيها[1]. فلما عادت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا. وكان صفوان من وراء الجيش، فلما وصل الموضع وعرفها أناخ بعيره حتى ركبته وهو يسوقه حتى أتى الجيش وقد نزلوا في قائم الظهيرة. قال: كذا رواه الزهري عن عائشة.

وقال القمي: روت العامة أنها نزلت في عائشة وما رميت به في غزوة بني المصطلق[2] من خزاعة.

البيضاوي: ﴿لَوْلَا﴾ هلا.

﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: إنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين، والكف عن الطعن فيهم، وذب الطاعنين عنهم، كما يذبون عن أنفسهم.

وقالوا: ﴿هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: كما يقول المستيقن المطلع على الحال.

الصافي: ﴿لَوْلَا﴾ هلا.

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾. كما يقول المستيقن المطلع على الحال.

وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة مبالغة في التوبيخ وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين[3]، والكف عن الطعن فيهم، وذب الطاعنين عنهم، كما يذبون عن أنفسهم.

---

(١) قال ابن حجر: في لفظ البخاري" فلم يستنكر القوم خفة الهودج" مرادها إقامة عذرهم في تحميل الهودج وهي ليست فيه فكأنها تقول كأنها لخفة جسمها بحيث أن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها ولهذا أردفت ذلك بقولها وكنت جارية حديثة السن أي أنها مع نحافتها صغيرة السن، فذلك أبلغ في خفتها، ويستفاد من ذلك أيضاً أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا في غاية الأدب معها والمبالغة في ترك التنقيب عما في الهودج بحيث أنها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه وكأنهم جوزوا أنها نائمة. فتح الباري(٨/٣٧٠).

(٢) هي غزوة بني المصطلق صرح بذلك محمد بن إسحاق في روايته وكذا أفلح بن عبد الله عند الطبراني، وعنده في رواية أبي أويس فخرج سهم عائشة في غزوة بني المصطلق من خزاعة ، وعند البراز من حديث أبي هريرة فأصابت عائشة القرعة في غزوة بني المصطلق. فتح الباري(٨/٨٦٣).

(٣) روى البخاري في صحيحه(٤٧٥٣)كتاب التفسير باب ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾الآية.من حديث ابن أبي مليكة قال:"استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت أخشى أن يثني علي: فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: أذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: إن اتقيت، قال: فأنت بخير إن شاء الله تعالى زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلفه فقالت: دخل ابن عباس فأثنى علي ووددت أني كنت نسياً منسيا".

البيضاوي:﴿لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾: من جملة القول تقريراً لكونه كذباً، فإن ما لا حجة عليه مكذوب عند الله- أي في حكمه - ولذلك رتب الحد عليه.

الصافي:وهو من جملة القول تقريراً لكونه كذباً، فإن ما لا حجة عليه مكذوب عند الله- أي في حكمه -ولذلك رتب الحد عليه.

وفي أصل الصافي" حاجة" بدلا من" حجة" كما سلف وهو غلط طبع لعدم معنى حاجة، ولوجود في الأصل،وهو البيضاوي حجة.

البيضاوي:﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ﴾: لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم(١).

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: عاجلاً.

﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: خضتم فيه.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: يستحقر دونه اللوم و الجلد(٢).

الصافي: لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره، والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرين لكم.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: عاجلاً.

﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾: قضيتم فيه.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: يستحقر دونه اللوم و الجلد، انتهى.

وفي أصل الصافي: إهمال بدل إمهال- كما مر- ولعله غلط طبع، وقضيتم بدل خضتم، وهو مثلها لظهور المعنى، ولوجودها في الأصل، وهو البيضاوي.

---

(١) انظر البيضاوي في تفسيره (ص٤٦٤).
وقال ابن كثير في تفسيره (٢٨٢/٣): أي الخائضون في شأن عائشة بأن قبل توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى دار الآخرة ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ من قضية الإفك.

(٢) البيضاوي في تفسيره (ص ٤٦٤).
قال ابن كثير (٢٨٢/٣): وهذا في من عنده إيمان يقبل الله بسببه التوبة كمسطح وحسان وحمنة بنت جحش- أخت زينب بنت جحش-، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأضار به فليس أولئك مرادين في هذه الآية، لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارض، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين يكون مطلقا مشروطا بعدم التوبة، أو ما يقابله من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه .

البيضاوي: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: والمعنى: يأخذه بعضكم عن بعض بالسؤال عنه[(١)].

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾[(٢)]: بلا مساعدة من القلوب.

﴿مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾: سهلا لا تبعة فيه.

﴿وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾: في الوزر واستجرار العذاب؛ فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم[(٣)].

الصافي: يأخذه بعضكم عن بعض بالسؤال عنه.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾: بلا مساعدة من القلوب.

﴿مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾: سهلا.

﴿وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾: في الوزر واستجرار العذاب؛ فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم.

البيضاوي: ﴿وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا﴾[(٤)]: ما ينبغي لنا وما يصح.

﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾: تعجب ممن يقول ذلك، وأصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من أن يصعب عليه، ثم قال: أو تنزيها لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه[(٥)] فاجرة، فإن فجورها ينفر عنه،ثم قال: بخلاف كفرها.

---

(١) وزاد البيضاوي: يقال : تلقى القول وتلقفه وتلقنه، وقرئ تتلقونه على الأصل، وتلقونه من لقيه الفقه، وتلقونه بكسر حرف المضارعة، وتلقونه من القائه بعضهم على بعض، وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب ، وتثقفونه من تثقفته إذا طلبته فوجدته، وتقفونه أي تتبعون أثره.
تفسير البيضاوي(ص ٤٦٤)؟

(٢) أي تقولون كلاما مختصا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب، ﴿مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ : لأنه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم، كقوله يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.
تفسير البيضاوي (ص ٤٦٤).

(٣) البيضاوي في تفسيره (ص ٤٦٤).

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٢٨٣/٣): أي ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ أي سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول الله وحليلة خليله، ثم قال تعالى:﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ أي ينهاكم الله متوعدا أن يقع منكم ما يشبه هذا أبدا، أي: فيما يستقبل؛ ولهذا قال:﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

(٥) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٣-٥١٨/٤) قصة حادث الإفك وفيه: فقام رسول الله ﷺ في الناس فخطبهم فقال:" أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت عليهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت عليه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتا من بيوتي إلا وهو معي" .

﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾: لعظمة المبهوت عليه.

الصافي: ما ينبغي وما يصح لنا.

﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾: تعجب من أن يصعب عليه، أو تنزيه لله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة، فإن فجورها تنفير عنه،بخلاف كفرها.

﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾: لعظمة المبهوت عليه.

البيضاوي[١]: ﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن الإيمان يمنع عنه، وفيه تهييج وتقريع.انتهى.

وفسر قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ الصافي: فإن الإيمان يمنع عنه، وفيه تهييج وتقريع.

البيضاوي: ﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾: الدالة على الشرائع، ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا[٢].

﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾: بالأحوال كلها، ﴿حَكِيمٌ﴾: في تدابيره.

الصافي: نص العبارة ذاتها.

البيضاوي[٣]: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة.

﴿وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة.

الصافي: تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة[٤].

---

(١) في تفسير البيضاوي(ص٤٦٥): :﴿يَعِظُكُمُ اللهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾: كراهة أن تعودوا لمثله أو في أن تعودوا، ﴿أَبَدًا﴾: ما دمتم أحياء مكلفين.﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يمنع عنه، وفيه تهييج وتقريع.

(٢) تفسير البيضاوي (ص ٤٦٥)، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٣-٤/٥١٩)، وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه:

لقــد ذاقَ حــسان الذي كان أهله ... وحمــنة إذ قالــوا هجيرا ومســـطح

تعطــوا برجــم الغيب زوج نبيهم ... وســخطه ذي العــرش الكريم فأترحوا

وآذوا رســول الله فيـــها فجللوا ... مخــازى تبقــى عممــوها وفضــحوا

وصــبت عليــهم محصدات كأنها ... شــآبيب قــطــر في ذرا المزن تسفح

(٣) انظر تفسير البيضاوي (ص٤٦٥).

(٤) قال القرطبي (١٢/٢٠١): حد حسان وأصحابه بالجلد وفي ذلك قال الشاعر من المسلمين:

لقد ذاقَ حــسان الذي كان أهله ... وحمنة إذ قالوا هجيرا ومســـطح

=

وحذف الجواب للاستغناء عنه بذكره مرة.

﴿وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

وفي اصل الصافي: عظيم عوض عظم كما سبق.

البيضاوي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: بإشاعة الفاحشة.

﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(١): بيان لعلة النهي عن اتباعه، والفحشاء: ما أفرط في قبحه، والمنكر: ما أنكره الشرع.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بتوفيق التوبة الماحية للذنوب، وشرع الحدود المكفرة لها.

﴿مَا زَكَا﴾: ما طهر من دنسها.

﴿منكُم مِّنْ أَحَد أَبَدًا﴾: آخر الدهر.

﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾: بحمله على التوبة وقبولها.

﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾: لمقالتهم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتهم.

الصافي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: بإشاعة الفاحشة.

﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(٢):و الفحشاء: ما أفرط قبحه، والمنكر: ما أنكره الشرع.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بتوفيق التوبة الماحية للذنوب، وشرع الحدود المكفرة لها.

﴿مَا زَكَا ﴾: ما طهر من دنسها.

=

وابن سلــول ذاق في الــحد خزية ... كما خاض في إفك من القول يفصح

تعطوا برجــم الغيب زوج نبيهم ... وسخطه ذي العرش الكريم فأترحوا

(١) هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح عبارة وأبلغها وأوجزها وأحسنها، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس :﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: عمله، وقال عكرمة: نزعاته، وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات الشيطان، وقال أبو مجلز: النذور في المعاصي من خطوات الشيطان، وقال مسروق: سأل رجل ابن مسعود فقال: إني حرمت أن آكل طعاماً وسماه فقال: هذا من نزعات الشيطان، كفر يمينك وكل. تفسير ابن كثير (٣/٢٨٤).

(٢) انظر: تفيسر البيضاوي (ص٤٦٥).

﴿منكم مِّنْ أَحَد أَبَدًا﴾(١): آخر الدهر.

﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾: بحمله على التوبة وقبولها.

﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾: لمقالتهم،﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتهم. انتهى.

وقد زاد " في" قبل "قبحه"، و"الواو" قبل "الماحية" على البيضاوي، ولعله غلط طبع، لأن العطف يقتضي المغايرة والقصد، إنما هو وصف التوبة بالمحو؛ فليحرر.

البيضاوي: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾(٢) ولا يحلف افتعال من الألية، أو ولا يقصر، من الألو. ويؤيد الأول أنه قرئ: ﴿ولا يتالَ﴾ وأنه نزل في أبي بكر، وقد حلف ألا ينفق على مسطح بعد، وكان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين.

﴿أُولُو الْفَضْلِ منكُمْ﴾(٣): في الدين.

﴿وَالسَّعَةِ﴾: في المال.

الصافي: ولا يحلف من الألية على وزن فعلية بمعنى اليمين، أو ولا يقصر من الألو.

﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾: الغنى، ﴿منكُمْ وَالسَّعَةِ﴾: في المال.

﴿أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾: في الجوامع: قيل نزلت في جماعة من الصحابة حلفوا ألا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك، ولا يواسوهم. انتهى.

وفي هذه الآية مخالفة بتفسير الفضل بالغنى يأتي بيانه إن شاء الله تعالى(٤).

---

(١) أي لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرا.
﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾: أي من خلقه، ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغي، وقوله: ﴿والله سميعٌ﴾ : أي سميع لأقوال عباده، ﴿عَليمٌ﴾: بمن يستحق منهم الهدى والضلال. تفسير ابن كثير(٣/٢٨٤).

(٢) قال ابن حجر: في قوله: " فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبي بكر" يؤخذ منه مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب ما دام احتمال عدمه موجود إلا أن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه. انظر: فتح الباري (٨/٣٨٧).

(٣) هذه الآية نزلت في الصديق ﷺ حين حلف ألا ينفع مسطح ابن أثاثة بنافعة أبدا بعدما قال في عائشة ما قال. فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من تكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أقيم عليه؛ شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة يعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن أثاثة. تفسير ابن كثير (٣/٢٨٤).

(٤) وتقدم من تفسير ابن كثير.

البيضاوي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾: مما قذفن به.

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾: بالله وبرسوله(١).

﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: كما طعنوا فيهن.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: لعظم ذنوبهم.

الصافي:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾: مما قذفن به.

﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾: بالله ورسوله.

﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: كما طعنوا فيهن.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: لعظم ذنوبهم.

البيضاوي: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾.

ثم قال: وقرأ حمزة والكسائي(٢) «بالياء» للتقدم والفصل.

﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعترفون بها بإنطاق الله إياها بغير اختيارهم.

الصافي: وقرئ بالياء ﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣): بإنطاق الله إياها بغير اختيارهم.

البيضاوي:﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾: جزاءهم المستحق.

---

(١) قال العوفي عن ابن عباس في الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية يعني أزواج النبي ﷺ رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي ﷺ.

(٢) الكسائي هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز، مولى بني أسد أبو الحسن الأسدي الكوفي الكسائي، شيخ القراء والنحاة، نزل بغداد وأدب الرشيد، ثم ولده الأمين، قرأ القرآن على حمزة الزيات أربع مرات، وقرأ أيضا على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عرضا.

وروى عن جعفر الصادق، والأعمش وسليمان ابن أرقم وأبي بكر بن عباس واختار لنفسه قراءة صارت إحدى القراءات السبع وتعلم النحو على كبر سنه، وخرج إلى البصرة وجالس الخليل، توفي سنة(١٩٨).

تاريخ الإسلام(وفيات ١٨١-١٩٠).

(٣) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إنهم- يعني المشركين -إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة قالوا تعالوا حتى نجحد فيجحدون فيختم على أفواههم وتشهد أيديهم وأرجلهم ولا يكتمون الله حديثًا. تفسير ابن كثير(٣/٢٨٦).

﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: لمعاينتهم الأمر.

﴿أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾. ثم قال: أو ذو الحق البين، أي العادل الظاهر عدله.

الصافي: جزاءهم. ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾: لمعاينتهم الأمر.

﴿أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾: العادل الظاهر عدله.

البيضاوي: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ أي الخبائث يتزوجن الخباث، وبالعكس[١].

وكذلك أهل الطيب، فيكون كالدليل على قوله:﴿أُولَئِكَ﴾: يعنى أهل بيت النبي ﷺ، الرسول وعائشة وصفوان[٢].

﴿مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: إذ لو صدق لم تكن زوجته، ولم يقرر عليه.

وقيل: الخبيثات والطيبات من الأقوال، والإشارة إلى الطيبين.

والضمير في﴿يقولون﴾ للأفكين- أي مبرأون مما يقولون فيهم، أو للخبيثات والخبيثين- أي مبرأون من أن يقولوا مثل قولهم[٣].

الصافي: في المجمع عنها الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، الطيبات من النساء للطبيين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء.

قال: هي مثل ﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ إلا أن ناسا لبقوا أن يتزوجوا منهن، فنهاهم عن ذلك، وكره ذلك لهم.

---

(١) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وهذا أيضاً يرجع إلى ما قاله أولئك باللازم أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم إلا وهي طيبة لأنه أطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعاً ولا قدراً. المرجع السابق(٣/٢٨٦).

(٢) قال الذهبي كان صفوان على ساقط النبي ﷺ -أي هم الذين يسيرون خلف الجيش في الحرب لحماية خلفية الجيش- وكان شاعراً، ويدل ما قاله الذهبي قوله لحسان بن ثابت حين ضربه بالسيف بعدما أكثر عليه في حادث الإفك فقابله صفوان وضربه وقال:

تلق ذباب السيف عني فإنني ... غلام إذا هوجيت لست بشاعر

انظر تاريخ الإسلام وفيات(٥١-٦٠).

(٣) انظر تفسير البيضاوي(ص٤٦٦).

وقيل: الخبيثات والطيبات من الأقوال والكلم والعمل، للخبيثين من الرجال والنساء يسلمونهم ويصدق عليهم من قال.

والطيبون من الرجال والنساء للطيبات من الكلام والعمل.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ﴾: يعني الطيبين والطيبات على الأول، والطيبين على الأخير. ﴿مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾[1] فيهم، أو عن أن يقولوا مثل قولهم.

الباب التاسع

فيما خالف فيه أهل التشيع أهل السنة من تفسير هذه الآيات الكريمة

وهي خمس مسائل:

المسألة الأولى: قال البيضاوي: استصحبها في بعض الغزوات.

الصافي: في غزوة بني المصطلق[2].

المسألة الثانية: البيضاوي: والمراد ما أفك به على عائشة، وقدمنا أن الإمام الرازي، وكذا وغيره.

قال: والمجمع عليه المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة.

الصافي: عن القمي: وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت في ماريه القبطية[3] وما رمتها به عائشة.

---

(١) أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: أي عند الله في جنات النعيم، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الجنة. المرجع السابق(٣/٢٨٦).

(٢) كانت في شعبان سنة خمس على الصحيح، بل المجزوم به، قال الواقدي: استخلف النبي ﷺ على المدينة زيد بن حارثة، فحدثني شعيب بن عباد عن المسور بن رفاعة قال: خرج رسول الله ﷺ في سبعمائة، وعن عبد الله بن أبي بكر قال: خرج رسول الله ﷺ وبلغه أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية أم المؤمنين، فسار النبي ﷺ حتى نزل المريسيع- ماء من مياههم- فأعدوا لرسول الله ﷺ فتزاحف الناس فاقتتلوا، فهزم رسول الله ﷺ بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل نساءهم وأبناءهم وأموالهم وأقام عليهم من ناحية قديد والساحل. تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة(٥).

(٣) قال الذهبي: أهداها المقوقس إلى النبي ﷺ سنة ثمان، وهي أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وعاش إبراهيم عليه السلام عشرين شهراً، وقد توفيت سنة ست عشرة، وصلى عليها عمر، ودفنت بالبقيع في المحرم. تاريخ الإسلام وفيات سنة(١٦) .

ثم روي عن الباقر قال:لما هلك إبراهيم بن رسول الله ﷺ حزن عليه حزناً شديداً[١].قالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريج، فبعث رسول الله ﷺ علياً، وأمر بقتله.فذهب علي ومعه السيف. وكان جريج القبطي[٢] في حائط، فضرب عليّ على باب البستان. فوثب عليّ على الحائط ونزل إلى البستان، وأتبعه وولى جريج مدبرا. فلما خشي أن يرهقه صعد في نخلة، وصعد علي في أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، وبدت عورته، فإذا هو ليس له ما للرجال، ولا له ما للنساء، فانصرف عليّ إلى النبي ﷺ، فقال له: يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمي في الوبر، أمضي على ذلك أم أتثبت؟ قال: لا بل تثبت. قال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال، وما له ما للنساء. فقال: "الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت".

وهذه الرواية أوردها القمي بعبارة أخرى في سورة الحجرات، عند قوله تعالى:﴿**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾[٣].

وزاد: فأتي به رسول الله ﷺ، فقال له: "ما شأنك يا جريج؟ " فقال:يا رسول الله إن القبط[٤] يحمون حشمهم، ومن يدخل إلى أهاليهم، والقبطيون لا يأنسون إلا بالقبطيين،

---

(١) روى مسلم في صحيحه[٦٢-(٢٣١٥)] كتاب الفضائل، ١٥-باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وفضل ذلك، عن أنس بن مالك وفيه: قال رسول الله ﷺ:" ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم " ثم دفعه إلى أم سيف. امرأة قين يقال له أبو سيف....وفي آخره فقال أنس لقد رأيته- أي إبراهيم – وهو يجود بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال:" تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون ".

(٢) لم يورد الذهبي في تاريخ الإسلام ذكر إهداء المقوقس هذا العبد للنبي ﷺ بل ذكر من طريقين إهدائه بغلة وكسوة وجاريتين إحداهما أم إبراهيم والأخرى وهبها النبي لجهم بن قتم العبدي فهي أم زكريا بن جهم خليفة عمرو بن العاص على مصر وفي القصة الأخرى: أهدي ثلاث جواري منهن أم إبراهيم وواحدة وهبها لأبي جهم بن حذيفة العدوي وواحدة لحسان بن ثابت.
انظر مختصراً من تاريخ الإسلام حوادث سنة(٨).

(٣) [سورة الحجرات /٦] ، وفيه: يأمر الله تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله ﷻ عن اتباع سبيل المفسدين ومن هنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه.
تفسير ابن كثير (٤/٢٠٨).

(٤) قال الذهبي في فتح مصر:عن عمرو بن العاص أنه قال على المنبر: لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر علي عهد ولاعقد، إن شئت قتلت، وإن شئت بعت، وإن شئت خمست إلا أهل أنطابلس فإن لهم عهدا نفي به.

فبعثني أبوها لأدخل إليها، وأخدمها وأونسها.

أقول: إن صح هذا الخبر، فلعلّه إنما بعث عليًا إلى جريج ليظهر الحق، ويصرف السوء، وقد كان علم أنه لا يقتله، ولم يكن يأمر بقتله بمجرد قول عائشة. يدل على هذا ما رواه القمي في سورة الحجرات عن الصادق[1] أنه سئل: كان رسول الله أمر بقتل القبطي، وقد علم أنها قد كذبت عليه، أو لم يعلم، أو إنما دفع الله عن القبطي القتل بتثبت علي؟ فقال: بل قد كان والله علم، ولو كانت عزيمة من رسول الله ﷺ القتل ما رجع على حتى يقتله، ولكن إنما فعل رسول الله ﷺ لترجع عن ذنبها، فما رجعت، ولا اشتد عليها قتل رجل مسلم[2].

المسألة الثالثة: وتتضمن مسألة أخرى وهي الرابعة.

البيضاوي: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾: ولا يحلف افتعال من الألية، أو لا يقصر من الألو. ويؤيد الأول أنه قرئ ﴿ولا يتأل﴾ وأنه أنزل في أبي بكر.

وقد حلف أن لا ينفق على مسطح بعد، وكان ابن خالته، وكان من فقراء المهاجرين.

﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾: في الدين، ﴿وَالسَّعَةِ﴾: في المال[3].

وفيه دليل على فضل أبي بكر[4] رضي الله عنه وشرفه.

وعن علي بن رباح قال: المغرب كله عنوة . وعن ابن عمر قال: افتتحت مصر بغير عهد ، وكذا قال جماعة. وقال يزيد بن أبي حبيب: مصر كلها صلح إلاّ الأسكندرية.

تاريخ الإسلام حوادث سنة (٢٠).

(١) جعفر الصادق هو ابن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام العلم، أبو عبد الله الهاشمي العلوي المدني، وهو سبط القاسم بن محمد، فإن أمه هي أم فروة ابنة القاسم، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان جعفر يقول : ولدني الصديق مرتين . وكان مولده سنة (٨٠)، ووثقه يحيى بن معين والشافعي وجماعة، وتوفي سنة (١٤٨).

انظر: تاريخ الإسلام وفيات(١٤١-١٥٠).

(٢) كيف هذا و هي الصديقة التقية!، فقد روى الذهبي قال: عن شعبة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: أن عائشة كانت تصوم الدهر.

وعن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة قالت: وددت أني إذا مت كنت نسيا منسيا.

وعن مسعد بن حماد بن إبراهيم قالت عائشة: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة . ولها حظ وافر من الفصاحة والبلاغة مع ما لها من مناقب. تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٦٠).

(٣) انظر: ما تقدم من تفسير هذه الآيات . من ابن كثير.

(٤) في خلافة أبي بكر قال يزيد بن هارون: أن العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي قال: لما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة فقال: ابسط يدك لأبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول

﴿أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَّغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثم قال: روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر فقال: بلى أحب.ورجع إلى مسطح نفقته.

الصافي: ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾: الغنى، هذه هي المسألة الرابعة- أعني تفسير الفضل بالغنى -، ﴿مِنكُمْ وَالسَّعَةِ﴾: في المال.

﴿أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ قيل: نزلت في جماعة من الصحابة، حلفوا ألا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك، ولا يواسوهم.

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَّغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قال القمي عن الباقر[1]: أولي القربى هم قرابة رسول الله ﷺ، يقول يعفو بعضكم عن بعض، ويصفح بعضكم بعضاً.

فإذا فعلتم كانت رحمة من الله لكم، يقول الله: ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ....الآية﴾.

وفي المجمع: عن النبي ﴿ولتعفوا ولتصفحوا﴾بالتاء كما روى بالياء أيضاً.

وفي المناقب ما سبق عند تفسير ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ من سورة المؤمنون، انتهى.

وهذا ما أورده فيها، ونصه﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾[2]: بالصدق لا يوجد فيه ما

= الله ﷺ ، فقال أبو عبيدة لعمر: ما رأيت لك فهة- أي زلة -قبلها منذ أسلمت، أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين!

وعن ابن سيرين قال أبو بكر لعمر: ابسط يدك نبايع لك. فقال عمر: أنت أفضل مني، فقال أبو بكر: أنت أقوى مني، قال: إن قوتي لك مع فضلك.تاريخ الإسلام حوادث سنة (١١)

(١) أبو جعفر الباقر هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي، سيد بني هاشم في زمانه، روى عن جديه الحسن والحسين، وعن عائشة وأم سلمة وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وجابر، وسمرة بن جندب وغيرهم.

وهو أحد الاثنى عشر الذين تعتقد الرافضة عصمتهم، ولا عصمة إلا لنبي، توفي سنة(١١٤) وقيل (١١٧) هـ وله أخوة أشراف: زيد الذي صلب، وعمر، وحسين، وعبد الله بنو زين العابدين رحمة الله عليهم.

انظر تاريخ الإسلام وفيات(١١١-١٢٠).

(٢) (سورة المؤمنون /٦٢). ونص الآية: ﴿وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ =

يخالف الواقع.

﴿**وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾: بزيادة عقاب أو نقصان ثواب.

مطلب عن سيدنا زيد العابدين(١)

في المناقب عن السجاد أنه كان إذا دخل شهر رمضان يكتب على غلمانه ذنوبهم، حتى إذا كان آخر ليلة دعاهم، ثم أظهر الكتاب وقال: يا فلان فعلت كذا وكذا، أؤريك فيقرون أجمع، فيقوم في وسطهم ويقول: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين(٢) ربك قد أحصى عليك ما عملت كما أحصيت علينا، ولديه كتاب ينطق بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فاذكر ذل مقامك بين يدي ربك الذي لا يظلم مثقال ذرة، وكفى بالله شهيداً، فاعف واصفح يعف عنك المليك، لقوله تعالى: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَّغْفِرَ اللهُ**﴾، ويبكي وينوح.

=

يُظْلَمُونَ﴾ قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرا عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها أي إلا ما تطيق حمله والقيام به وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء ولهذا قال: ﴿**وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ**﴾ يعني: كتاب الأعمال ، ﴿**وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ أي: لا يبخسون من الخير شيئاً، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين.

تفسير ابن كثير (٣/٢٥٦).

(١) علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين، أبو الحسن، أبو محمد ،أبو عبد الله، الهاشمي المدني، زين العابدين القرشي، الأكبر . ثقة، عابد، ثبت، فقيه، فاضل، مشهور.

أخرج له: أصحاب الكتب الستة،توفي سنة (١٠٠،٩٣،٩٤،٩٥).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/٣٠٤)، تقريب التهذيب(٢/٣٥)، الكاشف(٢/٢٨٢)، التاريخ الكبير للبخاري(٦/٢٦٦)، الجرح والتعديل(٦/٩٧٧)، حلية الأولياء (٣/١٣٣)، سير الأعلام (٤/٣٨٦)، نسيم الرياض (٣/٤٧٢)، ثقات(٥/١٥٩)، تراجم الأخبار(٣/١٠٩).

(٢) قال عيينة: حج علي بن الحسين، فلما أحرم أصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: مالك لا تلبي؟ قال: أخشى أن أقول لبيك، فيقال لي: لا لبيك فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته، ولم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.

وقال مالك: أحرم علي بن الحسين فلما أراد أن يقول لبيك أغمي عليه حتى سقط من ناقته، فهشم ولقد بلغني أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، قال: وكان يسمى بالمدينة: زين العابدين لعبادته.

تاريخ الإسلام وفيات(٩١-١٠٠).

والسجاد هو سيدنا على زين العابدين[١] (رضي الله تعالى عنه)، وعن جميع أهل البيت الكرام. وسمي سجادا لكثرة سجوده، كما أنه سمي زين العابدين لكثرة عبادته[٢].

المسألة الخامسة: البيضاوي: ﴿أُولَئِكَ﴾: يعني أهل بيت النبيﷺ، أو الرسول وعائشة وصفوان.

﴿مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: إذ لو صدق لم تكن زوجته،ولم يقرر عليه.

وقيل: الخبيثات والطيبات من الأقوال، والإشارة إلى الطيبين، والضمير في ﴿يقولون﴾: للأفكين، أي ﴿مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ فيهم.

أو للخبيثين والخبيثات أي: مُبَرَّؤُون من أن يقولوا مثل قولهم.

الصافي: ﴿أُولَئِكَ﴾: يعني الطيبين والطيبات على الأول، والطيبين على الأخير[٣]. انتهى.

أقول والأخير في كلا مه هو سيدنا علي بن أبي طالب[٤] (رضى الله تعالى عنه وأصحابه وشيعته) على ما نقله عن الاحتجاج عن الحسن المجتبى ﷺ.

وقد علمت رده وما يلزم عليه على تقدير صحته.

---

(١) حضر علي بن الحسين مصرع والده الحسين الشهيد بكربلاء، وقدم إلى دمشق.
وقال الزهري: ما رأت قريشا أفضل من علي بن الحسين، وكان مع أبيه يوم قتل أبوه وله ثلاث وعشرون سنة ، وهو مريض، فقال عمر بن سعد بن أبي وقاص : لا تعرضوا لهذا المريض. قال: وكان علي من أحسن أهل بيته طاعة وأحبهم إلى مروان وإلى عبد الملك.
قلت : وليس للحسين ﷺ عقب إلا من زين العابدين، وأمُهُ أمَة، وقال سعيد بن المسيب ما رأيت رجلا أورع من علي بن الحسين.
المرجع السابق.

(٢) كان بين حسن بن حسن، وعلي بن الحسين شيء ، فجاء حسن فما ترك شيئا إلا قاله، وعلي ساكت، فذهب حسن فلما كان الليل أتاه علي، فقرع بابه فخرج إليه، قال له :يا ابن عم إن كنت صادقا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك، والسلام عليك، فالتزمه حسن وبكى حتى رثى له.
وقال أبو حمزة الثمالي: إن علي بن الحسين كان يحمل الخبز على ظهره بالليل يتتبع به المساكين في ظلمة الليل، ويقول: إن الصدقة في ظلمة الليل تطفئ غضب الرب.
المرجع السابق.

(٣) يقصد سيدنا علي بن أبي طالب وأصحابه وشيعته على ما نقله من كلام الحسن بن علي بن أبي طالب على حد قوله، وقد تقدم.

(٤) قال ابن الجزري في مناقب علي بن أبي طالب: من أنواع العلوم وجميع المحاسن وكرم الشمائل من الحديث والقرآن والفقه، والقضاء ، والتصوف، والشجاعة، والولاية، والكرم، والزهد، والورع، وحسن الخلق، والعقل والتقوى، وإصابة الرأى، فلذلك أجمعت القلوب السليمة على محبته والفطرة السليمة على سلوك طريقته، فكان حبه علامة السعادة والإيمان، وبغضه محض الشقاء والنفاق والخذلان.
انظر: مناقب الأسد الغالب علي بن أبي طالب (ص٨٧).

الباب العاشر
فيما رواه أهل الحديث من قصة الإفك

روى إمام أهل الحديث، وسلطان أهل الرواية في القديم وفي الحديث، سيدنا وقدوتنا "أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري"[١] قدس الله تعالى سره المبين، ونفعنا به "آمين".

في صحيحه المجمع على تصحيحه، وأنه أصح كتاب بعد الكتاب المبين عند عامة العلماء المتقدمين[٢] منهم والمتأخرين، عن يحيى بن بكير[٣] قال: حدثنا الليث[٤]، عن يونس، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب[٥]، وعلقمة بن وقاص، وعبيد

---

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه بن الأحنف أبو عبد الله الجعفي البخاري، جبل الحفظ، إمام الدنيا، صاحب الصحيح والتصانيف، حفظ تصانيف ابن المبارك، وحبب إليه العلم من الصغر، وأعلنـــه عليه ذكاؤه المفرط، أخرج له: الترمذي والنسائي، وتوفي سنة(٢٥٦).

ترجمته: تهذيب التهذيب(٩/٤٧)، وتقريب التهذيب(٢/١٤٤)، الكاشف(٣/١٩)، الجرح والتعديل (٧/١٩١)، نسيم الرياض(١/١٤٦)، الثقات(٩/١١٣)، الوافي بالوفيات(٢/٢٠٦)، المحدث المفصل (٢٠٧)، تاريخ بغداد(٢/٤).

(٢) قال ابن عدي : بسنده أن البخاري قال: احفظ مائة ألف حديث صحيح، واحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري.

تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٢٥١-٢٦٠).

(٣) يحيى بن عبد الله بن بكير، أبو زكريا القرشي المخزومي، مولاهم المصري الحافظ، ثقة في الليث وتكلموا في سماعه من مالك، أخرج له: البخاري ومسلم وابن ماجة، توفي سنة (٢٣١).

ترجمته: تهذيب التهذيب (١١/٢٣٧)، تقريب التهذيب (٢/٣٥١)، الكاشف(٣/٢٦٠)، تاريخ البخاري الكبير(٨/٢٨٥)، الجرح والتعديل (٩/٦٨٢)، ميزان الإعتدال(٤/٣٩١)، لسان الميزان (٧/٤٣٤)، الثقات(٩/٢٦٢)، سير الأعلام(١٠/٦١٢)، المعين (١٠٢٩).

(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن، أبو الحارث، أبو عقبة، الفهمي، الإمام، المصري، الفقيه، ثقه، ثبت، فقيه مشهور، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (١٧٥) ، ترجمته: تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩)، تقريب التهذيب (٢/١٣٨)، الكاشف(٣/١٣)، تاريخ البخاري الكبير(٧/٢٤٦)، الجرح والتعديل (٧/١٠١٥)، لسان الميزان (٧/٣٤٧)، سير الأعلام (٨/١٣٦)، الثقات(٧/٣٦)، تراجم الأحبار(٣/٣٠٧)، تاريخ بغداد(٣/١٣)، نسيم الرياض (٢/١٢٧)، البداية والنهاية(١٠/١٦٦)، معرفة الثقات(١٥٦٥).

(٥) سعيد بن المسيب بن حزم بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، أبو محمد القرشي المخزومي العائذي المدني، قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علما، وقال ابن حجر اتفقوا على أن مراسلته أصح المراسيل، وقد أخرج له: أصحاب الكتب الستة توفي سنة (٩٤،١٠٠)، ترجمته: تهذيب التهذيب(٤/ =

الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[١]، عن حديث عائشة (رضى الله عنها) زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا.

وكل حدثني طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدق بعضا، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، الذي حدثني عروة عن عائشة، أن عائشة (رضى الله عنها) زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها[٢] فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما نزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، فقفل، ودنونا من المدينة قافلين[٣] آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع أظفار[٤] قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين

= ٨٤)، تقريب التهذيب(١/٣٠٦،٣٠٥)، الكاشف(١/٣٧٢)، الثقات (٤/٢٧٣)، التاريخ الكبير (٣/٥١٠)، الجرح والتعديل (٤/٢٦٢).

(١) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أبو عبد الله، الهزلي، المدني، الأعمش، الأعمى، ثقة، فقيه، ثبت، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٩٨،٩٩،٩٤)، ترجمته: تهذيب التهذيب(٧/٢٣)، تقريب التهذيب(١/٥٣٥)،الكاشف(٢/٢٢٨)، التاريخ الكبير(٥/٣٨٥)، التاريخ الصغير(١/٢)، الجرح والتعديل(٥/١٥١٧)، الثقات(٥/٦٣)، سير الأعلام(٤/٤٧٥)، البداية والنهاية (٩/١٧٧).

(٢) قال ابن عبد البر في"الدرر في اختصار المغازي والسير" (ص١٨٨): أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون- أي: غافلون -وهم على ماء يقال له: المريسيع من ناحية قديد مما يلي الساحل، فقتل من قتل منهم وسبى النساء والذرية،ومن ذلك السبى جويرية بنت الحارث- أم المؤمنين -فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها، فأدى عنها رسول الله ﷺ، فأعتقها وتزوجها، فأعتق المسلمون كل ما بأيديهم من سبى بني المصطلق وقالوا أصهار رسول الله ﷺ، وأسلم سائر بني المصطلق.

(٣) قال ابن حجر في الفتح: قوله"فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه" وفي رواية ابن إسحاق فكنت إذا حلوا بعيري جلست في هودجي ثم يأخذون بأسفل الهودج فيضعون على ظهر البعير، يركب عليه النساء ليكون أستر لهن. ووقع في رواية ابن أويس بلفظ المحفة.

وقوله:" فسرنا حتى إذا فرغ " كذا اقتصرت القصة لأن مراد سياق قصة الإفك خاصة.

وقوله:" وقفل" أي رجع من الغزوة، وقوله " ودنونا من المدينة قافلين" أي راجعين، أي أن قصتها وقعت حال رجوعهم من الغزوة قرب دخولهم المدينة. انظر: فتح الباري(٨/٣٦٨).

(٤) قال ابن حجر: "قوله جزع أظفار" كذا في هذه الرواية أظفار بزيادة ألف وكذا في رواية فليح لكن في رواية الكشميهي من طريقه ظفار وكذا في رواية معمر وصالح، وقال ابن بطال: الرواية أظفار بألف =

كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم، إنما تأكل العلقة[١] من الطعام؛ فلم يستنكر القوم خفة الهودج حيث رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، بينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت[٢]، وكان صفوان بن المعطل السلمي، ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه[٣]، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي

=

وأهل اللغة لا يعرفونه بألف ويقولون ظفار قال ابن قتيبة: جزع ظفاري، وقال القرطبي: وقع في بعض روايات مسلم أظفار وهي خطأ، قلت:لكنها في أكثر روايات أصحاب الزهري حتى أن في رواية صالح ابن أبي الأخضر عند الطبراني جزع الأظافير، فأما ظفار بفتح الظاء المعجمة ثم فاء بعدها راء مبنية على الكسر فهي مدينة باليمن. الفتح(٨/٣٦٩).

(١) قوله: " العلقة" بضم العين المهملة وسكون اللام، ثم قاف أي: القليل، قال القرطبي: كان المراد الشيء القليل الذي يسكن الرمق، كذا قال الخليل، العلقة ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغذاء، حكاه ابن بطال قال وأصلها شجر يبقى في الشتاء تتبلغ به الإبل حتى يدخل زمن الربيع.

وفي قوله:"فلم يستنكر القوم خفة الهودج" كأنها تقول كأنها لخفة جسمها بحيث أن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها ولهذا أردفت ذلك بقولها وكنت جارية حديثة السن، أي أنها مع نحافتها صغيرة السن فذلك أبلغ في خفتها.

الفتح(٨/٣٧٠).

(٢) قوله:" فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت" : يحتمل أن سبب النوم شدة الغم التي حصل لها في تلك الحالة ومن شان الغم وهو وقوع ما يكره غلبة النوم بخلاف الهم وهو توقع ما يكره فإنه يقتضي السهر ، أو لما وقع من برد السحر لها، مع رطوبة جسدها وصغر سنها، وعن ابن إسحاق فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، أو أن الله سبحانه وتعالى لطف بها فألقى عليها النوم لتستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل. المرجع السابق (٨/٣٧١).

(٣) يحتمل أن يكون سبب تأخر صفوان ما جرت به عادته من غلبة النوم عليه، ففي سنن أبي داود والبزار وابن سعد وصحيح ابن حبان والحاكم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد أن امرأة صفوان بن المعطل جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن زوجي يضربني إذا صليت، ويفطرني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس . قال: وصفوان عنده فسأله ، فقال:

=

الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة.

فاشتكيت حين قدمت شهرًا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، ولا أشعر بشيء من ذلك[١] وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول:" كيف تيكم"، ثم ينصرف.

فذلك الذي يريبني، ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أم مسطح[٢] قبل المناصع، وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها[٣]، فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بئس

=

أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ سورتي وقد نهيتها عنها ، وأما قولها يفطرني إذا صمت، فأنا رجل شاب لا أصبر، وأما قولها لا أصلي حتى تطلع الشمس فإنا أهل بيت قد عرف لنا ذلك....الحديث" قال البزار: هذا الحديث كلامه منكر. المرجع السابق (٨/٣٧٢).

(١) في رواية ابن إسحاق: وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي ولا يذكرون لي شيئا من ذلك وفيها أنها مرضت بضعاً وعشرين ليلة وهذا فيه رد على ما وقع في مرسل مقاتل بن حبان أن النبي ﷺ لما بلغه قول أهل الإفك وكان شديد الغيرة، قال: لا تدخل عائشة رحلي، فخرجت تبكي حتى أتت أباها فقال أنا أحق أن أخرجك فانطلقت تجول لا يؤيها أحد حتى أنزل الله عذرها. ثم قال ابن حجر: وإنما ذكرته مع ظهور نكارته لا يراد الحاكم له في الإكليل وتبعه بعض من تأخر غير متأمل لما فيه من النكارة والمخالفة للحديث الصحيح.
وفي حديث ابن عمر فشاع ذلك في العسكر فبلغ النبي ﷺ، فلما قدموا المدينة أشاع عبد الله بن أبي ذلك في الناس فاشتد على رسول الله ﷺ. الفتح(٨/٣٧٤).

(٢) أم مسطح: بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء بعدها حاء مهملات، قيل :اسمها سلمى وفيه نظر لأن سلمى أم أبي بكر، ثم ظهر لي أن لا وهم فيه فإن أم أبي بكر خالتها فسميت باسمها.
وابنها مسطح بن أثاثة: بضم الهمزة ومثلثين الأولى خفيفة بينهما ألف، ابن عباد بن عبد المطلب، فهو المطلبي من أبيه وأمه، والمسطح عود من أعواد الخباء وهو لقب، واسمه عوف وقيل عامر، والأول هو المعتمد. الفتح (٨/٣٧٥).

(٣) وفي رواية مقسم عن عائشة أنها وطئت على عظم أو شوكة، وهذا ظاهره أنها عثرت بعد أن قضت عائشة حاجتها ثم أخبرتها الخبر بعد ذلك، لكن في رواية هشام ابن عروة الآتية قريبا أنها عثرت قبل أن تقضي عائشة حاجتها وأنها لما أخبرتها الخبر رجعت كان الذي خرجت له لا تجد منه إلا قليلا ولا

=

ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرا؟ قالت: أي هنتاه، أو لم تسمعي ما قال؟. قالت قلت: وما قال؟ قال: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا على مرض.

قالت:فلما رجعت إلى بيتي، ودخل عليّ رسول الله ﷺ- تعني سلم -ثم قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبويّ، فقلت لأمي:يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها،ولها ضرائر، إلاّ أكثرن عليها.قالت: فقلت: سبحان الله، ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا الاكتحال بنوم حتى أصبحت أبكي. فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد[١] (رضي الله عنهما) حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله. قالت: فأمَّا أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود.

فقال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم إلاّ خيرًا، وأما علي بن أبي طالب[٢] فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[٣].

كثيرا وكذا وقع في رواية ابن إسحاق قالت: فوالله ما قدرت أن أقضي حاجتي وفي رواية أبي أويس فذهب عني ما كنت أجد من الغائط ورجعت عودي على بدئي. الفتح (٣٧٥/٨).

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل أبو محمد، أبو زيد، الكلبي، الأمير، من مشاهير الصحابة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة (٥٤) وله (٧٥سنة).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢٠٨/١)، تقريب التهذيب (٥٢/١)، الكشاف (١٠٤/١)، تاريخ ابن معين (٢٢/٣)، تاريخ البخاري الكبير (٢٠/٢)، الجرح والتعديل (٢٨٣/٢)، أسماء الصحابة الرواة (٣٣)، سير أعلام النبلاء (٤٩٦/٢)، أسد الغابة (٧٩/١)، الإصابة (٢٩/١)، الثقات (٤/٣)، الاستيعاب (٧٥/١)، الاستبصار (٣٤).

(٢) قال النووي: رأى عليّ على أن ذلك هو الصواب في حقه لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ في اعتقاده، ولم يكن ذلك في نفس الأمر لأنه رأى انزعاج النبي ﷺ بهذا الأمر وقلقه فأراد راحة خاطره، وكان ذلك أهم من غيره. شرح مسلم للنووي (٩١/١٧)

(٣) الجارية: هي بريرة مولاة عائشة (رضي الله عنها)، صحابية مشهورة عاشت إلى زمن يزيد بن معاوية، أخرج له النسائي.

ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤٠٣/١٢)، تقريب التهذيب (٥٩١/٢)، الثقات (٣٨/٣)، أسد الغابة (٧/ ٣٩)، أعلام النساء (١٠٩/١)، السمط الثمين (٢١٠)، الدر المنثور (٩٤)، الاستيعاب (١٧٩٥/٤)، الإصابة (٥٣٥/٧)، تجريد أسماء الصحابة(٢٥١/٢)، الكاشف(٤٦٥/٣)، المغني (٤٤٧،٤٤٨)، الخلاصة (٣٧٦/٣)، أسماء الصحابة الرواة (٩٨١٩).

قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: "أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت أمرًا أغمضه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن تأكله. فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبيّ بن سلول. قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: "يامعشر المسلمين، من يعذرني من رجل، قد بلغني أذاه في أهل بيتي[١]؟ فوالله ما علمت عليه إلاّ خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي".

فقام سعد بن معاذ[٢] الأنصاري فقال يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا، ولكن احتملته الحميَّة فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله. فقام أُسيد بن حضير[٣]، وهو ابن عم سعد، فقال

---

(١) قال النووي: اعلم أن في حديث الإفك فوائد كثيرة ومنها:
١-استحباب مشاورة الرجل بطانته وأهله وأصدقاءه فيما ينويه من الأمور.
٢-جواز البحث والسؤال عن الأمور المسموعة عمن له تعلق، أما غيره فهو منهي عنه وهو تحسس وفضول.
٣-خطبة الإمام الناس عند نزول أمر مهم.
٤-اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين من تعرض له بأذى في نفسه أو أهله أو غيره، واعتذاره فيما يريد أن يؤذيه به.
شرح مسلم للإمام النووي (١٧/٩٩) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) سعد بن معاذ النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، أبو عمرو الأشهلي، سيد الأوس، الأنصاري، المدني، صحابي، وهو مشهور أخرج له البخاري، تُوفي سنة خمس من الهجرة، أُصيب يوم الخندق، وضرب رسول الله ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، وقد انفتق عرقه من إصابته فمات، وقد اهتز عرش الرحمن بموته.
ترجمته: تهذيب التهذيب (٣/٤٨١)، تقريب التهذيب (١/٢٨٩)، تاريخ البخاري الكبير (٤/٦٥)، الجرح والتعديل (٤/٩٣)، الثقات (٣/١٤٦)، أسد الغابة (٢/٣٧٣)، تجريد أسماء الصحابة (١/٢١٩).

(٣) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك، أبو يحيى أو أبو عتيك، وأبوحصين، وأبو حضير، الأنصاري الأوسي، الأشهلي، صحابي جليل وأحد النقباء ليلة العقبة، وكان شريفًا في قومه وفي الإسلام، ويُعد من عقلائهم وذوي رأيهم، أخرج له اصحاب الكتب الستة وتُوفي سنة (٢٠)، (٢١).
ترجمته:- تهذيب التهذيب (١/٣٤٧)، تقريب التهذيب (١/٣٤٧)، الكاشف (١/١٣٣)، تاريخ البخاري الكبير (٢/٤٧)، الجرح والتعديل (٢/١١٦٣)، أسماء الصحابة الرواة (١٣٣)، سير الأعلام (١/٢٩٩)، الوافي بالوفيات (١/٩٨)، الثقات (٣/٦)، أسد الغابة (١/١١٨).

لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين[١].

فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويومًا[٢] لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يظنان أن البكاء فالقٌ كبدي. قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي. قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها. ولقد لبث شهرًا لا يوحى إليه[٣] في شأني. قالت فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: "أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه" قالت فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي[٤] حتى ما أحس من قطرة، فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال والله ما

---

(١) قال النووي: كانت هذه القصة في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق، ومعلوم أن سعد بن معاذ مات في إثر غزوة الخندق من الرمية التي أصابته وذلك سنة أربع بإجماع أصحاب السير إلا شيئًا قاله الواقدي وحده قال القاضي: ذكر سعد بن معاذ في هذا وهم والأشبه أنه غيره، ولهذا لم يذكره ابن إسحاق في السير، وقال: إن المتكلم أولاً وآخرًا أسيد بن حضير، وقال القاضي: وقد ذكر موسى بن عقبة أن غزوة المريسيع كانت سنة أربع وهي سنة الخندق، وقد ذكر البخاري اختلاف ابن إسحاق وابن عقبة.
شرح مسلم للنووي (١٧/٩٢).

(٢) قوله:"وقد بكيت ليلتين ويومًا": أي الليلة التي أخبرتها فيها أم مسطح واليوم الذي خطب فيه النبي ﷺ الناس، والليلة التي تليه، ووقع في رواية فليح ليلتي ويومًا وكانت الياء مشددة ونسبتهما إلى نفسها لما وقع لها فيهما، وقوله:"يظنان أن البكاء فالق كبدي" في رواية فليح حتى أظن ويجمع بأن الجمع كانوا يظنون ذلك.
ابن حجر في فتح الباري (٨/٣٨٤).

(٣) حكى السهيلي أن بعض المفسرين ذكر أن المدة كانت سبعة وثلاثين فألغى الكسر في هذه الرواية، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوما أو أزيد، ويجمع بأنها المدة التي كانت بين قدومهم المدينة ونزول القرآن في قصة الإفك وأما التقيد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلى أبويها حين بلغها الخبر.
وقوله: "أما بعد يا عائشة....." هو كناية عما رُميت به من الإفك ولم أر في شيء من الطرق التصريح فلعل الكناية من لفظ النبي ﷺ ووقع في رواية ابن إسحاق فقال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله إن كنت قارفت سوءًا فتوبي.
ابن حجر في الفتح (٨/٣٨ع).

(٤) قوله: قلص دمعي بفتح القاف واللام ثم مهملة، أي استمسك نزوله فانقطع، ومنه قلص الظل وتقلص =

أدري ما أقول لرسول الله ﷺ[1]. فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ. قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ والله يعلم أني منه بريئة لتُصدِّقُنّي، والله لا أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ قالت ثم تحولت فاضجعت على فراشي[2].

قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله سيبرئني ببراءتي، ولكني والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى، ولَشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت فوالله ما رام[3] رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذ من البُرَحاء[4]،

إذا أشمر، قال القرطبي سببه أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لفرط حرارة المصيبة.

المرجع السابق (٣٨٥/٨).

(١) قيل: إما قالت عائشة لأبيها ذلك، مع أن السؤال قد وقع على ما هو في باطن الأمر وهو لا إطلاع له على ذلك، ولكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه فكأنها قالت له برئني بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول، وإنما أجابها أبو بكر بقوله لا أدري لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده، وكذا الجواب عن قول أمها لا أدري.

ابن حجر في الفتح (٣٨٥/٨).

(٢) قوله: قالت: "قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن" قالت هذا توطئة لعذرها لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام.

وزاد ابن جريج في روايته واختلس من اسمه في رواية هشام بن عروة والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه، وفي رواية أبي أويس نسيت اسم يعقوب لما بي من البكاء واحتراق الجوف، ووقع في حديث أم رومان مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه وهي بالمعنى للتصريح في حديث هشام وغيره بأنها لم تستحضر اسمه.

المرجع السابق (٣٨٥/٨).

(٣) أي ما فارقه ومصدره الريم بالتحتانية بخلاف رام بمعنى طلب فمصدره الروم ويفترقان في المضارع، يقال رام يروم رومًا، ورام يريم ريما وحذف في هذه الرواية الفاعل، ووقع في رواية صالح وفليح ومعمر وغيرهم مجلسه، أي ما فارق مجلسه.

المرجع السابق (٣٨٦/٨).

(٤) البُرَحاء: بضم الموحدة وفتح الراء ثم مهملة ثم مد: هي شدة الحمى وقيل شدة الكرب، وقيل شدة الحر، ومنه برح بي الهم إذا بلغ مني غايته، ووقع في رواية اسحاق بن راشد وهو العرق، وبه جزم

حتى أنه ليتحدَّر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي ينزل عليه.

قالت فلما سُرِّي عن رسول الله ﷺ، سُري عنه وهو يضحك. فكانت أول كلمة تكلم بها:"يا عائشة أما الله ﷻ فقد برأك" فقالت أمي قومي إليه، قالت: فقلت والله لا أقوم إليه،ولا أحمد إلا الله ﷻ، وأنزل الله ﷻ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ﴾**، العشر آيات كلها[1].

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله:**﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**.

قال أبو بكر: بلى والله، إني أُحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه[2] وقال والله لا أنزعها عنه أبدًا.

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري. فقالت:" يا زينب

الداودي وهو تفسير باللازم غالبًا البرحاء شدة الكرب، ويكون عنده العرق غالبًا، وفي رواية ابن حاطب وشخص بصره إلى السقف، وفي رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن عائشة عن الحاكم فأتاه الوحي وكان إذا أتاه الوحي أخذه السيل.

ابن حجر في فتح الباري (٣٨٦/٨).

(١) قال ابن حجر في الفتح (٣٨٣/٨): آخر العشرة قوله تعالى:**﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾** لكن وقع في رواية عطاء الخرساني عن الزهري فأنزل الله تعالى:**﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا﴾**إلى قوله:**﴿أَن يَّغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** وعدد الآي إلى هذا الموضع ثلاث عشرة آية، وفي رواية الحكم بن عتيبة مرسلاً عن الطبري لما خاض الناس في أمر عائشة فذكر الحديث مختصرًا، وفي آخره فأنزل الله تعالى خمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ الخبيثات للخبيثين، وهذا فيه تجوز وعده الآي إلى هذا الموضع ست عشرة، وفي مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم والحاكم في الإكليل فتنزلت ثماني عشر آية متوالية، ثم قال وعده عشرة.

(٢) يؤخذ منه مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب مادام احتمال عدمه موجودًا، إلا أن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه "وقوله لقرابته منه وفقره" علة أخرى للإنفاق عليه، فحلف أبو بكر ألا ينفع مسطحًا بنفع أبدًا. وقوله" وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا " قال مسلم حدثنا حبان بن موسى أنبأنا عبد الله بن المبارك قال: هذه أرجى آية في كتاب الله. انتهى.

وقوله:"قال أبو بكر والله إني لأحب أن يغفر الله لي": وفي رواية هشام بن عروة: بلى والله يا ربنا إنّا لنحب أن تغفر لنا" وقوله "فرجع إلى مسطح النفقة " أي ردها إليه. الفتح (٣٨٨/٨).

ماذا علمت أو رأيت؟" فقالت يا رسول الله: أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلاّ خيرًا [١] قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

(تنبيه)

لا يذهب عليك أن آيات الإفك أكثر من عشرة، وأن قول السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) وأنزل الله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ**﴾ العشر آيات كلها[٢].

مرادها ما عدا قوله تعالى: ﴿**وَلاَ يَأْتَلِ إلى آخرها**﴾، كما صرحت بذلك في قولها بعد، فأنزل الله: ﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ إلى آخره**﴾.

وليس مرادها أن هذه آيات الإفك[٣] لا غير فتدبر.

وقد علمت أن آخر آيات الإفك قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ**﴾، وقد عدها بعضهم ثماني عشرة آية، وبعضهم خالف، والتحقيق أنها ستة عشر، وقال الحافظ بن حجر في شرح البخاري قوله تعالى:﴿**وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ ولكن وقع في رواية عطاء الخرساني[٤]، عن الزهري: فأنزل الله تـــعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا**﴾إلى قوله:﴿**أَن يَّغْفِرَ اللهُ لَكُمْ**

---

(١) أي من الحماية فلا أنسب إليهما ما لم أسمع وأبصر "قوله وهي التي كانت تساميني" أي تعالىني من السمو وهو العلو والارتفاع، أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أن الذي لها عنده مثل الذي لي عنده وذهل بعض الشراح فقال: إنه من سوم الخسف وهو حمل الإنسان على ما يكره، والمعنى تغايظني، وهذا لا يصح فإنه لا يقال في مثله سام، ولكن ساوم. وقوله:"فعصمها الله" أي حفظها ومنعها، وقوله "الورع" أي بالمحافظة على دينها ومجانبة ما تخشى سوء عاقبته. الفتح (٣٨٨/٨).

(٢) في بيان العشر آيات انظر شـــرح ابن حجر في فتح الباري وقد تقدم مطولاً (٣٨٧/٨).

(٣) قالت عائشة: ونزل الوحي ساعة قضيت كلامي- أي ما قالته للنبي ﷺ وأبيها وأمها -، فعرفت والله البِشر في وجه ﷺ قبل أن يتكلم فمسح جبهته وجبينه ثم قال: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله عذرك وتلا القرآن، فكنت أشد ما كنت غضبًا، فقال لي أبواي: قومي إليه ﷺ فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمده إياكما ولكني أحمد الله الذي برأني، لقد سمعتم فما أنكرتم ولا جادلتم ولا خاصمتم. تاريخ الإسلام حادث الإفك.

(٤) عطاء بن أبي مسلم، أبو أيوب، أبو عثمان أبو محمد، أبو الوليد، الخراساني، البخلي، مولى المهلب بن أبي صفرة، صدوق، يهم كثير ويرسل ويدلس، لم يصح أن البخاري أخرج له، وأخرج له باقي الستة، تُوفي سنة (١٣٥).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢١٢/٧)، تقريب التهذيب (٢٣/٥)، الكاشف (٢٦٦/٢)، التاريخ الكبير للبخاري(٤٧/٦)، التاريخ الصغير (٣٢٤/١)، الجرح والتعديل (١٨٥٠/٦)، ميزان الاعتدال (٧٣/٣) لسان الميزان (٣٠٥/٧) سير الأعلام (١٤٠/٦)، البداية والنهاية (٥٧/١٠)، الحلية (١٩٣/٥).

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وعدد الآي إلى هذا الموضع ثلاث عشرة آية فلعل قولها العشر آيات مجاز، بطريق إلغاء الكسر، وفي رواية الحكم بن عيينة[١] مرسلاً عن الطبري لما خاض الناس في أمر عائشة، فذكر الحديث مختصرًا، وفي آخره فأنزل الله تعالى خمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ:﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ وهذا فيه تجوز، وعدد الآي غال هذا الموضع ست عشرة.

وفي مرسل سعيد بن جبير[٢] عن أبي حاتم والحاكم في الإكليل: فنزلت ثماني عشرة آية متوالية، كذبت من قذف عائشة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ إلى قوله: ﴿رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، وفيه ما فيه أيضًا وتحرير العدد سبع عشرة، انتهى.

أقول: قوله بإلغاء الكسر أي كسر العشرات فإن الثلاث كسر من العشرات، وليس المراد الكسر من الواحد، والحق ما قدمناه من أنه إلى قوله:﴿كَرِيمٌ﴾ ستة عشر آية[٣].

تتمة

وقد وقع اختلاف بالتعبير في لفظ ظفار، فبعضهم عبر به هكذا من غير ألف، وبعضهم قال أظفار بألف.

قال الحافظ بن حجر[٤] في شرحه: قوله أظفار كذا في هذه الرواية أظفار بزيادة ألف. وكذا في رواية فليح، لكن في رواية الكشميهي: ظفار.

---

(١) الحكم بن عيينة، أبو محمد، أبو عبد الله أبو عمر الكوفي، الكندي الفقيه، النهاس، ثقة، ثبت، فقيه، إلاّ أنه ربما دلس، أخرج له أصحاب الكتب الستة، تُوفي سنة (١١٣،١١٤،١١٥).
ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/٤٣٢)، تقريب التهذيب (١/١٩٢)، الكشف (١/٢٤٦)، التاريخ الكبير(٢/٣٣٢)، التاريخ الصغير (١/٢٧٦،٢٧٧)، الجرح والتعديل (٣/٥٦٧)، ميزان الاعتدال (١/ ٥٧٧)، لسان الميزان (٢/٣٣٦)، الوافي بالوفيات (١٣/١١٨)، سير الأعلام (٥/٢٠٨).

(٢) سعيد بن جبير بن هشام، أبو محمد، ويقال أبو عبد الله الأسدي مولاهم الوالي الكوفي، الفقيه، ثقة، ثبت، فقيه، أخرج له الستة، تُوفي سنة (٩٥،٩٤).
ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/١١)، تقريب التهذيب (١/٢٩٢)، الكاشف (١/٣٥٦)، الثقات (٤/ ٢٧٥)، تاريخ البخاري الكبير (٣/٤٦١)، تاريخ البخاري الصغير (١/٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢٢١)، الوافي بالوفيات (١٥/٢٠٦)،شذرات الذهب (١/١٠٨)، حلية الأولياء (٤/٢٧٢)، البداية والنهاية (٩/٩٨)، سير أعلام النبلاء (٤/٣٢١)، تاريخ أصبهان (١/٧١).

(٣) انظر ما تقدم من التخريج من فتح الباري لابن حجر (٨/٣٨٧). طبعة دار إحياء التراث.

(٤) ابن حجر العسقلاني هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني الأصل، المصري، الشافعي. قال عنه السيوطي في تذكرة الحفاظ (٥٤٧):شرب ماء زمزم ليصل إلى مرتبة الذهبي فبلغها وزاد، ولما حضرت العراقي الوفاة قيل له: من تخلف بعدك؟ قال ابن حجر ثم ابن أبا زرعة ثم الهيثمي، وقال الدمياطي: الطرق المتقدمة وإن كثرت تتصل كلها بالحافظ ابن حجر، ولذا قيل: لولا هو شيخه لم يكن لأهل مصر سند في الحديث.

وكذا في رواية معمر وصالح[١]، وقال ابن بطال الرواية اظفار بألف، وأهل اللغة لا يعرفونه بألف، ويقولون: ظفار، قال ابن قتيبة: جزع ظفاري وقال القرطبي: وقع في بعض روايات مسلم أظفار وهو خطأ.

قلت: لكنها في أكثر روايات الزهري حتى أن في رواية صالح بن أبي الأخضر[٢] عند الطبري جزع الأظافير.

فأما ظفار بفتح الظاء المعجمة ثم فاء بعدها راء مبنية على الكسر، فهي مدينة باليمن، وقد كنت أزمعت أن اذكر لفظ غير البخاري فيه، سيما لفظ مسلم[٣] لأن روايته عن الزهري التي عناها الصافي، إلاّ أني رأيت أن في ذلك تطويل بغير كبير فائدة، فإن لفظ البخاري يغني عنه وعن غيره.

إذا قالت حذام فصدقوها   فإن القول ما قالت حذام

الباب الحادي عشر

في بيان من جلده النبي ﷺ لأجل الإفك

قال في مفاتيح الغيب ما معناه: إن الله (سبحانه وتعالى) لما أنزل عذر السيدة عائشة

---

(١) صالح بن كيسان، أبو محمد، ويقال أبو الحارث أبو الحرب، المدني، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، ثقة ثبت فقيه، أخرج له: الستة، تُوفي سنة (١٤٠).
ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/٣٩٩)، التقريب (١/٣٦٢)، الكاشف (٢/٢٣)، التاريخ الكبير (٤/ ٢٨٨)، الجرح والتعديل (٤/١٨٠٨)، ميزان الاعتدال (٢/٢٩٩)،لسان الميزان (٧/٢٤٦)، سير الأعلام (٥/٤٥٤)، الثقات (٦/٤٥٤).

(٢) صالح بن أبي الأخضر، اليماني، البصري مولى هشام بن عبد الملك، ضعيف يعتبر به أخرج له: أبو داود والترمذي في الشمائل، تُوفي سنة (١٤٠إلى ١٥٠).
ترجمته: تهذيب التهذيب (٤/٣٨٠)، تقريب التهذيب (١/٣٥٨)، الكاشف (٢/١٨)، تاريخ البخاري الكبير (٤/٢٧٣)، الجرح والتعديل (٤/١٧٢٧)، طبقات ابن سعد (٧/٣٢)، سير الأعلام (٧/٣٠٣).

(٣) مسلم بن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين القشيري، النيسابوري، الحافظ من بني قشير قبيلة من العرب معروفة، وهو ثقة، إمام مصنف، عالم بالفقه، صاحب الصحيح وأحد أصحاب الكتب الستة، وأخرج له الترمذي، وقد أجمعوا على جلالته وعلو مرتبته وحذقه في هذه الصنعة وتقدمه فيها وتضلعه منها، وكان من الرحالين في طلب العلم، وتُوفي سنة (٢٦١).
ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/١٢٦)، تقريب التهذيب (٢/٢٤٥)، الكاشف (٣/١٤٠)، الجرح والتعديل (٨/٧٩٧)، العبر (١/٥٤٧)، طبقات الحفاظ (٢٦٠)، نسيم الرياض (١/٣٤٥)، البداية والنهاية (١١/٣٣)، سير الأعلام (١٢/٥٥٧).

الصديقة (رضي الله عنها) جلد حسانًا، ومسطحًا[١] ومعهما امرأة من قريش، وفي فتح البيان قال القرطبي: المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذين حدوا: حسان ومسطح وحمنة.

وقد روى محمد بن اسحاق[٢] وغيره أن النبي ﷺ جلد في الإفك رجلين وامرأة، وهم مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، وقيل: جلد عبد الله بن أبي، وحسانًا ولم يجلد مسطحًا لأنه لم يصرح بالقذف، ولكن كان يسمع ويشيع من غير تصريح[٣]، ويؤيد هذا ما أسلفناه عن الرازي أن أبابكر رضي الله عنه قال له: إن لم تتكلم فقد ضحكت، فقال

---

(١) وقع في آخر رواية هشام بن عروة: وكان الذي تكلم به مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبي وهو الذي يستوشيه وهو الذي تولى كبره هو وحمنة، وعن الطبراني من هذا الوجه وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ومسطح وحمنة، وكان كبر ذلك من قبل عبد الله بن أبي، وعند أصحاب السنن من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن عمرة عن عائشة أن النبي ﷺ أقام حد القذف على الذين تكلموا بالإفك، لكن لم يذكر فيهم عبد الله بن أبي، وكذا فحديث أبي هريرة عند البزار وبنى على ذلك صاحب الهدى فأبدى الحكمة في ترك الحد على عبد الله بن أبي وفاته أنه ورد أنه ذكر أيضًا فيمن أقيم عليه الحد، لما أخرجه الحاكم في الإكليل. الفتح (٣٨٨/٨)،

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو بكر أبو عبد الله، أبو عبيد الله، المدني المطلبي، إمام المغازي، المخرمي، المديني، القرشي، صدوق، يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، أخرج له البخاري تعليقًا، وباقي الستة، تُوفي سنة (١٥٠،١٥١،١٥٣).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٣٨/٩)، تقريب التهذيب (١٤٤/٢)، الكاشف (١٩/٣)، تاريخ البخاري الصغير (١١١/٢)، الجرح والتعديل (١٠٨٧/٧)، ميزان الاعتدال (٢٤/٣)، لسان الميزان (٧٣/٥)، الوافي بالوفيات (١٨٨/٢)، ثقات (٣٨٠/٧). معرفة الثقات (٤٠٠)، سير الأعلام (٣٣/٧)، المغني (٥٢٧٥)، ترغيب (٥٧٧/٤)، طبقات ابن سعد (٦٧/٧).

(٣) تكلم أهل الإفك وجهلوا في أمر السيدة عائشة وبرئها الله بقوله:" إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ.....الآية" وهم عبد الله بن أبي بن سلول، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش، أما الذي تولى كبره فهو عبد الله بن أبي. وقد حُدَّ حسان وأصحابه بالجلد في ذلك، قال شاعر من المسلمين:

لقد ذاق حسان الذي كان أهله	وحمنة إذ قالوا هجيرًا ومسطح
وابن سلول ذاق في الحد جزية	كما خاض في إفك من القول يفصح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم	وسخطه ذي العرش الكريم فأبرحوا

انظر القرطبي (٢٠١/١٢)، وفي الإشراف والتنبيه (٢٠٦)، للمسعودي أن الشاعر هو عبد الله بن رواحة وقيل: كعب بن مالك.

مسطح: قد كان ذلك تعجبًا من قول حسان[١] وقال الرازي أيضًا: فقد روى الزهري عن سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن أبي وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكلهم رووا عن عائشة قالت: فلما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل ضرب عبد الله بن أبي، ومسطحًا وحمنة، وحسان الحد[٢].

الباب الثاني عشر

في ترجمة السيدة مارية القبطية أم سيدنا إبراهيم بن (رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) ورضي عنها

قال ابن الأثير[٣] في أسد الغابة: مارية القبطية مولاة رسول الله ﷺ وسريته، وهي أم ولده إبراهيم بن النبي ﷺ أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين، وخصيًا يقال له: مأبور، وبغلة شهباء، وحلة حرير[٤].

---

(١) روي عن عائشة أنها برئته من ذلك حيث كانت في الطواف ومعها أم حكيم بنت خالد، وأم حكيم بنت عبد الله، فتذاكرتا حسان فابتدرتاه بالسب، فقالت عائشة: ابن الفريعة تسبان؟ إني لأرجو أن يُدخله الله الجنة بذبه عن النبي ﷺ بلسانه، أليس القائل:

هجوت محمدًا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

وفي رواية فقالت: أليس ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك، فقالت: لم يقل شيئًا ولكنه الذي يقول:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

انظر سير الأعلام (٥١٢/١)

(٢) قال قوم في حسان: إنه كان ممن خاض في الإفك على عائشة ﵂، وأنه جلد في ذلك، وأنكر قوم أن حسان خاض في الإفك وجلد فيه، الاستيعاب (٣٤١/١).

(٣) ابن الأثير: هو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني ابن الشيخ الأثير أبي الكرم مصنف التاريخ الكبير الملقب بالكامل ومصنف كتاب معرفة الصحابة، مولده سنة (٥٥٥) وأخوه العلامة مجد الدين والوزير ضياء الدين ثم تحول بهم أبوهم إلى الموصل فسمعوا بها واستعلوا وبرعوا وسادوا، وسمع الكثير، ذكرهم الذهبي وقال: وكان إمامًا علامًا إخباريًا أديبًا متقنًا رئيسا محتسمًا، وكان منزله مأوى طلبة العلم. سير أعلام النبلاء (٣٥٣/٢٢).
ترجمته: معجم البلدان (٧٩/٢)، ذيل الروضتين (١٦٢)، وفيات الأعيان (٣٤٨/٣)، الحوادث الجامعة (٨٨)، العبر (١٢٠/٥)، تذكرة الحافظ (١٣٩٩/٤).

(٤) كذا ذكر هذه الهدايا الذهبي في تاريخ الإسلام فقال: بعث رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ، فقبل الكتاب وأكرم حاطبًا =

وقال محمد بن إسحاق: أهدى المقوقس إلى رسول الله ﷺ جواري أربعًا منهن مارية أم إبراهيم، وسيرين التي وهبها النبي ﷺ لحسان بن ثابت فولدت له عبد الرحمن[١]، وأما مأبور فهو الخصي الذي أهداه المقوقس مع مارية، وهو الذي اتُهم بمارية، فأمر النبي ﷺ عليًّا أن يقتله فقال عليّ: يا رسول الله أكون كالسكة[٢] المحماة أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

قال:"بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب"، فذهب عليّ إليه ليقتله فرآه مجبوبًا، ليس له ذكر، فعاد إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه لمجبوب، وأهديت مارية فوصلت إلى المدينة سنة ثمان[*]، وتُوفيت سنة ست عشرة من خلافة عمر، وعمر رضي الله عنه يجمع الناس بنفسه لشهود جنازتها، وصلى عليها عمر[٣]، أخرجها الثلاثة.

وقال في ترجمة مأبور الخصي: أهداه المقوقس صاحب الإسكندرية إلى النبي ﷺ، أورده جعفر، وروي بإسناده عن مصعب[٤] قال: ثم ولدت مارية بنت شمعون وهي القبطية التي أهداها المقوقس إلى رسول الله ﷺ وأهدى معها أختها سيرين، وخصيًا يقال له مأبور.

وأحسن نزله، وأهدى معه إلى النبي ﷺ بغلة وكسوة وجاريتين، إحداهما أم إبراهيم: هي السيدة مارية القبطية أم ابنه إبراهيم، كانت ملك يمينه ﷺ، والأخرى وهبها لجهم بن قثم العبدي، وفي رواية أخرى له لحسان بن ثابت.

تاريخ الإسلام حوادث سنة (٨) رسل النبي (ﷺ).

(١) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حزام، أبو محمد، أبو سعيد، الأنصاري، المدني، ذكره ابن حنان في ثقات التابعين، ويقال ولد في عهد النبي ﷺ، مات سنة (١٠٤)، وأخرج له ابن ماجة في سننه.

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٦٢/٦)، تقريب التهذيب (٤٧٧/١)، الكاشف (١٦١/٢)، تاريخ البخاري الكبير (٢٧٠/٥)، التاريخ الصغير (٧٦/١)، الجرح والتعديل (٢٢٢/٥)، أسد الغابة (٣/ ٤٣٤)، تجريد أسماء الصحابة (٣٤٥/١)، الإصابة (٣١/٥)، الثقات (٨٩/٥).

(٢) السّكة: الطريق، والسّكة الحديد طريق معبد عليه قضيبان من الحديد متوازيان تسير عليهما القطارات- وهي حديد منقوشة تضرب عليها النقود- وهي حديدة المحراث التي يحرث بها، وجمعها سكك.

(*) تقدم تخريج ذلك انظر تاريخ الإسلام للذهبي حوادث سنة (٨)هـ.

(٣) انظر ما سنذكر في التخرج نقلاً عن الإصابة لابن حجر في ترجمة السيدة عائشة (رضي الله عنها) (١٤/٨).

(٤) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، أبو عبد الله القرشي الأسدي المدني، أمير العراق، وفد على معاوية، واستعمله أخوه على البصرة، وقتل المختار بن أبي عبيد، ثم عزله أخوه، واستعمله بعد ذلك على العراق فأقام بها يقاوم عبد الملك بن مروان ويحاربه إلى أن قُتل سنة (٧١)، وقد ذكره ابن حبان الثقات، وأخرج له: أحمد في مسنده.

ترجمته: تعجيل المنفعة (١٠٤٢)، الثقات لابن حبان (٤١٠/٥)، الجرح والتعديل (٣٠٣/٨)، تاريخ البخاري الكبير (٣٥٠/٧).

وذكر ابن زهير في هذه الترجمة حديث سليمان بن أرقم[1]، عن عروة عن عائشة قالت: أُهديت مارية ومعها ابن عم لها، وذكر الحديث إلى أن قال: بعث رسول الله ﷺ عليًّا ليقتله، فإذا هو ممسوخ أخرجه أبو موسى، وروى مسلم في صحيحه، عن ثابت[2] عن أنس، أن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لعليّ:"اذهب فاضرب عنقه"، فأتاه عليّ فإذا هو في ركيّ يتبرد فيها، فقال له علي: اخرج فناوله يده فأخرجه، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر، فكف عليّ عنه،ثم أتى النبي ﷺ قال يا رسول الله، إنه لمجبوب ما له ذكر.

قال النووي عليه[3]: ذكر في الباب حديث أنس أن رجلاً كان يتهم بأم ولده ﷺ فأمر عليًا رضي الله عنه أن يذهب يضرب عنقه، فذهب فوجده يغتسل في ركيٍّ وهو البئر، فرآه مجبوبًا،قيل: لعله كان منافقًا ومستحقًا للقتل بطريق آخر، وجعل هذا محركًا لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا، وكف عنه علي رضي الله عنه اعتمادًا على أن القتل بالزنا، وقد علم انتقاء الزنا، والله أعلم.

وفي السيرة الحلبية: وكني- أي رسول الله ﷺ به -أي بإبراهيم ولده[4].

جاء أن جبريل عليه السلام قال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم إن الله قد وهب لك غلامًا من

---

(١) سليمان بن أرقم، أبو معاذ، البصري، ضعيف أخرج له: أبو داود والترمذي، والنسائي.
ترجمته: تهذيب التهذيب (١٦٨/٤)، تقريب التهذيب (٣٢١/١)، الكاشف (٤٩٠/١)، التاريخ الكبير للبخاري(٢/٤)، التاريخ الصغير للبخاري (١٩٧/٢،١٩٨)، الجرح والتعديل (٤٥٠/٤)، ميزان الاعتدال (١٩٦/٢)، لسان الميزان (٢٣٧/٧)، مجمع الزوائد (٢٨٦/٤)، (١٧١،٥).

(٢) ثابت بن أسلم، أبو أحمد، البصري البناني القرشي، ثقة عابد، أخرج له: الستة، تُوفي سنة (١٢٧) وله (٨٦سنة).
ترجمته: تهذيب التهذيب (٢/٢)، تقريب التهذيب (١١٥/١)، الكاشف (١٧٠/١)، الثقات (٨٩/٤)، التاريخ الكبير (١٥٩/٢)، التاريخ الصغير (٢٦١/١،٣١٨)، الجرح والتعديل (١٨٠٥/٢)، ميزان الاعتدال (٣٦٢/١)، لسان الميزان (١٨٧/٧)، تذكرة الحافظ (١٢٥)، الحلية (٣١٨/٢)، سير الأعلام (٢٢٠/٥)، الوافي بالوفيات (٤٦١/١٠)، طبقات ابن سعد (٤٧٨/١،٢٣١/٧).

(٣) انظر النووي في شرح مسلم (١٠٠/١٧). طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) روى البخاري في صحيحه (١٣٠٣) كتاب الجنائز ٤٣-باب قول النبي ﷺ : "إنا بك لمحزنون" عن ثابت عن أنس قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف القين وكان ظئراً لإبراهيم فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا رسول الله ﷺ وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأنت يا رسول الله ؟ فقال : يا ابن عوف إنها رحمة" ثم اتبعها بأخرى فقال ﷺ : "إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزنون".

أم ولدك مارية، وأمرك أن تسميه[١] إبراهيم فاطمأن رسول الله ﷺ.

وإلى ذلك أقول: وسبب اطمئنانه ﷺ بذلك أن مأبورًا كان يأوي إليها ويأتي إليها بالماء والحطب، فاتهمت به.

وقال المنافقون: علج (*) يدخل على علجة. فبلغ ذلك النبي ﷺ فبعث عليًا (كرم الله وجهه) ليقتله. فقال له: على (كرم الله وجهه): يا رسول الله أقتله أو أرى فيه رأيي.

فقال: "بل ترى رأيك فيه". فلما رأى السيف بيد على كرم الله وجهه تكشف، وفى لفظ: فإذا هو في ركن يتبرد[٣]. فقال على كرم الله وجهه: اخرج، فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب، فكف عنه على (كرم الله وجهه).

ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: (...)(*) إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. أي وتكون هذه القضية متقدمة على قول جبريل عليه السلام المذكور، فالمراد مزيد الاطمئنان وفي كلام بعضهم أن النبي ﷺ دخل على مارية (رضي الله عنها) وهي حامل بولده إبراهيم، فوجد عندها من ذكر- أي مأبورًا -فوقع في نفسه شيء، فخرج ﷺ وهو متغير اللون فلقيه عمر رضي الله عنه [٤] فعرف الغيظ في وجه رسول الله ﷺ فسأله، فأخبره، فأخذ عمر السيف، ثم دخل على مارية (رضي الله عنها) وهو عندها، فأهوى إليه، فلما رأى ذلك كشف عن نفسه، فإذا هو مجبوب.

فلما رآه عمر رضي الله عنه رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: ألا أخبرك يا عمر أن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن الله برأها ونزهها مما وقع في نفسي وبشرني أن في بطنها غلامًا مني وأنه أشبه الخلق بي، وأمرني أن أسميه إبراهيم، وكناني بأبي إبراهيم.

---

(١) قال النووي في شرح مسلم : فيه جواز التسمية بأسماء الأنبياء (صلوات الله عليهم وسلامه).
شرح مسلم للنووي (١٥/٦٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(*) العلج : كل جاف شديد من الرجال .

(٣) انظر ما رواه مسلم في صحيحه (٥٩-٢٧٧١) كتاب التوبة ، ١١- باب براءة حرم النبي ﷺ وقد تقدم بلفظه .

(*) كلمة غير واضحة بالأصل .

(٤) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، أمير المؤمنين أبو حفص القرشي العدوى الفاروق.
أسلم في السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة، وقال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، وقال عكرمة: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله وضع الحق على لسان عمر وقلبه". تاريخ الإسلام وفيات سنة (٢٣).

وفي كلام بعضهم: عدَّ ابن منده وأبو نعيم مأبورًا في الصحابة، وقد غلطا في ذلك فإنه لم يسلم وما زال نصرانيًا.

ومنه- أي بسببه-فتح المسلمون مصر(١) في خلافة عمرﷺ.

وأما قوله في السيرة المذكورة- أي وغارت -نساؤه ﷺ و(رضي الله عنهن) من ذلك، كعائشة (رضي الله تعالى عنها) حتى أنه ﷺ قال لها:"انظري إلى شبهه".

فقالت: ما أرى شيئًا. فقال: ألا تري إلى بياضه ولحمه(٢). ففيه تلميح إلى ما نقله الشيعة. وهو لا يلتف إليه ولا يقوم به حجة؛ لأن مصدره ليس من كتب أهل السنة والجماعة(٣).

إذ ليس في شيء من كتب الحديث وغيرها الصحيحة وغيرها، وإنما هو مدسوس عليهم. فتنبه له ولا تعتقده، وسيأتي إن شاء الله تعالى ما فيه الكفاية.

ونهاية ما جاء عند أهل السنة من هذا الخبر ما رواه مسلم في صحيحه.

وقد قدمناه مع ما قاله عليه شارحه الإمام النووي(٤) ولم يكن للسيدة عائشة (رضي الله

---

(١) فتح المسلمون مصر في عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب فقد روى خليفة عن غير واحد، وغيره أن فيها كتب عمر إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فسار وبعث عمر الزبير بن العوم مدداً له، ومعه بسر بن أرطأة وعمير بن وهب الجمجي، وخارجة بن حذافة العدوي حتى أتى باب أليون فتحصنوا، فافتتحها عنوة وصالحه أهل الحصن وكان الزبير أول من ارتقى سور المدينة ثم تبعه الناس فكلم الزبير عمراً أن يقسمها بين من افتتحها، فكتب عمرو إلى عمر، فكتب عمر: أكلة، وأكلات خير من أكلة أقروها. الذهبي في تاريخ الإسلام حوادث سنة (٢٠).

(٢) قال الذهبي: وفي عاشر ربيع الأول توفى إبراهيم ابن النبي ﷺ وهو ابن سنة ونصف، وغسله الفضل بن العباس، ونزل قبره الفضل وأسامة بن زيد فيما قيل، وكان أبيض مسمناً، كثير الشبه بوالده ﷺ . تاريخ الإسلام أحداث سنة (٩).

(٣) أهل السنة يتبعون السلف من الصحابة والتابعين وعلى رأسهم الأئمة الأربعة ولا خلاف بين هؤلاء الأئمة في الاعتقادات ، وجميع أهل الحديث والرأي مثل مالك، والأوزاعي، والزهري، والليث بن سعد وابن حنبل والثوري وابن عيينة وابن معين وابن رهوايه وأبي ثور وأبي يوسف وابن الفضل البجلي وابن يحيى وابن أسلم الطوسي والحنظلي وغيرهم من مختلف الطبقات لم يختلفوا مع من تقدمهم من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين .

وأهل السنة متفقون إلا ما كان من اختلاف في الأحكام العملية الفقهية التى ليست عليهما قاطع من نص أو إجماع واختلافهم لا يوجب التكفير .

(٤) النووي هو الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامي الحواربي الشافعي صاحب التصانيف النافعة، ولد في المحرم سنة (٦٣١) وقدم الشام سنة (٦٤٩) فسكن في الرواجية يتناول خبر المدرسة فحفظ التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وقرأ أربع المهذب حفظاً في باقي السنة على شيخه الكمال بن أحمد ، ثم حج مع أبيه وأقام بالمدينة شهراً ونصفاً.

=

تعالى عنها) ذكر فيه، فإنها بريئة منه وسيأتي في الباب السادس عشر بيان الشيء الذي وقع في نفسه ﷺ، إن شاء الله تعالى.

تباينـــات بين رواية أسد الغابة، ومسلم، والسيرة[(١)]. وبين رواية الصافي. تباينات:

التباين الأول: أن أهل السنة لم يتعرضوا في روايتهم لذكر السيدة عائشة الصديقة أم المؤمنين في هذه القضية بشيء سوى ما نقلناه عن السيرة الحلبية.

وقلنا: إن مصدره ليس من كتب أهل السنة والجماعة على ما نقله فيها، لا يدل على اتهامها لها، بل يمكن أن تكون ناقلة حكاية غيرها.

وإذا دققت في السيرة المذكورة تعلم عدم صحة نقلها في كثير من المسائل لاعتماده على كتب غير أهل السنة بخلاف الشيعة[(٢)]، فإنهم جعلوها هي المتهمة، فبرأها الله تعالى.

التباين الثاني: أن استئذان سيدنا على رضي الله عنه سيدنا رسول الله ﷺ في أن يمضي الأمر، أو يثبت، كان قبل الذهاب إلى مأبور على رواية أهل السنة وبعدها على رواية الشيعة.

التباين الثالث: أن عدم قتل مأبور لكونه غير خصي كان بأمر النبي ﷺ على رواية أهل السنة وبغيره على رواية الشيعة.

التباين الرابع: أن رواية أهل السنة تدل على أن رسول الله ﷺ كان عالمًا بكون مأبور خصيًا قبل كشفه عن نفسه، ورواية الشيعة تدل على أنه لم يكن عالمًا بذلك ولا يخفى ما يترتب عليه[(٣)].

= وكانت له تصانيف كثيرة منها شرح مسلم ورياض الصالحين والأذكار والأربعين والإرشاد في علوم الحديث والتقريب والمبهمات وتحرير الألفاظ للتنبيه والعمدة في صحيح التنبيه والإيضاح في المناسك وغيرها الكثير. انظر مقدمة شرح مسلم للنووي (١/٧) طبعة دار الكتب العلمية

(١) يقصد السيرة الحلبية .

(٢) النظريات في أصل التشيع كثيرة ومعظمها وضعه المستشرقون، وقد ردوه في قول إلى الروح الفارسية الآرية وقالوا: إن الشيعة فرقة فارسية وجعلوا التشيع على أصول من عقائدهم في ملوكهم فقد كانوا يقولون بأنهم ينحدرون من الآلهة، وأن النور الإلهي ينتقل في أصلاب العائلات المصطفاة، والشاهنشاه تجسيد لروح الله التى تنتقل من الآباء للأبناء ولم يقبلوا لذلك أن تكون الإمامة بالانتخاب كما أجراها العرب بعد وفاة الرسول وألهوا آل البيت وقالوا بعصمة الإمام.

(٣) فيما رواه مسلم في صحيحه [٥٩-(٢٧٧١)] كتاب التوبة، ١١-باب براءة حرم النبي من الريبة، عن أنس وقد تقدم وفيه: "فأتاه علي فإذا هو في ركيٍّ يتبرد فيها. فقال له علي: اخرج فناوله يده فأخرجه، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر، فكف على عنه، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه لمجبوب ما له ذكر".

وقال النووي: قيل: لعله كان منافقاً مستحقاً للقتل بطريق آخر، وجعل هذا محركاً لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا" وتقدم رأيه كاملاً. كذا رأي أهل السنة في هذه الواقعة.

التباين الخامس: أن رواية أهل السنة تدل على أن التهمة وقعت والسيدة مارية حامل بسيدنا إبراهيم عليه السلام. ورواية الشيعة تدل على أن التهمة وقعت بعد وفاة سيدنا إبراهيم عليه السلام[١].

التباين السادس: أن رواية أهل السنة لا تدل على أن مأبور خوفه وروعه سيدنا على أو سيدنا عمر (رضي الله تعالى عنهما). ورواية الشيعة تدل على أنه خوفه وروعه.

التباين السابع: أن رواية أهل السنة لا تدل على أن عليًا (رضي الله تعالى عنه) غضب، بل تدل على أنه ذهب متأنيًا لاستئذانه رسول الله ﷺ في أنه يثبت أو يمضى. وبقيت جملة التباينات، لا يخفى على ذي ذوق سليم وطبع خال من الغرض المستقيم.

الباب الثالث عشر

في العذاب الذي أصاب من جاءوا بالإفك وتوبتهم

غير رأس النفاق لعنه الله تعالى[٢].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

قال المفسرون: إن المراد بالعذاب في الدنيا عذاب الجلد، وفي الآخرة عذاب جهنم،

---

(١) وفى وفاة سيدنا إبراهيم ابن رسول الله ﷺ كما ذكرنا من حديث البخاري وهو في مسلم [٦٢-(٢٣١٥)] كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك .

وفى لفظة "فدمعت عينا رسول الله ﷺ إلى آخره" فيه جواز البكاء على المريض والحزن وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر بل هى رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما المذموم الندب والنياحة والويل والثبور ونحو ذلك من القول الباطل.

شرح مسلم للنووي (٦١/١٥).

(٢) روى البخاري في صحيحه (١٢٦٩) كتاب الجنائز ، ٢٢- باب الكفن في القميص الذى يكفي أو لا يكف ، عن ابن عمر "أن عبد الله بن أُبي لما توفى جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال له يا رسول الله اعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له فأعطاه النبي ﷺ قميصه فقال: "آذني أصلي عليه" فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر رضي الله عنه فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: أنا بين خيرتين قال الله تعالى: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين فلن يغفر الله لهم" فصلى عليه فنزلت: "ولا تصل على أحد منهم مات أبداً".

(٣) في تفسيرها قال ابن كثير (٢٨٣/٣) أي يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح "لهم عذاب أليم في الدنيا" أي بالحد ، وفى الآخرة بالعذاب الأليم "والله يعلم وأنتم لا تعلمون" أى فردوا الأمور إليه ترشدوا، وقال الإمام أحمد بسنده عن ثوبان "لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته".

وهذا في غير الذين جاءوا بالإفك.

أما هم فقد زادهم الله (تعالى) عذابًا فوق عذاب الجلد في الدنيا، وذلك أنهم ردت شهادتهم.

وصار ابن أبي بن سلول(١) (لعنه الله تعالى) مطرودًا مشهودًا عليه بالنفاق.

وحسان أعمى وأشل اليدين، ومسطح مكفوف البصر(٢) كما في تفسير العلامة أبي السعود وغيره، وقد لعنهم الله تعالى: ﴿**إلا الذين تابوا منهم**﴾. فقال سبحانه:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(٣).

ودليل توبتهم في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿**وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا**﴾- أي ما طهر من دنسها -﴿**مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ**﴾ إلى نهاية. ﴿**وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ**﴾- يريد من عباده -بإفاضة آثار فضله ورحمته عليه.

وحمله على التوبة، ثم قبولها منه كما فعل بكم. ﴿**وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.

وقد ثبت أن مسطحًا، وحسانًا(٤) وغيرهما تابواْ منه فنجواْ من اللعنة، ومن عذاب

---

(١) قال عبد الرزاق : أنا معمر، عن الزهري قال: كنت عند الوليد بن عبد الملك فقال: الذى تولى كبره منهم عليٌّ، فقلت: لا، حدثني سعيد وعروة وعلقمة وعبيد الله كلهم سمع عائشة تقول: الذى تولى كبره عبد الله بن أبي".

(٢) وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن عروة، عن عائشة قالت: لما تلا رسول الله ﷺ القصة التى نزل بها عذري على الناس، نزل فأمر برجلين وامرأة ممن كان تكلم بالفاحشة في عائشة فجلدوا الحد، قال: وكان رماها ابن أبي مسطح وحسان وحمنة بنت جحش. تاريخ الإسلام حوادث سنة (٥).

(٣) روى ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس في الآية "إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات" قال: نزلت في عائشة خاصة وكذا قال سعيد بن جبير ومقاتل ابن حبان .

وقد ذكره ابن جرير بسنده عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: رميت بما رميت به وأنا غافله فبلغني بد ذلك، قالت فبينا رسول الله ﷺ جالس عندي إذ أوحى إليه قالت: وكان إذا أوحى إليه أخذه كهيئة السبات وإنه أوحى إليه وهو جالس عندي ثم استوى جالساً يمسح وجهه وقال: "يا عائشة أبشري" قالت فقلت: بحمد الله لا بحمدك فقرأ: ﴿**إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات**﴾.تفسير ابن كثير (٢٨٥/٣).

(٤) وقد روى مسلم من حديث عائشة (رضى الله عنها) [١٥٧ – (٢٤٩)] كتاب فضائل الصحابة، باب فضل حسان بن ثابت رضي الله عنه، وفيه: قوله ﷺ لحسان: "إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله" وقال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "هجاهم حسان فشفى واشتفى" فقال حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

=

الآخرة، للآية المذكورة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

وحكم التائب من الذنب مقرر، لا يحتاج إلى إطالة قول فيه[١].

وقال سيدنا حسان معتذرًا في حق السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها، وذاكرًا حصانتها، ومبينًا طهارتها من كل شين، وباطل. وطيب خيمها وثبوت مجدها.

فقال:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى[٢] من لحوم الغوافل[٣]

حليلة خير الناس دينًا ومنصبًا ... نبي الهدى والمكرمات النواصل[٤]

عقيلة حيى من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غير زائل[٥]

مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل[٦]

قال الرازي: وروى أن عائشة (رضي الله عنها) ذكرت حسانًا وقالت: أرجو له الجنة. وقال (عليه الصلاة والسلام): "إن الله يؤيد حسانًا بروح القدس في شعره" [٧].

= في قصيدة طويلة رواها مسلم.

(١) روى مسلم في صحيحه [١٥٥-(٢٤٨٨)] كتاب فضائل الصحابة، ٣٤-باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، عن مسروق قال: دخلت على عائشة وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعراً يشبب (أى يتغزل) بأبيات له فقال:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها:لم تأذنين له يدخل عليك؟ وقد قال الله: "والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم" فقالت: فأي عذاب أشد من العمى؟ إنه كان ينافح أو يهاجى عن رسول الله ﷺ .

(٢) غرثى : أى جائعة، ورجل غرثان وامرأة غرثى، معناه لا تغتاب الناس لأنها لو اغتابتهم شبعت من لحومهم.

(٣) حصان: متحصنة بعفتها، رزان: ثقال ذات ثبات ووقار، ما تزن: ماتتهم، غرثى: جائعة، الغوافل: العفائف الغافلة قلوبهن عن البشر.

(٤) حليلة: زوجة، العقيلة: الكريمة.

(٥) كالسابق.

(٦) الخيم: الطبع والأصل.

(٧) انظر مسلم قبل هذا، وأخرجه الترمذى في جامعه وسيأتي .

وأخرجه أيضاً: أبو داود في الأدب، باب ما جاء في الشعر، والحاكم في مستدركه (٤٨٧/٣)، والبغوي في شرح السنة (٣٧٧/١٢)، ومشكاة المصابيح (٤٨٠٥).

وروى الترمذي[١] في صحيحه عن رسول الله ﷺ كان يضع لحسان منبرًا في المسجد يقوم عليه قائمًا يفاخر عن رسول الله ﷺ، أو قال ينافح عن رسول الله ﷺ، ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد حسانًا بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله ﷺ».

وقال مسلم في صحيحه: وزاد في حديث صالح- يعني ابن كيسان[٢] -قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان. وتقول إنه قال:

فــإن أبي ووالــده وعرضي ... لعرض محمد منكــم وقــاء

وزاد أيضًا: قال عروة: قالت عائشة: والده، إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف أنثى قط[*]، ثم قتل بعد ذلك شهيدًا[٣]. انتهى (رضي الله تعالى عنه) وأرضاه آمين.

وبذكر هذا البيت لسيدنا حسان ﷺ، ويحسن بنا أن نذكر القصيدة التي هو منها في مدح السيد الأعظم ﷺ وهي هذه[*]:

عفــــت ذات الأصابــع فالجواء ... إلى عـــــذراء منزلهــا خــلاء[٤]

ديـــار مـــن بني الحسحاس قفر ... تعفــتهــا الدوامــس والسماء[٥]

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٤٦) كتاب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، عن عائشة، بنفس اللفظ المتقدم.

وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة والبراء، وهذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) صالح بن كسيان، أبو محمد، ويقال: أبو الحارث المدني، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، ثقة فقيه، ثبت، أخرج له، أصحاب الكتب السنة توفى سنة (١٤٠).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٣٩٩/٤)، تقريب التهذيب (٣٦٢/١)، الكاشف (٢٣/٢)، تاريخ البخاري الكبير (٢٨٨/٤)، الجرح والتعديل (١٨٠٨/٤)، ميزان الاعتدال (٢٩٩/٢)، لسان الميزان (٧/ ٢٤٦)، البداية والنهاية (١٩٢/٩، ٣٤٤)، طبقات ابن سعد (٦٣/٥، ٣٠٤)، الواقي بالوفيات (١٦/ ٢٦٨)، سير الأعلام (٤٥٤/٥)، الثقات (٤٥٤/٦) .

(*) "ما كشفت عن كنف أنثى قط" الكنف هنا ثوبها الذى يسترها ، وهو كناية عن عدم جماع النساء جميعهن ومخالطتهن.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٥٧—(٢٧٧٠)] كتاب التوبة، ١٠-باب في حديث الإفك ، وقبول توبة القاذف.

(*) ذكر ذلك الذهبي في تاريخ الإسلام (١-٤٧٧) .

(٤) عفت: درست، ذات الأصابع والجواء وعذراء: مواضع بالشام، وكان حسان كثيراً ما يرد على ملوك غسان بالشام فيمدحهم، فلذلك يذكر هذه المنازل، خلا: بمعنى خال.

(٥) بنو الحسحاس: قوم من العرب، الروامس: الرياح تثير التراب، وترمس الآثار وتغطيها وتسوى بها الأرض، السماء: المطر.

وكانـــت لا يـــزال بنا أنيـس حــــلال مروجها نعـم وشاء[١]
فـــدع هـذا ولكن من لطيــف يؤرقنـــي إذا ذهــب العشاء[٢]
لشـعثــاء التــي قــد تيمتــه فلـيـس لقلبـه منـه شفـاء[٣]
كــأن سبيئـة من بيـت رأس يكـــون مزاحها عسل ومـاء[٤]
إذا مـــا الأشـر بات ذكرنا يومًا فهـن لطيـب الراح الفـداء[٥]
توليهـا الملامـــة أن ألمنـا إذا مـا كـان مغث أو لحاء[٦]
ونشـربهـا فتتـركنـا ملـوكـًا وأسـدًا مـا ينهنهنا اللقـاء[٧]
عدمـنـا خيلـنـا إن لم تروهـا تثيـر النقـع موعدها كـداء[٨]
يـنازعـن الأعـنـة مصـعدات علـى أكتافها الأسـل الظماء[٩]
تظـل جـيادنـا متمطـرات تلطمهـن بالخمـر النسـاء[١٠]
فإمـا تعرضـوا عـنـا اعتمرنـا وكـان الفتح وانكشف الغطاء[١١]
وإلا فاصـبـر والجـلاد يـوم يعـز الله فيـه مـن يشـاء[١٢]
وجـبريـل رسـول الله فينـا وروح القـدس ليس لـه كفاء[١٣]

---

(١) المروج: جمع مرج وهو الأرض الواسعة ذات كلأ يرعى، نعم: إبل، شاء: غنم.
(٢) فدع هذا: اترك هذا الحديث، الطيف: خيال النائم يؤرقني: يسهرني ويمنعني عن القوم، العشاء: أول الظلام.
(٣) شعثاء: اسم المرأة التي يشبب بها حسان، تيمته: استعبدته بالحب وذلته.
(٤) السبيئة: الخمر المشتراه، بيت رأس: مكان بالأردن يحمد خمده، ويروى خبيئه وسلامة مكان سبيئة والخبيئة: المصونة المضنون بها لنفاستها، والسلامة خلاصة الحمر.
(٥) الأشربات: جمع أشربة جمع شراب وهو ما يشرب كطعام وأطعمة وأطعمات، الراح: الخمر.
(٦) توليها الملامة: نحيل عليها اللوم، ألمنا: فعلنا ما نلام عليه، المغث: الضرب باليد، اللحاء: الملاحاة والمعارضة بالكسان.
(٧) ينهنهنا: يمنعنا ويجعلنا نكف.
(٨) النقع: الغبار، كداء: الثنية العليا بمكة، أو اسم طريق الجبل في مدخل مكة، وفى الحديث أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح من كداء.
(٩) الأعنة: جمع عنان، ومعناها يسابقناه في اللبن وسرعة الانقياد، مصيغات: مائلات.
(١٠) متمطرات: مسرعات متسابقات، تلطمهن بالخمر، النساء: تضرب النساء وجوه الخيل بمخمرهن ليردنها عند فرار رجالهن، وفى هذا الخزي والعار.
(١١) تعرضوا عنا: تخلوا لنا الطريق، اعتمرنا: الدنيا العمرة كان الفتح ثبت انكشف الغطاء ظهر ما كان مستوراً.
(١٢) الجلاد: التضارب بالسيوف في القتال.
(١٣) روح القدس: جبريل، كفاء: نظير.

وقـــال الله قـــد أرســلت عبــدًا يقـــول الحق إذ عـــم البـــلاء[١]
شـــهـــدت بــــه فقوموا صدقوه فقلـــتـــم لا نقـــوم ولا نشـــاء[٢]
وقـــال الله قـــد يســـرت جنـــدًا هـــم الأنصار عرضتها اللقـــاء[٣]
لـــنـــا في كـــل يـــوم من معـد ســـبـــاء أو قتـــال أو هجـــاء[٤]
فـــنحكم بالقواضـــي مـــن هجانا ونضـــرب حين تختلط الدمـــاء[٥]
ألا أبلـــغ أبـــا ســـفيـــان عنـــا مغلغلـــة فقـــد بلـــغ الخفـــاء[٦]
هجـــوت محمـــدًا فأجبت عنـــه وعـــنـــد الله في ذاك الجـــزاء[٧]
أتهجـــوه ولســـت له بكفـــؤ فشـــركمـــا لخيركمـــا الفداء[٨]
هجـــوت محمـــدًا بـــرًا تقيًا أمـــيـــن الله شيمتـــه الوفـــاء[٩]
أمـــن يهجـــو رســـول الله منكم ويمدحـــه وينصـــره ســـواء[١٠]
فـــإن أبي ووالـــده وعرضـــي لعـــرض محمـــد منكم وقاء[١١]
لســـاني صـــارم لا عيب فيـــه وبحـــري لا تكـــدِّره الدِّلاء[١٢]

---

(١) عبداً: يقصد رسولاً، البلاء: الامتحان والاختبار.
(٢) شهدت به: آمنت به وصدقت.
(٣) عرضتها: همتها وديلنها، عرضتها اللقاء: أقوياء على قتال الأعداء.
(٤) لنا: نحن الأنصار، معد: يريد قريش فهم من معد بن عدنان أحد أجداد النبي ﷺ.
(٥) نحكم: نمنع ونقرع من حكمة الداية، أى نفحمهم ونخرسهم بالقوافي، بالقصائد، تختط الدماء! تشتد الحرب ويكثر القتل.
(٦) المغلغلة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد، فقد بلغ الخفاء: وضح الأمر.
(٧) رووا أن الرسول ﷺ قال لحسان عند انتهائه من هذا البيت: "جزاؤك على الله الجنة يا حسان".
(٨) الاستفهام للإنكار والتوبيخ ، روى أنه لما انتهى من إنشاد هذا البيت قال من حضر: هذا أنصف بيت قالته العرب.
(٩) الشيمة : الخلق .
(١٠) معنى البيت : لقد هان أمركم وعز الرسول ﷺ ما يضره هجاؤكم وما يسره مرحكم ، على سبيل استفهام الإنكار والإبطال ويكون المعنى : أنتم تهجون ونحن نمدح ، وهل يستوى الفادحون والمادحون .
(١١) عرضي : هنا بمعنى نفسي ، الوفاء الحفظ والحماية .
(١٢) صارم : سيف قاطع .

الباب الرابع عشر
في أنه لم يقل بالإفك ويصدق به وقتئذ إلا عصبة

قال الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[١]. وقدمنا أن العصبة هي الجماعة من العشرة إلى الأربعين. فلم يصدق به إلا المنافقون[٢] ظاهرًا، إيذاءًا للنبي ﷺ. ومن ذكرنا من الصحابة. ولم يثبت عن غيرهم شيء من الإفك والوقوع به وأما باقي الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فما قالواْ إلا خيرًا. قال المفسرون عند قوله تعالى:﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

روي أن أبا أيوب الأنصاري (رضي الله تعالى عنه) قال لأم أيوب رضي الله عنها: أما ترين ما يقال. فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرم رسول الله بسوء؟ قال:لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله ﷺ، فعائشة خير مني وصفوان خير منك"[٣]. انتهى.

أقول ذلك تبرئةً وظن خير بدليل أنهْ لا يمكن للرجل أن يتعرض للمرأة بفاحشة إلا إن ظن بها إتيانها إياها، وهي السوء. فإذا لم يظن ذلك لا يتعرض لها.

---

(١) نزلت هذه الآيات في شأن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) حيث رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التى غار الله عز وجل لها ولنبيه (صلوات الله وسلامه عليه) فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض رسول الله ﷺ فقال تعالى: "إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم" أى جماعة منكم يعلن ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فإنه كان يجمعه ويستوشيه حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزه آخرون منهم. تفسير ابن كثير (٢٧٦/٣).

(٢) قال ابن عبد البر في الدرر في اختصار المغازي والسير صـــ١٩٠، قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي فإن كنت تريد ذلك فمرني بقتله، فوالله إن أمرتني بقتله لأقتلنه، وإني أخشى يا رسول الله إن قتله غيري ألا أصبر عن طلب الثأر فأقتل به مسلماً فأدخل النار، وقد علمت الأنصار أني من أبر أبنائنا بأبيه فقال له رسول الله ﷺ صبراً ودعا له، وقال له: بر أباك، ولا بري منك إلا خيراً.

(٣) في قوله تعالى:﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ...**﴾ الآية قيل أنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته (رضي الله عنهما) كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة (رضي الله عنها)، قال: نعم وذلك الكذب أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله قال: فعائشة والله خير منك. تفسير ابن كثير (٢٨١/٣)

وقد قال أبو أيوب(١): لا أظن بحرم رسول الله ﷺ سوءًا.

فقالت له أم أيوب: صفوان خير منك، أى لما كان معروفًا بالعفة والديانة كما شهد به رسول الله ﷺ بقوله:"ولقد ذكرواْ رجلاً- يريد صفوان -ما علمت عليه إلا خيرًا".

فلا يظن ذلك بالأولى حيث كان صفوان خيرًا منه فإذا انتفى الظن انتفى الفعل بالأولى. هذا من جانب صفوان. وأما من جانب السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) فقد قالت أم أيوب(٢): ولو كنت أنا بدل عائشة- أي زوجةً لرسول الله ﷺ -ما خنت رسول الله ﷺ، وعائشة خير مني.

أي لما لها من زيادة الفضل بالعلم بالله وبرسوله وزيادة الخوف من الله تعالى، وزيادة الورع والعفة والصلاح والديانة والعقل والرزانة، ولشهادة النبي ﷺ بها خيرًا، فقال: فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا يريد بأهله عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها)... رواه غير واحد(٣).

فكيف يتصور أن تخونه حيث كانت خيرًا منها فهذا لا يمكن. فانظر كيف كانوا رضوان الله تعالى عليهم يعتقدون بالسيدة عائشة الصديقة، وبصفوان ظن الخير المستلزم

---

(١) شهد أبا أيوب الأنصاري العقبة وبدراً، وعليه نزل رسول الله ﷺ لما قدم المدينة، فبقى في داره شهراً حتى بنيت حجره ومسجده. وكان من نجباء الصحابة.

وشهد الجمل وصفين مع علي، وكان من خاصته، وكان على مقدمته يوم النهروان، ثم إنه غزا الروم مع يزيد بن معاوية ابتغاء ما عند الله، وتوفى عند القسطنطينية، فدفن هناك وأمر يزيد بالخيل فمرت على قبره حتى غطت أثره لئلا ينبش ثم إن الروم عرفوا مكانه قبره، فكانوا إذا أملحوا كشفوا عن قبره فمطروا. تاريخ الإسلام وفيات (٥١/٦٠)

(٢) أم أيوب: الأنصارية، الخزرجية، زوج أبى أيوب الأنصاري، وكان أبوها خال زوجها اخرج لها: أبو داود وابن ماجة.

ترجمتها: تهذيب التهذيب (١٢/٤٦٠)، تقريب التهذيب (٢/٦١٩)، الجرح والتعديل (٩/٤٦١)، أسماء الصحابة الرواة (٤٢٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤٧٥٠) كتاب التفسير باب قوله: "إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم"، عن عائشة. ومسلم في صحيحه[٥٦-(٢٧٧٠)]كتاب التوبة ١٠-باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، عن عائشة.

اعتقاد براءتها. وهذا مقتضى الإيمان لقوله تعالى:﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾[(١)]. فقيد ولم يطلق.

الباب الخامس عشر
في تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

وأن المراد بأهل بيته أزواجه الطاهرات[(٢)]، وغيرهن من على وفاطمة وأولادهما (رضي الله تعالى عنهم أجمعين).

إن الله (سبحانه وتعالى) لما أنزل على النبي ﷺ أن يخير نساءه الطاهرات بين أن يردن الحياة الدنيا وزينتها، وبين أن يردن الله ورسوله والدار الآخرة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

وكان أول من اختار ذلك السيدة عائشة[(٣)] الصديقة (رضي الله عنها)، وعن أبويها.

---

(١) قال ابن كثير في تفسير ظن المؤمنون(٣ /٢٨٢): يعنى أبا أيوب حيث قال لأم أيوب ما قال، ويقال إنما قالها أبي بن كعب، وقوله تعالى: "ظن المؤمنون" الخ أى هلا ظنوا الخير فإن المؤمنين أهله وأولى به، هذا ما يتعلق بالباطن.

وقوله:﴿**قالوا**﴾-أى -﴿**بألسنتهم**﴾، ﴿**هذا إفك مبين**﴾ أى كذب ظاهر على أم المؤمنين (رضي الله عنها)، فإن الذى وقع لم يكن ريبة وذلك أن مجئ أم المؤمنين ركبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والجيش بأكمله يشاهدون ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ولو كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هذا جهراً ولا كانا يقدمان على مثل ذلك على رءوس الأشهاد بل كان هذا يكون لو قدر خفية مستوراً، فعين أن ما جاء به أهل الإفك هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة الفاحشة الفاجرة.

(٢) أخرج الترمذى (٣٢٠٥) كتاب تفسير القرآن من سورة الأحزاب، عن عمر بن أبى سلمة ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء، وعلى خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً"، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير" .

وقال الترمذى: هذا حديث غريب من حديث عطاء عن عمر بن سلمة.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (٤٧٨٦) كتاب تفسير القرآن، وباب قوله: "وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً" وإن عائشة زوجة النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدء بي فقال: "إنى ذاكر لك أمراً، فلا عليك ألا تعجلى حتى تستأمرى أبويك" قالت: وقد علم أن أبوى لم يكونا بأمرى بفراقه، قالت: ثم قال: "إن الله (جل ثناؤه) قال:﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها**﴾إلى ﴿**أجراً عظيماً**﴾ قالت فقلت: ففي

أخبرهن تعالى أنه أعد للمحسنات منهن أجرًا عظيمًا، وذكرهن أنه من يأت منهن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين، وأنه من يقنت منهن لله ورسوله وتعمل صالحًا يؤتها أجرها مرتين[١].

عرفهن أنهن لسن كأحدٍ من النساء، ونهاهن أن يخضعن بالقول، فيطمع الذي في قلبه مرض وأمرهن أن يقلن قولاً معروفًا.

وأن يقرن في بيوتهن، ونهاهن أن يتبرجن أي يتبخترن في مشيهن تبرج الجاهلية الأولى أي كتبرج النساء في الأيام الجاهلية القديمة[٢]، وأمرهن أن يقمن الصلاة ويؤتين الزكاة، ويطعن الله ورسوله[٣].

وبين لهن أنه إنما يريد ذلك منهن ليذهب عنهن الرجس ويطهرهن تطهيرًا. وأمرهن أن يذكرهن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة.

فالضمير في قوله عليكم للزوجات الطاهرات، وذكره ولم يأت به مؤنثًا، ليعم ذكور أهل البيت كما يعم نسائهم. فالله تعالى يريد ليذهب الرجس عن أهل البيت الرجال والنساء، لا

أى هذا استأمر أبويّ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة... الحديث" .

(١) قال مالك: عن زيد بن أسلم "يضاعف لها العذاب ضعفين" قال في الدنيا والآخرة، وعن ابن أبى بخيح عن مجاهد مثله، وكان ذلك على الله يسيراً " أى سهلاً هيناً، ثم ذكر عدله وفضله في قوله: "ومن يقنت منكن لله ورسوله" أى يطع الله ورسوله ويستجيب "نؤتها أجرها مرتين وأعدنا لها رزقاً كريماً" أى في الجنة فإنهن في منازل رسوله الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التى هى أقرب منازل الجنة إلى العرش.
انظر تفسير ابن كثير (٤٩٨/٨).

(٢) قوله تعالى:﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾ قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية. وقال قتادة: ﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾ يقول: إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسير وتغنج فنهى الله تعالى عن ذلك. وقال مقاتل بن حبان: ﴿**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾ والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج.
تفسير ابن كثير(٤٩٩/٨).

(٣) وقوله تعالى: ﴿**وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله**﴾ نهاهن أولا عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهى عبادة الله وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة وهى الإحسان إلى المخلوقين، "وأطعن الله ورسوله" وهذا من باب عطف العام على الخاص.
تفسير ابن كثير (٤٩٩/٨).

عن الرجال وحدهم، كما فهم؛ لأن النساء من حيث هن أحوج إلى إذهاب الرجس عنهن، وتطهيرهن من الرجال[١].

فلو أذهب (الله تعالى) الرجس عن الرجال أهل البيت دون نسائهم، وكن رجسات ما ذهب الرجس عن رجال أهل البيت[٢]؛ لأن الرجس إذا لحق نساء الرجل لحقه إياه نفسه بالضرورة، بل كان أعظم.

كمن تزني امرأته، ويرضى به فإن في ذلك عارًا أكثر من أن يكون زانيًا هو نفسه يشهد له جعل الصافي محمد رسول الله ﷺ؟على وجود على مأبورًا خصيًا لصدف السوء حينئذ عن أهل البيت بانصراف التهمة عن جاريته السيدة مارية (رضي الله تعالى عنها) بقوله:﴿**الحمد لله الذي صدف عنا السوء أهل البيت**﴾[٣].

فقد جعل انصراف السوء عنها انصراف عن أهل البيت، فما بالك بالزوجات الطاهرات[٤](رضي الله تعالى عنهن)، فثبت من ذلك أنه لا يذهب الرجس عن الرجال أهل

---

(١) روى ابن جبير عن عكرمة أنه كان ينادى في السوق "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة .

وهكذا روى ابن أبى حاتم قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس (رضى الله عنهما) في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾ قال: نزلت في نساء النبى ﷺ خاصة.

تفسير ابن كثير (٨/٤٩٩).

(٢) روى الترمذى (٣٢٠٦) كتاب تفسير القرآن باب تفسير سورة الأحزاب، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.

قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب.

(٣) روى مسلم في صحيحه [٦١ــ(٢٤٢٤)] كتاب فضائل الصحابة، ٩-باب فضائل أهل البيت النبي ﷺ، قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداة وعلية مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء على فادخله، ثم قال:﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾.

(٤) قال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾.في شأن نساء النبي ﷺ، فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح. وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففى هذا نظرا فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك.

انظر تفسير بن كثير (٨/ ٥٠٠).

البيت، إلا أن يذهب عن نسائهم أيضًا.

وإذا وجب حمل أهل البيت على الرجال والنساء منهن، وامتنع تخصيصه بالرجال وحده(١). ولأن سياق الآيات تظنها واردًا في شأن نساء النبي ﷺ.

فذكر الأهل في معرضين دليل ظاهر لا تقوم معه مكابر في رده على إرادتهن فيه بل على أنهن المقصودات بالخطاب بالأصالة، وعلى أن دلالته على غيرهن بالتبعية(٢).

فإن قلت: إذا كان كذلك فَلِمَ لَمْ يقل (سبحانه وتعالى) عليكن ويغلب النساء على الرجال. قلت: إنما نزل القرآن الكريم على عامة فصحاء العرب وأساليبهم في مخاطباتهم ومما ورائهم. والعرب من عادتهم أن يغلبوا الذكور على الإناث لشرفهم عليهم بكمال العقل، وحسن التصرف، ولذا خصواْ بإرسال الرسل منهم، وجعل النبوة فيهم.

المذكر أصل للمؤنث وأجاب بعضهم بأنه إنما ذكر الضمير؛ لأنه ينصرف إلى الأهل. والأهل مذكر فسماهن باسم التذكير. وإن كن إناثًا.

فإن قيل: هل من دليل غير ما ذكرت لدى المخالفين في أن أزواج النبي ﷺ الطاهرات من أهل البيت لا يدحض.

قلت: قد اعترفوا أنفسهم أن أهل البيت خمسة: النبي ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين (رضي الله تعالى عنهم)(٣).

---

(١) قال ابن كثير في تفسير (٨/٥٠٢): الذى لا شك فيه تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى:﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله:﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾ أى وأعلمت بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة، قال قتادة وغيره واحد.

(٢) روى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم وفيه قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بماء يدعى خمساً بين يدي مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: "أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى منه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به بحث على كتاب الله ﷻ ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي اذكر الله في أهل بيتي ثلاثاً، فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده.
انظر تفسير ابن كثير (٨/٥٠٢).

(٣) روى الترمذي (٣٧٨٨) كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، عن زيد بن أرقم: قال يا رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف
=

فحيث كان النبي ﷺ من أهل البيت. بل سيدهم وبه شرفوا كانت أزواجه الطاهرات من أهل البيت على ما أوضحنا. ويؤيد عطف قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ**﴾(١). فإنه خطاب لهن أيضًا.

فكان الكلام على أسلوب واحد ووتيرة واحدة كما هي عادة العرب على أن أولى الآيات وتمامها إلى (قوله تعالى):﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ**﴾(٢)(جميعًا في نسائه الطاهرات (عليه وآله الصلاة والسلام).

فلا معنى لإخراجهن من هذه الآية بخصوصها ولا سبب له إلا التحكم.

كيف وقد نقل الصافي نفسه عن رسول الله ﷺ أنه عندما أخبره علي ﷺ أن مأبورًا خصي. قال:"الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت" فحيث كان السوء لاحقًا بحسب الظاهر مارية (رضي الله تعالى عنها)، المبرأة وظهرت براءتها، قال ﷺ ذلك.

ولو لم تكن السيدة مارية من أهل البيت لما صح من قوله ﷺ ذلك، لأن انصراف السوء عنها إذا لم تكن من أهل البيت، لا يكون انصرافًا عن أهل البيت، فلا يتمشى قوله ذلك.

وحيث كانت جارية النبي ﷺ (٣) من أهل البيت بالنص القطعي عند الشيعة، فلأن تكون

تخلفوني فيهما". وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(١) سورة الأحزاب (٣٤). أي واعملن بما ينزل الله (تبارك وتعالى) على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة، قاله قتادة وغير واحد، واذكرن هذه النعمة التي خصصتكن بها من بين الناس أن الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر الناس.﴿**إن الله كان لطيفاً خبيراً**﴾ أى ذا لطف بكن إذ جعلكن في البيوت التى تتلى فيها آيات الله، والحكمة هى السنة خبيراً لكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً.
تفسير ابن كثير (٥٠٣/٨).

(٢) سورة الأحزاب (٤٠). نهى أن يقال بعد هذا زيد بن محمد أي لم يكن أباه وإن كان قد تبناه فإنه ﷺ لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم، فإنه ﷺ ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة (ﷺ) فماتوا صغاراً، وولد له ﷺ إبراهيم من مارية القبطية فمات أيضاً رضيعاً، وكان له من خديجة أربع بنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة (رضى الله عنهم أجمعين).

(٣) أزواج النبي ﷺ فيما قاله سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن رسول الله ﷺ تزوج خمس عشرة امرأة دخل بثلاث عشرة منهن واجتمع عنده منهن إحدى عشرة، وقبض عن تسع.

خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية وزينب بنت جحش الأسدية ، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية. ومن سراريه: مارية أم إبراهيم، وريحانة من بني قريظة، وكانت له جارية نفيسة وهبتها له زينب بنت جحش. تاريخ الإسلام في ذكر أزواجه وعددهن من الجزء الأول.

زوجاته الطاهرات من أهل بيته أولى. وقد تقدمت الإشارة لذلك فلا تغفل والاختلاف بين العلماء في أهل البيت هنا من قال: هل هم أزواجه الطاهرات فقط، أو علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة[١].

والاختلاف قديم شائع. لكن الشيعة تمسكت بالثاني، وزادت تسعة من ولد الحسين[٢] في نقل عن الإكمال. وزادت الأئمة وولايتهم، ومن دخل فيها، في نقل عن الكافي. والأول عجيب حيث خص تسعة من أولاد الحسين.

والثاني أعجب حيث زاد ولايتهم، ومن دخل فيها، وجعل ولايتهم من أهل البيت.

والداخل فيها، وأعجب من هذا وذاك إخراج الزوجات الطاهرات من أهل البيت مع أنهن وآلين[٣] رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة باتفاق الشيعة على ذلك.

فأي ولاية أعظم من هذه.

فإدخال من والى أهل البيت فيهم[٤]، وإخراج الزوجات الطاهرات منهم مع ولايتهن لا

---

(١) الشيعة هم الذين شايعوا علياً ﷺ وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين الذي لا يجوز للرسل (عليهم السلام) إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة.
موسوعة الفرق والجماعات (صـ٢٦٥).

(٢) ولد الحسين يبدأ من علي زين العابدين المتوفي (٩٤) هـ، ومحمد الباقر المتوفي (١١٧)، وزيد بن علي توفي (١٢١)، وولداه يحيى وعيسى، ثم جعفر الصادق بن محمد الباقر، توفي (١٤٨) وأولاده إسماعيل وعبد الله الأفطح وموسى الكاظم، وإسحاق، ومحمد الديباج وهكذا.
المرجع السابق صـ٢٦٩.

(٣) قال النووي في شرح مسلم (٧٦/١٠) قوله: "وكان آلى منهن شهراً" هو بمد الهمزة، وفتح اللام ومعناه حلف لا يدخل عليهن شهراً، وليس هو من الإيلاء المعروف في اصطلاح الفقهاء، وصار عندهم الامتناع من وطء الزوجة، ولا خلاف في هذا إلا ما حكى عن ابن سيرين أنه قال: الإيلاء الشرعي محمول على ما يتعلق بالزوجة من ترك جماع أو كلام أو اتفاق، قال القاضي عياض: لا خلاف بين العلماء أن مجرد الإيلاء لا يوجب في الحال طلاقاً ولا كفارة ولا مطالبة ثم اختلفوا في تقدير مدته.

(٤) روى مسلم في صحيحه [٢٢-(١٤٧٥)] كتاب الطلاق ٤-باب بيان تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، أن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك" قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله ﷻ قال:﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين ...﴾ الآية.
=

داعي له إلا التحكم والغرض، والبغض لهن، وإيذاء رسول الله ﷺ سيما وإنهن من جملة الموالين والداخلين في ولايتهن.

ولفظ أهل البيت لا يدل على تلك الزيادات فإن أبقيناه على ظاهره دل على الزوجات الطاهرات فقط.

وإن قلنا المراد به الأعم، ونظرنا لحديث العباءة لا يشمل أولادهم، وإن شمل أولادهم لا مخصص له بأولاد الحسين دون الحسن[١].

وإن خصصناه بأولاد الحسين فلا مخصص له بتسعة[٢] منهم فقط، وفي كل حال لا يمكن إدخال الولاية في أهل البيت مطلقًا تنازلنا وسلمنا. والولاية هنا إما بمعناها أو بمعنى الموالاة وكلاهما معنى مصدري.

وعلى كل حال لا يمكن أن يراد واحد منهما؛ لأنه لا معنى لأن يكون المعنى المصدري من أهل البيت[٣] مهما كان معناه.

وإذا تناولنا وقلنا: إن المراد لها على المعنى الأول والموالون لهم من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل، وعلى المعنى الثاني مواليهم أي مماليكهم من إطلاق المصدر، وإرادة اسم المفعول.

= قالت: فقلت: في أى هذا استأمر أبوي؟ ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت".

(١) أولاد الحسن ﷺ هم: الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والذى توفى سنة (٧٨)، وولداه: إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي المتوفي (١٤٥) وأخوه محمد بن الحسن الملقب بالنفس الزكية المتوفي (١٤٥) هـ. انظر موسوعة الفرق والجماعات (صـ٢٦٩)

(٢) التسعة المشارة إليهم هم :

١- علي بن الحسين (زين العابدين) توفى (٩٤) هـ .

٢- محمد الباقر ، توفى (١١٧) هـ . ٣- جعفر الصادق ، توفى (١٤٨) هـ

٤- موسى الكاظم ، توفى (١٨٣) هـ . ٥- على الرضا ، توفى (٢٠٣) هـ .

٦- محمد الجواد التقي ، توفى (٢٢٠) هـ . ٧- على الهادي النقي توفى (٢٥٤) هـ .

٧- الحسن العسكري ، توفى (٢٦٠) هـ .

٨- محمد المهدي (الإمام المنتظر) ، توفى (٢٥٦) هـ .

المرجع السابق ، صـ٢٦٩.

(٣) قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...**﴾ الآية، هذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً، إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح.

تفسير ابن كثير (٨/٤٩٩).

يرده قوله بعد: ومن دخل فيها لأنه لا معنى لقوله: ومن دخل في الموالين أو في الموالي لأن الدخول في الولاية لا في الأشخاص الموالين أو الموالي؛ ولأنه يلائم المعنى المصدري(١).

فإن قلت: المراد بمن دخل فيها من صار من الموالين أو الموالي.

قلت: يكون ذكره (ح)(*) عبثًا لأنه دل عليه لفظ ولايتهم، وهذا الارتباك مما يؤيد اختلاف هذا الخبر كغيره للغاية المقصودة عندهم، فليحرر وهاك ما ذكره الصافي في تفسير هذه الآية الكريمة ونصه:"إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا".

قال القمي: ثم انقطعت مخاطبة نساء النبيﷺ. وخاطب أهل بيت رسول الله"واذكرن ما يتلى" ثم عطف على آل محمد فقال:"إن المسلمين..." الآية.

وعن الباقر: نزلت هذه الآية في رسول اللهﷺ، وعلي بن أبي طالب وفاطمة(٢) والحسن والحسين، وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبيﷺ، فدعا رسول الله ﷺ أمير المؤمنين(٣)، وفاطمة والحسن والحسين ثم ألبسهم كساء له خيبريًا.

ودخل معهم فيه ثم قال:"اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني، اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا"(٤).

فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ فقال: أبشري يا أم سلمة فإنك إلى خير".

وعن زيد بن علي بن الحسين(٥)، أن جهالاً من الناس يزعمون أنه إنما أراد الله بهذه الآية

---

(١) من فوائد حديث الإفك: كراهة الإنسان صاحبه وقريبه إذا أذى أهل الفضل أو فعل غير ذلك من القبائح كما فعلت أم مسطح في دعائها عليه.
ومنها: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين، ومنها: العفو والصفح عن المسيء، ومنها: غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بدفع ذلك.
انظر شرح مسلم للإمام النووي (١٧/١٠٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(*) كذا بالأصل ومعناها الحديث.

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٧١٤) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ١-باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: "فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني".

(٣) يقصد سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ.

(٤) وفي رواية مسلم [٦١- (٢٤٢٤)] في فضائل الصحابة ٩- باب فضائل أهل البيت، عن عائشة ولفظه تقدم، وفيه: "وعليه مرط مرحل" قال النووي: المرط بكسر الميم وهو كساء جمعه مروط وقوله تعالى: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت" قيل: هو الشك، وقيل: العذاب، وقيل: الإثم، قال الأزهري: الرجس اسم لكل مستقذر من عمل. شرح مسلم للنووي (١٥/١٥٨).

(٥) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين المدني، الهاشمي، ثقة، وكان أحد العلماء =

أزواج النبي ﷺ، وقد كذبوا وأثموا أيمن الله.

ولو عن أزواج النبي ما قال:﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ولكان الكلام مؤنثًا كما قال:﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾[1]، ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾.

والعياشي عن الباقر: ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن أن الآية ينزل أولها في شيء، وأوسطها وآخرها في شيء.

ثم قال:﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2] من ميلاد الجاهلية وفي الكافي عن الصادق في هذه الآية قال: يعني الأئمة وولايتهم من دخل فيها دخل في بيت النبي ﷺ.

وعنه عن النبي ﷺ أنه قال[3] في حديث:"أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سألت الله

الصلحاء، بدت منه صفوة فاستشهد فكانت سبباً لرفع درجته في آخرته، أخرج له أصحاب السنن الأربعة، توفي سنة (١٢٠ ، ١٢٢) وقد روى أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء أو غيره أن زيد بن علي وفد من المدينة على يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقيين الحيرة فأحسن جائزته ثم رجع إلى لمدينة فأتاه ناس من أهل الكوفة فقالوا: ارجع فليس يوسف بشئ فنحن نأخذ بك الكوفة فرجع العسكر العراقي فقتل زيد في المعركة ثم صلب فبقي معلقاً أربعة أيام ثم أنزل فأحرق فإنا لله وإنا إليه راجعون.تاريخ الإسلام وفيات (١٢١/١٣٠).

(١) قال البزار: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا همام، عن قتادة، عن مورق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إن المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحه ربها وهي في قعر بيتها".

وقد روى أبو داود عن النبي ﷺ قال: "صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها". تفسير ابن كثير (٤٩٩/٨).

(٢) روى الإمام أحمد، حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، حدثني من سمع أم سلمة (ﷺ) تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة (ﷺ) ببرمة فيها خزبرة فدخلت عليه بها فقال ﷺ لها "ادعي زوجك وابنيك" قال: فجاء علي وحسن وحسين رضى الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزبرة وهو على منامة له وكان تحته ﷺ كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله ﷻ هذه الآية ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ قالت (ﷺ) فأخذ ﷺ فضل الكساء فغطاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. انظر تفسير ابن كثير (٥٠٠/٨).

(٣) روى مسلم في صحيحه [٣٦-(٢٤٠٨)] كتاب فضائل الصحابة، ٤- باب من فضائل علي بن أبي

ﷻ أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض، وأعطاني ذلك".

وقال:"لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم".

وقال:"إنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة".

قال: فلو سكت رسول الله ﷺ ولم يبين من أهل بيته لادعاه آل فلان وآل فلان[١].

ولكن الله ﷻ أنزل في كتابه لنبيه:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ﴾ الآية.

وكان علي والحسن والحسين وفاطمة فأدخلهم رسول الله تحت الكساء في بيت أم سلمة[٢]. وقال: اللهم إن لكل نبي أهلاً وثقلاً، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي. فقالت أم سلمة: ألست من أهلك؟ فقال: إنك خير[٣]، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي".

وقال في آخر الحديث: "الرجس، هو الشك والله لا نشك في ربنا أبدًا ".

وفي الخصال: في احتجاج علي على أبي بكر قال: فأنشدك بالله إليَّ ولأهلي وولدي آية

=

طالب ﷺ عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً، قال: أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: "وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي" .

قال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٤٦/١٥) في قوله: "ولكن أهل بيته من حرم الصدقة" المراد بالصدقة الزكاة ، وهي حرام عندنا على بني هاشم وبني عبد المطلب، وقال مالك: بنو هاشم فقط وقيل بنو قصي، وقيل: قريش كلها.

والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم أنه قال: نساؤه لسن من أهل بيته، فتتؤل الرواية على أن المراد أنهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم وأمر باحترامهم وإكرامهم وسماهم ثقلاً ووعظ في حقوقهم وذكر فنساؤه داخلات من هذا كله ولا يدخلن فيمن حُرِمَ الصدقة.

(٢) حديث أم سلمة أخرجه الترمذي (٣٢٠٥) كتاب تفسير القرآن، باب من سورة الأحزاب ثم ذكره في المناقب (٣٧٨٧) باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ .

(٣) وفي رواية الترمذي "أنت على مكانك" يحتمل أن يكون المعنى أنت على خير وإن لم تكوني من أهل بيتي.

وقوله: إنك خير، ولفظ الترمذي "على خير" ويحتمل أن يكون أنت خير على مكانك من كونك من أهل البيت ولا حاجة لك في الدخول في الكساء. انظر الترمذي وهامشه (٣٢٨/٥).

التطهير من الرجس أم لك ولأهل بيتك؟ قال: بل لك ولأهل بيتك. قال: فأنشدك بالله، أنا صاحب دعوة رسول الله وأهلي وولدي يوم الكساء". اللهم هؤلاء أهلي (إليك لا إلى النار)(*) أم أنت؟ قال: أنت وأهل بيتك.

وفي احتجاجه عن الناس يوم الشورى[١] قال: أنشدكم الله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير على رسوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾الآية. فأخذ رسول الله ﷺ كساءً خيبريًا فمضني فيه وفاطمة، والحسن والحسين، ثم قال: يا رب هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا" غيري. قالوا: اللهم لا.

وفي الإكمال: عن أمير المؤمنين أنه قال في جمع من المهاجرين والأنصار[٢] في المسجد أيام خلافة عثمان:"أيها الناس أتعلمون أن الله ﷻ أنزل في كتابه:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فجمعني وفاطمة وابني حسنًا وحسينًا، وألقى علينا وقال:"اللهم إن هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم، ويخرجني ما يخرجهم (بالهامش لعله يحزنني ما يحزنهم)، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا".

(*) كذا بالأصل .

(١) يوم الشورى هو يوم الاستخلاف بعد عمر ﷺ فقد جعل الأمر سنة من بعده قال عمر: ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى الستة هم (عثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد) وقال عمر: يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شئ فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر.
وجعل طلحة أمره إلى عثمان، وجعل الزبير أمره لعلي وجعل سعد أمره لعبد الرحمن، وقال عبد الرحمن: أنا لا أريدها، ثم قال: اجعلوه إلي، فكانت بيعة عثمان (رضى الله عنهم أجمعين).
تاريخ الإسلام وفيات (٢٣) .

(٢) قال علي بن الحسين: جاءني نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر ثم أسرعوا في عثمان فلم يتركوا فقلت لهم: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين قال الله ﷻ:﴿**الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون**﴾قالوا: لا.
قال: أفأنتم من﴿**والذين تبوءا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا**﴾ قالوا: لا، قلت: أما أنتم فقد تبرأتم من أن تكونوا واحداً من الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله: "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان" اخرجوا فعل الله بكم.
مختصر كتاب الموافقة صـــ٣٠١، من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية.

فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت أو إنك على خير، إنما أنزلت فيّ وفي أخي وفي ابنتي وفي تسعة من ولد ابني الحسين[1] خاصة، ليس معنا أحد غيرنا فقالوا كلهم: نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك فسألنا رسول الله فحدثنا كما حدثتنا أم سلمة (رضي الله عنها).

وفي العلل: عن الصادق نزلت هذه الآية في النبي ﷺ، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة.

فلما قبض الله عز وجل نبيه كان أمير المؤمنين، ثم الحسن، ثم الحسين.

ثم وقع تأويل هذه الآية: ﴿**وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ**﴾ وكان علي بن الحسين، ثم جرت في الأئمة بعده من ولده الأوصياء[2]. فطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله عز وجل.

أقول: الرواية في نزول هذه الآية في شأن الخمسة[3] أصحاب العبادة ممن طريقة الخاصة والعامة، أكثر من أن تحصى.

وقد ذكر في المجمع من طريق العامة منها ما ذكر من إرادة فليطلبه منه. انتهى.

فقد علمت أن إخراج أزواج رسول الله ﷺ الطاهرات جميعهن من أهل البيت. قصد أن يخرج السيدة عائشة الصديقة المبرأة بغضًا بها وحسدًا لها.

---

(١) تقدمت أسماؤهم وهذا ما تعتقده الشيعة فمع التسعة يضم سيدنا على وولداه الحسن والحسين (رضى الله عنهم) ويصبح العدد اثنا عشرة وهى طائفة تسمى الاثنا عشرية، وهم الشيعة الإمامية الذي قالوا بوجود سلسلة من اثنى عشر إماماً ترتيبهم كالآتي: على المرتضى، الحسن المجتبى، والحسين الشهيد، وعلى زين العابدين السجاد، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلى الرضا، ومحمد التقي، وعلى النقي، والحسن العسكري الزكي ومحمد المهدي الحجة، ويقولون أن محمداً المهدي استتر وسيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً.

(موسوعة الفرق والجماعات ، صـ١٩).

(٢) تقدم الكلام عن أولاد الإمام الحسين وما قالته الشيعة فيهم وهم تسعة أوردناهم من قبل وأطلقوا عليهم الأئمة وطائفة تسمى الاثنا عشرية الإمام على وأولاده الحسن والحسين وأولاد الحسين التسعة.

(٣) قال الذهبى: خلفت فاطمة من الأولاد الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم فأما زينب فتزوجها عبد الله بن جعفر، فتوفيت عنده وولدت له عوناً وعلياً ، وأما أم كلثوم فتزوجها عمر، فولدت له زيداً ثم تزوجها بعد قتل عمر عون بن جعفر فمات، ثم تزوجها أخو محمد بن جعفر فولدت له بنته، ثم تزوج بها عبد الله بن جعفر فماتت عنده، قاله الزهرى.

تاريخ الإسلام وفاة فاطمة رضي الله عنها (٢٣/٢) .

وخصصه بأهل العبادة، وهذا وان نقل عن أبي سعيد الخدرى[١]، ومجاهد[٢]، وقتادة، فليس مراد الصافي وأحزان واتباعهم، بل مرادهم أزواج الأزواج الطاهرات.

وهو مردود؛ لأن لفظ الأهل يشمل الزوجة حقيقة لا مجازًا في أصل اللغة العربية.

قال الله تعالى:﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى.﴿وَأَهْلَكَ﴾: أريد امرأته وبنوه ونساؤهم.كذا فسر الصافي نفسه هذه الآية الكريمة. فنص على أن المراد بالأهل فيها امرأته وغيرها من نساء أولاده.

وقد نص الصافي نفسه على أن المراد بالأهل في قوله (تعالى) في قصة نوح عليه السلام[٣]: ﴿وَأَهْلَكَ﴾: امرأته ونساء بيته.

وأمثال ذلك في القرآن كثيرة، منها قوله تعالى﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾[٤] ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾[٥].

فإن قلت: إن أهل البيت غير الأهل، فإن ما استدللت به بلفظ ﴿وَأَهْلَكَ﴾.

---

(١) أبو سعيد الخدرى هو سعيد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الأنصاري الخزرجي الخدري، صاحب رسول الله ﷺ، كان من فضلاء الصحابة بالمدينة، شهد الخندق وما بعدها من المشاهد، وروى عن النبي ﷺ، وعن أبى بكر، وعمر وعنه: زيد بن ثابت وابن عباس وجابر بن عبد الله، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب وغيره، توفى سنة (٧٤/٣) .
تاريخ الإسلام وفيات (٨٠/٧١) .

(٢) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي المخزومي، مولى قيس بن السابت، ثقة إمام في التفسير وفى العلم أخرج له: أصحاب الكتب السنة، توفى سنة (١٠١، ١٠٢، ١٠٣) ترجمته: تهذيب التهذيب /١٠)
٤٢)، تقريب (٢٢٩/٢)، الكاشف (١٢٠/٣) التاريخ الكبير (٤١١/٧)، الجرح والتعديل (٨/ ١٤٦٩)ميزان الاعتدال (٤٣٩/٣) لسان الميزان (٣٤٩/٧)، الحلية (٢٧٩/٣)، البداية والنهاية (٢٢٤/٩)، نسيم الرياض (١٤٢/٣)، سير الأعلام (٤٤٩/٤)، الثقات (١٦٨٦).

(٣) نص الآية من سورة المؤمنون (٢٧):﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلاَ تُخَاطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

(٤) سورة العنكبوت (٣٣) ونصها : ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

(٥) سورة هود (٨١) ونصها : ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾.

والمستدل له بلفظ أهل البيت. قلت: لا فرق بينهما في المعنى لأن آل في البيت عوضًا عن المضاف إليه، والمعنى أهل بيت رسول الله ﷺ والمقصود من ذلك كله أهله (عليه وآله الصلاة والسلام).

وعلي، وفاطمة، وأولادهما[(١)] لم يكونوا من أهل بيت النبي الذي كان يبيت فيه إذ ذاك بل كان أهل بيته الذي يبيت فيه وقتئذ أزواجه الطاهرات.

فإذا أردنا بالبيت معناه الحقيقي لا يصدق الآية إلا على أزواجه اللاتي كن في بيته.

وهو قول حبر الأمة ابن عباس[(٢)] (رضي الله تعالى عنهما)، وعكرمة[(٣)]، وعطاء، والكلبي[(٤)]، ومقاتل[(٥)].

---

(١) روى ابن جرير بسنده عن أبي الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة (رضى الله عنهما) فقال:﴿الصلاة الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ .
رواه الترمذي في سننه.

(٢) حبر الأمة هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهو البحر الحبر ابن عم رسول الله ﷺ، وأبو الخلفاء العباسيين، ولد في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، وذكر ابن عباس أنه يوم حجة الوداع كان قد ناهز الاحتلام، صحب النبي ﷺ بالحكمة مرتين.
وقال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس وروى أحمد في مسنده (٣١٤/١) عن ابن عباس قال: في بيت خالتي ميمونة فوضعت للنبي ﷺ غسلاً فقال: "من وضع هذا؟" قالوا: عبد الله، فقال: "اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين". انظر تاريخ الإسلام وفيات (٦١- ٧٠) .

(٣) عكرمة، أبو عبد الله البربري، المدني مولى ابن عباس، القرشي، الهاشمي، ثقة عالم بالتفسير ولم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، ولا يثبت عنه بدعة، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، وتوفى سنة (١٠٧- ١٠٨-١٠٩) .
ترجمته: تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٣)، تقريب التهذيب (٣٠/٢)، الكاشف (٢٧٦/٢)، التاريخ الكبير (٤٩/٧)، والتاريخ الصغير (١١٩/١، ٢٤٣) ميزان الاعتدال (٣٢٦/٣)، الثقات (٢٢٩/٥)، سير الأعلام (١٢/٥)، والبداية والنهاية (٢٤٤/٩).

(٤) الكلبي هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزى، أبو النضر، الكلبي الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب، ورمى بالرفض أخرج له الترمذي وابن ماجة في التفسير، توفى سنة (١٤٦) .
ترجمة: تهذيب التهذيب (١٧٨/٩)، تقريب التهذيب (١٦٣/٢) الكاشف (٣/ ٤٦) التاريخ الكبير (١٠١/١)، التاريخ الصغير (١٥/٢)، الجرح والتعديل (٧/ ١٤٧٨)، ميزان الاعتدال (٥٥٦/٣) لسان الميزان (٣٥٩/٧)، ونسيم الرياض (٩٥/١)، سير الأعلام (٤٨/٦) .

(٥) مقاتل بن حبان، أبو بسطام النبطي، البلخي، الخراز، الخراساني، صدوق فاضل، أخطأ الأزدي في زعمه

وسعيد بن جبير، فقد قالوا: إن أهل البيت المذكور في الآية هم زوجات النبيﷺ خاصة.

وقد جاء لفظ أهل البيت في القرآن الكريم في غير هذا الموضع. وأدخل الصافي نفسه فيه الزوجة.

قال (عز شأنه):﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾[١].

قال الصافي: يعني هذه وأمثالها مما يكرمهم الله به يا أهل بيت النبوة". انتهى.

فالخطاب في قوله:﴿أَتَعْجَبِينَ﴾ إنما هو لسارة زوج سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكذا في قوله "عليكم" إذ لا معنى لأن يكون الخطاب لها في قوله:﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ وتكون غير داخلة في قوله ﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ وكما أضاف (سبحانه وتعالى) البيت إلى سارة زوج سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كذلك إضافة إلى الأزواج الطاهرات فقال عز شأنه:﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[٢].

ومعلوم أن بيوتهن المذكورة التي يتلى فيها آيات الله والحكمة هي بيوت النبي ﷺ.

وأضافها (سبحانه وتعالى) إليهن لأنهن أهلها، فالبيوت المذكورة هي بيوت النبي ﷺ لا بيوتهن. فإضافتها إليهن دليل على أنهن أهلها وإلا لما صح إضافتها إليهن.

وقد ورد أيضًا إطلاق أهل بيتي وأهلي في الحديث الشريف على عائشة بخصوصها في قوله ﷺ: من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي"[٣].

= أن وكيعاً كذبه، وإنما كذب مقاتل بن سليمان بن بشر، وأخرج له: مسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة ١٥٠.

ترجمة: تهذيب التهذيب (٢٧٧/١٠)، تقريب التهذيب (٢٧٢/٢)، الكاشف (١٧١/٣)، التاريخ الكبير (١٣/٨)، التاريخ الصغير (١١/٢، ٢٤)، الجرح والتعديل (١٦٢٧/٨)، ميزان الاعتدال (٤/ ١٧١)، لسان الميزان (٣٩٧/٧)، سير الأعلام (٣٤٠/٦)، البداية والنهاية (٢٦/١٠).

(١) سورة هود (٧٣).

(٢) سورة الأحزاب (٣٤).

(٣) تقدم الحديث في البخاري ومسلم.

وقال ابن كثير في تفسيره (٥٠٢/٨) لم ينزل الوحي على رسول الله ﷺ في فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه.

قال بعض العلماء: لأنه لم يتزوج بكراً سواها ولم ينم معها رجل في فراشها سواه ﷺ و(رضي الله عنها) فناسب أن تخصص بهذه المزية وأن تفرد بهذه المرتبة العلية، ولكن إذا كان أزواجه من أهل بيته فقرابته أحق بهذه التسمية كما تقدم "وأهل بيتي أحق".

وقد كان الإيذاء في عائشة لا في علي أو فاطمة وأولادهما.

فإن تجرأ متجرئ على الله ورسوله وسأل: هل أصرح من هذا؟ أجيبه: نعم. قد صرح النبي ﷺ بأن أزواجه هن أهل البيت، بل أطلق على كل واحدة منهن أهل البيت.

وذلك لما بنى بزينب ابنة جحش(١) أم المؤمنين (رضي الله تعالى عنها)، ودعا الصحابة لوليمتها، وجاءوا قومًا قومًا، يأكلون ويخرجون حتى قال أنس: يا نبي الله، ما أجد أحدًا أدعوه.

فقال رسول الله ﷺ:"ارفعوا طعامكم"(٢).

وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، وذلك قبل نزول آية الحجاب. فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله".

فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف أهلك؟ بارك الله(٣)، فانصرف إلى حجر نسائه كلهن، وهو يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له، كما قالت عائشة كما في البخاري. وهذا غاية صراحة في كونهن هن أهل البيت.

لا يمكن المراوغة في رده أو خدشه، أو التكلم فيه أو التعرض له، وإطلاق لفظ أهلي عليها خاصة، في قوله ﷺ:"فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا"(٤).

---

(١) روى مسلم في صحيحه [١٠١-(٢٤٥٢)] كتاب فضائل الصحابة، ١٧-باب فضائل زينب أم المؤمنين (رضي الله عنها)، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "أسرعكن لحاقاً بي، أطولكن يداً" قالت: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق.

(٢) انظر البخاري (٥١٦٦) ٦٧-كتاب النكاح، ٦٨-باب الوليمة حق.

ومسلم [٩٣-(١٤٢٨)] كتاب النكاح، ١٥-باب زواج زينب بنت جحش.

وقال النووي: في قوله: ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب" يحتمل أن سبب ذلك الشكر لنعمة الله في أن الله تعالى زوجه إياها بالوحي لا بولي وشهود بخلاف غيرها . شرح مسلم للنووي (١٩٦/٩) .

(٣) أخرج البخاري (٥١٥٥) كتاب النكاح، ٥٧- باب كيف يدعى للمتزوج، عن أنس، أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة قال: وما هذا؟ قال: إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، قال: بارك الله لك أولم ولو بشاة".

(٤) انظر البخاري في صحيحه (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن، ٦-باب﴿**لولا إذا سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً**﴾ إلى قوله﴿**الكاذبون**﴾ .

وفيه: "يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي" ... الحديث.

فإن قلت: إن أهل الرجل هم غير أهل بيته.

قلت: هذا تحكم وتخصيص بلا مخصص سيما أن زوجة الرجل في بيته وبنته وصهره وأولادهما في غير بيته.

كما كانت السيدة فاطمة وبعلها وأولادهما[1] (رضوان الله تعالى عليهم) وقت نزول هذه الآية الكريمة فدعوى ذلك بعيد عن النقل والعقل جدًا. لقوله ﷺ "في أهل بيتي".

ومراده السيدة عائشة بخصوصها فهو نص فيها فإن قلت: أليس أن النبي ﷺ قال:"هؤلاء أهل بيتي" وأشار إلى عليّ[2] وفاطمة وحسن وحسين.

قلت: لا يلزم من ثبوته هنا عدم كون الأزواج الطاهرات من أهل البيت في الآية الكريمة فإن من له أولاد متعددون وسألته عن بعضهم فقال لك: هؤلاء أولادي.

لا يلزم منه أن لا يكون له أولاد غيرهم.

وكذا من له بيتان أو بيوت إذا سألته عن أهل بيت منهم من هؤلاء فقال: أهل بيتي لا يلزم أن لا يكون أهل بيت غيرهم.

فإن قيل ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: نزلت الآية في خمسة، فيّ، وفي علي، وحسن، وحسين[3]، وفاطمة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

---

(١) قال الذهبي: وفى فاطمة وزوجها وبنيها نزلت "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" فجللهم رسول الله ﷺ بكساء وقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي" وقال: رواه الترمذي، انظر الترمذي (٣٨٧١) كتاب المناقب، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، وفى رقم (٣٨٧٠) عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم".

انظر تاريخ الإسلام وفاة فاطمة الزهراء.

(٢) قال ابن أبي حاتم بسنده عن عائشة عندما سألها رجل عن على ﷺ قالت: تسألني عن رجل كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وكانت تحته ابنته وأحب الناس إليه؟ لقد رأيت رسول الله ﷺ دعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً (رضى الله عنهم) فألقى عليهم ثوباً فقال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ... "الحديث.

(٣) قال في مختصر كتاب الموافقة للزمخشري صـــ١٦: عن زيد بن يثيغ قال: سمعت أبا بكر الصديق يقول: رأيت رسول الله ﷺ خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربية وفى الخيمة على وفاطمة والحسن والحسين فقال: يا معشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، ، ولمن والاهم، حرب لمن حاربهم لا يحبهم إلا سعيد الجد، طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد ردئ الولادة، فقال رجل: يا زيد: أنت سمعت منه، قال: أى ورب الكعبة.

وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قلت: من القواعد المقررة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإنها وإن نزلت فيهم إلا أن اللفظ عام فيشمل سائر أهل بيته ﷺ(١).

وكون الأزواج الطاهرات من أهل البيت، تقدم تحقيقه.

ثم رأيت بعد ذلك أن الحكيم الترمذي ذكر في كتابه نوادر الأصول مما نصه:

وما زالت الطبقة الزائفة المفتونة بحب أهل بيت رسول الله ﷺ نسبًا، ما زالت بهم فتنتهم، حتى عمدواْ إلى كل شيء من هذه الأشياء فنسبوه إليهم، وحرمواْ غيرهم، ذلك إعجابًا بهم وفتنة، وإن الله فضلهم بأن طيب عنصرهم وطهر أخلاقهم واختار قبيلتهم على القبائل.

فلهم حرمة التفضيل والأثرة (٢)، وحرمة الاتصال برسول الله ﷺ فيحق علينا أن نحبهم حبًا لا يرجع علينا بوبال وظلمة.

وهؤلاء الغلاة جاءوا بأحاديث مختلفة وأكاذيب منكرة حتى أداهم ذلك إلى أن طعنوا في الشيخين المهديين المرضيين(٣) الذين كان علي (كرم الله وجهه) يتكل من فضله عليهما

---

(١) حفظ الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) منزلة آل البيت وعرفوا لهم مكانتهم من أبي بكر وعمر إلى عثمان رضى الله عنهم ، وانظر إلى هذه الواقعة لتعرف مدى احترام وتقدير عملاق الإسلام عمر الفاروق فقد جاء ابنه عبد الله يشكو قائلاً: يا أبي لماذا لم تساو بيني وبين الحسن والحسين في العطاء وقد كنت أضرب بسيفي بين يدي رسول الله ﷺ وهما بدرجات في ثيابهما في سكك المدينة فقال له عمر: أساوي بينك وبينهم على شرط أن تحضر لي أبا مثل أبيهما وأما مثل أمهما وجداً مثل جدهما وحسب عمر ما قال، فأبوهما علي بن أبي طالب، وأمهما فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم ﷺ وجدهما سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ .

انظر مقدمة مختصر كتاب الموافقة صـــ٤.

(٢) جاء رجل من قريش إلى على ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين سمعتك آنفاً على المنبر تقول: اللهم أصلح بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فاغرورقت عيناه- أي دمعتا -ثم قال: حبيباك وعماك أبو بكر وعمر: إماما الهدي وشيخا الإسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ من اقتدى بهما عصم، ومن اتَّبع آثارهما هدى إلى صراط مستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله وحزب الله هم المفلحون.

انظر مختصر كتاب الموافقة للزمخشري (صـــ١١٦)- من تحقيقنا -طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) قال النووي في شرح مسلم في قوله ﷺ "رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين وهى نزعه والله يغفر له ضعف ثم استحالت غرباً فأخذها ابن
=

فقال: لا أجد أحدًا يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفترين وبلغ من إفراط هؤلاء أن رووْا أحاديث مختلفة[١].

يريدون أن يقيموا لعلي ﷺ فضلاً وقد فضل الله عليًا ﷺ بأشياء كثيرة وفضائل جمة، قد أغناه عن مثل ذلك، لكنهم تركوا الظلمة قلوبهم[٢]، وشقاء جدهم تلك الأشياء وأقبلوا على الكذب وتأولوا قوله تعالى:﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾. إنما هم: علي وفاطمة والحسن والحسين (رضوان الله عليهم).

وهي لهم خاصة، وكيف يجوز هذا؟ ومبتدأ هذا الخطاب قوله ﷻ:﴿**يا أيها النبي قل لأزواجك...**﴾[٣] إلى آخر ما ذكر.

الخطاب حتى ضرب الناس بعطن" فيما رواه مسلم [١٧-(٢٣٩٢)] في الفضائل، باب فضائل عمر ﷺ: هذا المنام مثال واضح لما جرى لأبي بكر وعمر (رضى الله عنهما) في خلافتهما وحسن سيرتهما، فكان النبي ﷺ هو صاحب الأمر فقام به أكمل قيام وقرر قواعد الإسلام ومهد أموره وأوضح أصوله وفروعه ودخل الناس في دين الله أفواجًا وأنزل الله "اليوم أكملت لكم دينكم" ثم توفى رسول الله ﷺ فخلفه أبو بكر ﷺ سنتين وأشهرًا، وهو المراد بقوله ﷺ "ذنوباً أو ذنوبين" وحل في خلافته قتال أهل الردة وقطع دابرهم، ثم خلفه عمر فاتسع الإسلام في زمنه ونقرر لهم من أحكامه ما لم يقع مثله.

شرح مسلم للنووي (١٥/١٣١) طبعة دار الكتب العلمية.

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٧٠٧) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، عن ابن سيرين عن عبيدة عن على ﷺ قال: اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي" فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى على علي الكذب.

(٢) روى الذهبي في تاريخ الإسلام: قال خارجة بن مصعب، عن سلام بن أبي القاسم، عن عثمان بن أبي عثمان قال: جاء أناس إلى علي فقالوا: أنت هو؟ قال: من أنا؟ قالوا: أنت هو؟ قال: ويلكم من أنا؟ قالوا: أنت ربنا؟ قال: ارجعوا، فأبوا، فضرب أعناقهم، ثم خد لهم في الأرض ثم قال: يا قنبر آتني بحزم الحطب، فحرقهم بالنار، وقال:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أوقدت ناري ودعوت قنبرًا

تاريخ الإسلام ترجمة علي بن أبي طالب وفيات سنة(٤٠).

(٣) سورة الأحزاب (٢٨). قال ابن كثير في تفسيره (٣/٤٩٦) هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره مما يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وفيما قدمناه غنية عنه، إلا أنه أجاب عما وقع في حديث العباءة.

وذكره بلفظ الكساء بقوله: "فهذه دعوة منه لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج" (رضوان الله عليهم أجمعين)، انتهى.

وقد ساق هذه الجمل في الأصل الثاني والعشرين والمائتين في أن أهل بيت النبوة أمان للأمة وقد تأول أهل البيت في قوله ﷺ:"النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي"[(١)].

بمن خلفه من بعده، على منهاجه، وهم الصديقون والأبدال، الذين روى عن علي (كرم الله وجهه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الأبدال[(٢)] يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلاً، بهم يسقى الغيث، وينصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء".

فأخرج لفظ أهل بيتي عن حقيقته إلى المجاز.

وذكر أدلة لا مجال هنا للرد عليها إلا أن ذا الذوق السليم يدرك نقضها بأول وهلة.

وكلامه هذا هنا لا ينافي ما نقل عنه أنه قال في غيره: إن أهل البيت أفضل من الصديق الأكبر[(٣)] (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين).

---

(١) أخرجه: الخطيب البغدادي (٦٨/٣)، والعجلوني في كشف الخفا (٤٥٣/٢) رقم (٢٨٥٦) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٧/١٠) وابن حجر في المطالب العالية(٤٠٠٢ ، ٤٥٦٤).

وقد أورد مسلم في صحيحه [٢٠٧-(٢٥٣١)] في كتاب فضائل الصحابة، ٥١-باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه ، عن أبي موسى بلفظ "النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون".

(٢) طبقة من طبقات أولياء الصوفية، سموا الأبدال لأنهم بدلوا خلقاً بعد خلق، وصفوا تصفية بعد تصفية، ويروون الحديث: إن الله خلق ثلاثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم، وله أربعون قلوبهم على قلب إبراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبرائيل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب محمد ﷺ.

موسوعة الفرق والجماعات (صـ١٥،١٤).

(٣) بينما علي رضي الله عنه يقضي ذات يوم بالكوفة إذ قال له رجل: يا خير الناس انظر في أمري فوالله ما رأيت أحداً هو خير منك، قال علي: قدموه، فقدم، فقال: هل رأيت رسول الله؟ قال: لا، قال: فهل رأيت أبا بكر وعمر؟ قال: لا، قال: لو أخبرتني إنك رأيت رسول الله لضربت عنقك، ولو أخبرتني أنك رأيت أبا بكر وعمر لأوجعتك ضرباً، وأما بعد ذلك فقل ما بدا لك.

انظر مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، صــ١٢٢ من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية.

لأنه لا يلزم من أن يكونوا أفضل منه، أن يكونوا أمانًا للأمة لعدم التلازم بينهما.

وقد وقع لبعض معاصرينا من أهل العلم من طبقة والدي (رحمهم الله تعالى) مثل ذلك.

فألف رسالة أن أهل البيت في كل زمان إلى آخر الدوران أفضل من جميع الخلق، حتى من الصديق الأكبر(١).

وترقى أن جعل ذنوبهم التي تقع منهم صورية وأنهم معصومون من الذنوب(٢).

وقد عرضها على علماء زمانه فلم تقع عندهم موقع الاستحسان، ولم يقرظوا له عليهم.

وقد كنت صغيرًا فرأيتها في مجموعة مع غيرها تباع في تركة مؤلفها أو غيره.

ولم أرها بعد.

وبالجملة فإن أهل البيت الكرام (رضوان الله تعالى عليهم) لم يزالوا هدفًا للاختلاف فيهم في كل زمان من عصر النبوة إلى هذا الآن(٣).

وللاختلاف فيهم وقع ما وقع من الفتك بهم، والتعدي عليهم من الذين لا يستحي من الله تعالى من عذابهم، ولا يقبل شفاعة في عقابهم، ولهم خزي عظيم وعذاب أليم، فمن غال

---

(١) عن علقمة أنه ضرب بيده على منبر الكوفة فقال: خطبنا على ﷺ على هذا المنبر، فذكر ما شاء الله أن يذكر، ثم قال: إنه بلغني أن ناساً يفضلوا على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، فمن أتيت به بعد مقامي هذا قد قال شيئاً من ذلك فهو مفتر عليه ما على المفتري، إن خير الناس كان بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم الله أعلم بالخير بعد.

المرجع السابق صـ١٢١، وانظر الذهبي في تاريخه (٢/٥٠).

(٢) جعل الشهرستاني الشيعة خمس فرق هي: الكيسانية والزيدية والإمامية والغلاة والإسماعيلية وهو ثلاث أصناف عند الأشعري: الشيعة الغالية وهم خمس عشرة فرقة، والشيعة الإمامية وهم الرافضة- وهم أربعة وعشرون فرقة، والشيعة الزيدية وهم ست فرق ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص على الإمام، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر.

موسوعة الفرق والجماعات ص ٢٦٥.

(٣) قال النووي في مقدمة فضائل الصحابة، أما على ﷺ فخلافته صحيحة بالإجماع، وكان هو الخليفة في وقته لا خلافة لغيره، وأما معاوية ﷺ فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء ﷺ، وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم عدول رضى الله عنهم، ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شئ من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم، وأعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم.

شرح مسلم للإمام النووي (١٥/١٢١) .

في حبهم(*)، ومن مجحف في حقهم، والقول الحق والمنهج الأحق التوسط في شأنهم إذ خير الأمور أوسطها.

"يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولواْ على الله إلا الحق"(١).

فالذي ينبغي أن يعتقد فيهم أنهم أفضل من غيرهم باعتبار كونهم بضعة رسول الله لاشك في ذلك ولا مرية، وإن لهم امتيازات ميزهم الله تعالى بهم عن غيرهم دينًا، وأخرى بسبب انتسابهم إليهﷺ.

ومنها ودهم قال الله تبارك وتعالى:**﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى﴾**(٢).

وقال ﷺ:"أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة، وأحبوني بحب الله، وأحبواْ أهل بيتي لحبي"(٣).

فمودتهم وحبهم واجبان على الأمة بالنص القطعي ومنها أنه جعل لهم حقًا في بيت المال وغير ذلك مما بينه الشرع من نحو أن غيرهم ليس كفؤًا لهم. وأن ذلك نافع في الآخرة أيضًا. لما روى عنه ﷺ أنه قال:"كل بيت منقطع إلا بيتي ونسبي"(٤).

(*) الغالية: هم عدة فرق من الشيعة يجمعهم أنهم غلوا في على وقالوا فيه قولاً عظيماً، وغلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود البشرية، وحكموا فيهم بأحكام الآلهة، فربما شبهوا الواحد من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق. وهناك فرقة من الغلاة تسمى الخطابية تقول: إن الله ﷻ هو محمد وأنه ظهر في خمسة أشباح وخمس صور مختلفة فظهر في صورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلى آخر أقوالهم وفرق الغلاة كثيرة. انظر موسوعة الفرق والجماعات صـــ ٣٠٠.

(١) سورة النساء (١٧١).

(٢) سورة الشورى (٢٣). وقد روى البخاري في صحيحه (٤٨١٨) كتاب تفسير القرآن، باب قوله: "إلا المودة في القربى" ولفظه : "حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: سمعت طاوساً عن ابن عباس (رضى الله عنهما) فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة".

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٨٩)، كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "احبوا الله ... الحديث".

وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب وقد روى الترمذي في رقم (٣٧٨٦) عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي".

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٤٤٨) بلفظ "كل نسب وحسب منقطع إلا نسبي وحسبي" وابن عدي في الكامل (١/٢٧٠).

لكن ينبغي ألا يغفل عن أنهم بالنسبة لأحكام الله تعالى وحده كغيره، لا فرق بينهم، فقد صح رسول الله ﷺ أنه قال:"وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[١].

وروي عنه ﷺ أنه دخل على فاطمة وعندها صفية عمة رسول الله فقال:"يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا فاطمة يا بنت محمد، يا صفية عمة رسول الله[٢] اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم واعلموا أن أولى الناس بي يوم القيامة المتقون".

وإن تكونوا أنتم مع قرابتكم فذلك، لا يأتيني الناس بالأعمال، وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم، فتقولون: يا محمد فأقول هكذا، ثم تقولون: يا محمد، فأقول هكذا، أعرض بوجهي عنكم فتقولون: يا محمد أنا فلان ابن فلان، فأقول: أما النسب فأعرف، وأما العمل فلا أعرف نبذتم الكتاب فارجعواْ إلى قرابة بيني وبينكم[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٧) ٨٦-كتاب الحدود ١٢-باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع عن عائشة. ومسلم [٨- (١٦٨٨)] كتاب الحدود، ٢-باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود عن عائشة.

وقال النووي: وقد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلى الإمام لهذه الأحاديث، وعلى أنه يحرم التشفيع فيه، فأما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس، فإن كان لم يشفع فيه، وأما المعاصي التى لا حد فيها وواجبها التعزير فيجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا لأنها أهون، ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه.

شرح مسلم للنووي (١١/١٥٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) صفية عمة رسول الله ﷺ، وشقيقة حمزة، وحجل، والمقوم، وأمهم زهرية. تزوجها الحارث بن حرب بن أمية فتوفى عنها وتزوجها العوام بن خويلد فولدت له الزبير حواري رسول الله ﷺ ، والسائب وعبد الكعبة. والصحيح أنه لم يسلم من عمات رسول الله ﷺ سواها، ووجدت على أخيها حمزة وجدًا شديدًا، وصبرت واحتسبت.

وكانت يوم الخندق في حصن حسان بن ثابت، قالت: وهو معنا في الحصن مع الذرية فمر بالحصن يهودي فجعل يطيف بالحصن والمسلمون في نحور عدوهم، فذكرت الحديث وأنها نزلت وقتلت اليهودي، وتوفيت سنة(٢٠). تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة(٢٠).

(٣) أوله أخرجه مسلم في صحيحه [٣٥٠-(٢٠٥)]، [٣٥١-(٢٠٦)] كتاب الإيمان، ٨٩- باب في قوله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين" الأول عن عائشة، والثاني عن أبي هريرة وقد أخرجه البخاري أيضاً في صحيحه (٤٧٧١) كتاب تفسير القرآن، ١- باب ولا تخزني يوم يبعثون" عن أبي هريرة. والترمذي (٣١٨٤) في التفسير، باب من سورة الشعراء، عن عائشة.

هذا ما اعتقده فيهم (وألقى)(*) الله تعالى ورسوله عليه ﷺ، إن شاء الله ﷻ.

وفي هذا القدر كفاية لأولي العقول السليمة على أن جعل الزوجات الطاهرات من غير أهل بيت النبوة، لإبعادهن عن التطهير وجعلهن محلاً لقبول التدنيس فيه ما فيه من إيذاء النبي ﷺ وإيذاء الله تعالى. وقد قال عز شأنه:﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾(١). وهو صريح في عدم جواز إيذاء النبيﷺ، ومن البدهي أن جعل الأزواج والطاهرات معرضات للأدناس، إيذاءً للمرسل لكافة الناس ﷺ (٢)، ومنفر عنه.

وذلك لا يجوز بوجهٍ من الوجوه باتفاق الأمة المحمدية.

الباب السادس عشر
في نقد ما خالف فيه الشيعة أهل السنة وتحقيقه

المسألة الأولى: الاختلاف في الغزوة(٣)، وليس فيها مخالفة في حقيقة الأمر، لكن لما كان

(*) كذا بالأصل .

(١) سورة الأحزاب (٥٧). يقول الله تعالى متهدداً ومتوعداً من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصداره على ذلك وإيذاء رسوله بعيب أو بنقص- عياذا بالله من ذلك -قال عكرمة: في قوله تعالى: إن الذين يؤذون الله ورسوله" نزلت في المصورين وفى الصحيحين بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره".
تفسير ابن كثير (٥٣٣/٨ ، ٥٣٤).

(٢) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام في حادث الإفك في غزوة المريسيع (٣٥٨/١) فيما روى عن عائشة وفيه: ثم قام رسول الله ﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فأشير وأعلي في أناس ابنوا أهلي، وإيم الله إن علمت على أهلي من سوء قط، وأبنوهم بمن، والله إن علمت عليه سوءاً قط، ولا دخل على أهلي إلا وأنا شاهد، ولا غبت في سفر إلا غاب معي، فقال سعد بن معاذ ﷺ: أرى يا رسول الله أن تضرب أعناقهم، فقال رجل من الخزرج وكانت أم حسان من رهطه، وكان حسان من رهطه، والله ما صدقت ولو كان من الأوس ما أشرت بهذا... الحديث. هذا الحديث أخرجه البخاري (٤٧٥٧) في كتاب تفسير القرآن، باب ١٢-﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ... الآية**﴾.

(٣) قال النووي: كانت هذه القصة في غزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق سنة ست فيما ذكره ابن إسحاق ومعلوم أن سعد بن معاذ مات في أثر غزاة الخندق من الرمية التى أصابته وذلك سنة أربع بإجماع أصحاب السير إلا شيئاً قاله الواقدي وحده.
قال القاضي: فيحتمل أن غزاة المريسيع وحديث الإفك كانا في سنة أربع قبل قصة الخندق، وقد ذكر الطبري عن الواقدي أن المريسيع كانت سنة خمس قال وكانت الخندق وقريظة بعدها.
شرح مسلم للنووي (٩٢/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

بحسب الظاهر مطلق ومقيد ذكرناه في المخالف بينهما ونظهر ذلك.

بيان التوفيق بينهما:

إن البيضاوي اتبع لفظ الحديث، بعدم التقييد فلفظ البخاري في الحديث المتقدم، ومسلم "في بعض غزواته"[١].

من غير تقييد ببني المصطلق، وهو بضم الميم وسكون الصاد المهملة، وفتح الطاء المشالة المهملة، وكسر اللام.

ويقال لها: غزوة المريسيع[٢]: بضم الميم، وفتح الراء، وسكون التحتيتين، بينهما سين مهملة مكسورة، آخره عين مهملة.

وكانت يوم الإثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس، وقيل: سنة ست، وقيل: سنة أربع.

قالوا: وكأنه سبق قلم، كما في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني.

وكذا ذكر الإمام البخاري في غزوة بني المصطلق أن الإفك وقع فيها، ولفظه:"وقال النعمان[٣] بن الراشد، عن الزهري، كان حديث الإفك في غزوة المريسيع.

---

(١) البخاري (٤٧٥٠) ٦٥-كتاب تفسير القرآن، ٦-باب﴿**لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً** ﴾إلى قوله:﴿**الكاذبون**﴾.

ولفظه: "كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ ... الحديث. ولفظ مسلم نفس لفظ البخاري.

(٢) غزوة المريسيع: وتسمى غزوة بني المصطلق كانت في شعبان سنة خمس على الصحيح، بل المجزوم به، قال الواقدي: استخلف النبي ﷺ على المدينة زيد بن حارثة.

وعن المسور بن رفاعة قال: خرج رسول الله ﷺ في سبعمائة، وعن عبد الله بن أبي بكر وغيره: خرج رسول الله ﷺ وبلغه أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية أم المؤمنين فسار حتى نزل بالمريسيع ماء من مياههم فأعدوا لرسول الله ﷺ فتزاحف الناس فاقتتلوا، فهزم رسول الله ﷺ بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونقل نساءهم وأبناءهم وأموالهم.

الذهبي في تاريخ الإسلام غزوة المريسيع.

(٣) النعمان بن راشد، أبو إسحاق الجزري، الرقي، مولى بني أمية، صدوق، سيئ الحفظ، أخرج له البخاري تعليقاً وباقي الستة.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤٥٢/١٠)، تقريب التهذيب (٣٠٤/٢)، الكاشف (٢٠٥/٣)، تاريخ البخاري الكبير (٨٠/٨)، الجرح والتعديل (٢٠٦٠/٨)، ميزان الاعتدال (٢٦٥/٤)، لسان الميزان =

ووقع الإمام الرازي في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق[١]، فليحرر.

أما الصافي فقد جرى على التقييد، فلا خلاف لما علمت.

المسألة الثانية:

كون السيدة مارية القبطية سرية[٢] رسول الله ﷺ أم سيدنا إبراهيم عليه السلام هي التي وقع عليها الإفك وأن السيدة عائشة الصديقة هي التي أفكت عليها، برأها الله تعالى.

وأن هذه الآيات نزلت فيهما، وهذه مردوده من وجوه:

ولنقدم هنا تمهيدًا لذلك فنقول:

تمهيـــد :

إن فيما نقل من تهمة السيدة مارية القبطية (رضي الله تعالى عنها) وأرضاها بمأبور[٣] الذي سماه الصافي جريحًا خلافًا من جهات عشرة:

قال بعضهم: إن مأبورًا كان يأوي إلى السيدة مارية ويأتي بالحطب والماء إليها.

وقال بعضهم إنه كان يدخل عليها.

(٤١٢/٧)، الكامل (٢٤٧٩/٧)، الضعفاء الكبير (٢٦٨/٤)، الجمع بين الصحيحين (٢٠٧٠)، الثقات (٥٣٢/٧)، ضعفاء ابن الجوزي (١٦٤/٣).

(١) ذكر القاضي إسماعيل الخلاف في ذلك قال: الأولى أن يكون المريسيع قبل الخندق، قال القاضي وهذا لذكر سعد في قصة الإفك وكانت في المريسيع فعلى هذا يستقيم فيه ذكر سعد بن معاذ وهو الذى في الصحيحين وقول غير ابن إسحاق في غير وقت المريسيع أصح، هذا كلام القاضي وهو صحيح .
النووي في شرح مسلم. (٩٢/١٧) طبعة دار الكتاب العلمية.

(٢) توفى النبي ﷺ عن تسع من نسائه، وتزوج خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وسودة بنت زمعة، وهناك ميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية وزينب بنت جحش الأسدية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، قبض عن هؤلاء (رضى الله عنهن).
وكان من سراريه مارية أم إبراهيم، وقال أبو عبيدة: كان للنبي ﷺ أربع ولائد: مارية، وريحانة من بني قريظة، وكانت له جارية نفيسة وهبتها له زينب بنت جحش.
تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الأول في ذكر أزواجه وعددهن.

(٣) قال ابن حجر في الإصابة (١٨٥/٨): أهدى المقوقس صاحب الإسكندرية في سنة سبع من الهجرة مارية وأختها سيرين وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً، وبغلته دلدل وحماره عفير، ومع ذلك خصى يقال له مأبور شيخ كبير كان أخا مارية وبعث بذلك كله مع حاطب بن أبي بلتعة فعرض حاطب على مارية الإسلام فأسلمت هى وأختها، وأقام الخصى على دينه حتى أسلم بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ .

وقالت الشيعة[١]: لأنه كان يدخل إليها ويخدمها ويؤنسها.

الجهة الثانية: في المتهم لها فقال قوم المنافقون إذ قالوا: علج يدخل على علجة، وهو الصحيح.

وقال بعضهم: اتهمت به، ولم يذكروا المتهم لها[٢].

وقال بعضهم: لم يكن لها متهم لكن النبي ﷺ دخل عليها مرة، وهي حامل بولده إبراهيم عليه السلام [٣] فوجد عندها مأبورًا فوقع في نفسه شيء.

وسيأتي بيان ذلك الشيء.

وقالت الشيعة: المتهم لها السيدة عائشة الصديقة المبرأة (رضي الله تعالى عنها).

الجهة الثالثة: في اسم الذي اتهمت به.

قال بعضهم: إن اسمه مأبور وعليه الكل.

وقال بعضهم: مأبو، بحذف الراء من آخره.

وقال بعضهم: هابو[٤]، بإبدال الميم هاء، مع حذف الراء أيضًا.

وقالت الشيعة: جريج.

الجهة الرابعة: في الذي أهداه النبي ﷺ.

قال بعضهم: أهداه المقوقس صاحب الإسكندرية ومصر[٥].

---

(١) هناك طائفة من الروافض كفرّت سائر الصحابة في تقديمهم غير علي بن أبي طالب وزاد بعضهم فكفر علياً لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم وهؤلاء أسوأ مذهباً وأفسد عقلاً من أن يرد قولهم أو يناظر، وقال القاضي عياض: ولاشك في كفر من قال هذا لأن من كفر الأمة كلها والصدد الأول، فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام، وأما ما عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون هم مخطئون في تقديم غير علي بن أبي طالب لا كفار. النووي في شرح مسلم (١٤٢/١٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) في رواية مسلم [٥٩-(٢٧٧١)] كتاب التوبة ، ١١-باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة، من حديث أنس، وفيه "أن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ .. الحديث، وقد تقدم الحديث بلفظه.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (١٣٨٢) ٢٣-كتاب الجنائز، ٩١-باب ما قيل في أولاد المسلمين، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لما توفي إبراهيم عليه السلام قال رسول الله ﷺ: إن له مرضعاً في الجنة" وهو في رقم (٣٢٥٥) كتاب بدء الخلق، ٨-باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة.

(٤) انظر ما ذكره ابن حجر في الإصابة (١٤/٨) .

(٥) قال يونس: عن ابن إسحاق: ثنا الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد القاري أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ فقبل الكتاب =

وقال غيرهم: أهداه له جريج بن مينا صاحب مصر، ولا خلاف بين القولين؛ لأن المقوقس لقبه، وجريجًا اسمه. وصاحب مصر هو صاحب الإسكندرية.

لكن بعضهم ظن أن المقوقس غير جريج، فلم ينتبه له.

وقالت الشيعة: الذي أهداه له (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) أبو السيدة مارية القبطية[١] معها حينما أهداها إليه ليخدمها، وتستأنس به.

يدلك عليه قول الصافي: فبعثني أبوها لأدخل إليها وأخدمها وأونسها.

الجهة الخامسة: في دينه، قال بعضهم: أنه أسلم وحسن إسلامه، وصار صحابيًا[٢]، وعدوه من الصحابة الكرام (رضوان الله تعالى عليهم) منهم: ابن منده، وأبو نعيم، وابن الأثير في أسد الغابة وغيرهم.

ووافقه على ذلك الشيعة.

قال الصافي: ولكن فعل رسول الله ﷺ لترجع عن ذنبها، فما رجعت ولا اشتدت عليها قتل رجل مسلم. وقال بعضهم: كان منافقًا.

وقال بعضهم: بقي نصرانيًا على ملته[٣].

الجهة السادسة: في الذي أمره عليه وآله الصلاة والسلام بقتله.

قال بعضهم: إن المرسل لقتله هو سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وعليه المعظم.

حتى مسلم في صحيحه كما تقدم.

وقال بعضهم: هو سيدنا عمر بن الخطاب[٤] (رضي الله تعالى عنه)، وأرضاه، وجزاه عن

وأكرم حاطباً وأحسن نزله، وأهدى معه إلى النبي ﷺ بغلة وكسوة وكسوة وجاريتين إحداهما أم إبراهيم، والأخرى وهبها النبي ﷺ الابن قثم العبدي. تاريخ الإسلام ذكر رسل النبي ﷺ (١/٤٦٢).

(١) هذا كلام مخالف لما ورد في كتب السيرة.

(٢) أسلمت مارية وأختها سيرين، وأقام القطبي على دينه حتى أسلم بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ، وانظر ما سيأتي بعد ذلك. انظر الإصابة لابن حجر (٨/١٨٥).

(٣) لما قدم حاطب بن أبي بلتعة بما أهداه المقوقس للنبي ﷺ قال ابن حجر في الإصابة (٨/١٨٥): عرض حاطب بن أبي بلتعة على مارية الإسلام ورغبها فيه فأسلمت، وأسلمت أختها وأقام الخصى على دينه حتى أسلم بالمدينة بعد في عهد رسول الله ﷺ.

(٤) سيدنا عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين، الفاروق، قال عنه رسول الله ﷺ: "إليها يا ابن الخطاب فوالذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك" وقال الزهرى: فتح الله الشام كله

دينه خيرًا.

الجهة السابعة: أين أريد قتله؟

قال بعضهم: ذهب إليه علي، ولم يذكروا الأين بل أطلقوه.

وقال بعضهم: ذهب إليه فوجده في ركي ماء، وبه قال مسلم في صحيحه(١).

وقالت الشيعة: ذهب إليه في حائط- أي بستان محاط بجدار -.

وقال بعضهم: دخل عليه عمر وهو عند مارية (رضي الله تعالى عنهما).

الجهة الثامنة: في أنه هل خوف ورُوِّع بالقتل أو لا.

الذي رواه أهل السنة ليس فيه ما يدل صراحة على ذلك، ولا ضمنًا، بل فيه ما يدل على عدمه والذي روته الشيعة يدل على أن سيدنا عليًا(٢) (رضي الله تعالى عنه) خوفه وروعه حتى رمى بنفسه من فوق النخلة إلى الأرض فبدت عورته.

الجهة التاسعة: في أنه هل كان كشف مأبور عورة نفسه عن قصد أو لا.

فأهل السنة لم يتفقوا، فمن قائل إنه كان في ركيٍّ(٣)، قال: كان الكشف عن صدفة.

ومن قائل: لم يكن فيه، قال: إن ذلك كان عن قصد، لدرء القتل عنه، وهو متفق عليه والصافي من الشيعة قال: لم يكن ذلك عن قصد، بل عن صدفة؛ لأنه لما رمى بنفسه من فوق النخلة بدت عورته، وذلك عن غير قصد بالضرورة(٤).

على عمر، والجزيرة ومصر والعراق كله، ودون الدواوين قبل أن يموت بعام، وقسم على الناس فيئهم" وقال معاوية، أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما نحن فتمرعنا فيها ظهرا لبطن" . انظر تاريخ الإسلام وفيات سنة (٢٣).

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه [٥٩-(٢٧٧١)] كتاب التوبة، ١١-باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة، عن أنس . وفيه: أن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لعلي: "اذهب فاضرب عنقه" فأتاه علي فإذا هو في ركي يتبرد فيها ..." الحديث وقد تقدم بلفظه.

(٢) قال النووي: أمر علي ﷺ أن يذهب ليضرب عنقه فذهب فوجده يغتسل في ركي وهو البئر فرآه مجبوباً فتركه قيل لعله كان منافقاً ومستحقاً للقتل بطريق آخر وجعل هذا محركاً لقتله بنفاقه وغيره لا بالزنا وكف عنه علي ﷺ اعتماداً على أن القتل بالزنا وقد علم انتقاء الزنا والله أعلم.
شرح مسلم للنووي (١٧/١٠٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) الركي: هو البئر.

(٤) يجمع بين قصتي عمر، وعلي، باحتمال أن يكون معنى عمر إليها سابقاً عقب خروج النبي ﷺ فلما رآه مجبوباً اطمأن قلبه وتشاغل بأمر ما، وأن يكون إرسال على تراخي قليلاً بعد رجوع النبي ﷺ إلى مكانه ولم يسمع بعد بقصة عمر، فلما جاء علي وجد الخصي قد خرج من عندها إلى النخل يتبرد في =

لأنه لو كان عن قصد لفعله من غير صعود إلى النخلة، ورمى نفسه من خوفه إلى الأرض مخاطرةً في النجاة بنفسه من القتل؛ لأنه كان في ذلك الإلقاء بما سقط على أم رأسه فمات، فما كان ذلك إلا لخوفه وتروعه[١].

الجهة العاشرة: في أن نظر الذي ذهب إلى قتله لعورته هل كان عن قصد أو لا. الذي يجنح إليه كلام أهل السنة أنه كان عن قصد.

وأما الصافي فكلامه يدل على أنه كان صدفة وهناك اختلافات أخرى ليس في ذكرها كبير فائدة فلا نطيل به.

وتحقيق ذلك كون السبب في هذه التهمة أن مأبورًا، إذا كان خصيًا[٢] كان يأوي إلى سيدتنا مارية (رضي الله تعالى عنها)، ويدخل إليها وكانت (رضي الله تعالى عنها) لا تتوارى، ذلك لما أنه خصي.

فرأى المنافقون ذلك فقالواْ: علج يدخل على علجة. والعلج[٣] هو الكافر من العجم، واتهموها به.

فدخل مرةً رسول الله ﷺ على السيدة مارية فوجده عندها، فوجدت نفسه شيء (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) من ذلك شيئًا.

وهو أن مأبورًا قيل عنه إنه غير خصي.

واتهموا السيدة مارية به، فلا يناسب دخوله عليه فأمر عليًا أو عمر[٤] على الخلاف المار

الماء فوجده ويكون إخبار عمر وعلي معاً أو أحدهما بعد الآخر ، ثم نزل جبريل بما هو آكد من ذلك. الإصابة (٦/١٤).

(١) أخرج ابن شاهين من طريق سليمان ابن أرقم عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: أهديت مارية إلى رسول الله ﷺ وابن عم لها... فذكر الحديث... إلى أن قال: وبعث رسول الله ﷺ علياً ليقتله فإذا هو ممسوخ. الإصابة (٦/١٤).

(٢) أخرج حديث مأبور مسلم ولكن لم يسمه وسماه أبو بكر بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري مأبور ولفظه ثم ولدت مارية التي أهداها المقوقس إلى رسول الله ﷺ ولده إبراهيم، وكان أهدى معها أختها سيرين وخصياً يقال له مأبوراً، وقد جاء ذكره في عدة أخبار غير مسمى.
الإصابة (٦/١٤) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) العلج: كل جاف شديد من الرجال، وجمعها: علوج، وأعلاج.

(٤) أخرج ابن الحكم في فتوح مصر بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: دخل رسول الله ﷺ على القبطية أم ولده إبراهيم فوجد عندها نسيباً لها قدم معها من مصر وكان كثيراً ما يدخل عليها فوقع في نفسه شئ

بإظهار ذلك بقتله إن لم يكن خصيًا، وصرح بذلك ﷺ له مع علمه ﷺ بأنه خصي كما يعلم من النقول التي أسلفناها لدى إمعان النظر.

فلما وجد الذي ذهب لقتله خصيًا كف عنه ورجع للنبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)، فأخبره بذلك فاستصوب فعله وقدره، وإن الإطلاع على كونه خصيًا أو غير خصي عن قصد لا على سبيل الصدفة لتوقف درء القتل عنه.

وأما أمره ﷺ بقتله فقد كان على تقدير كونه غير خصي كما ظهر لك فهي شرطية والشرطية لا تستلزم الوقوع؛ لأنه ﷺ علق قتله على تقدير كونه غير خصي، وليس في هذا الأمر تخويفاً، ولا ترويع لمسلم مؤمن بالله ورسوله يحرم تخويفه وترويعه؛ لأن الذي أتى إليه ليقتله بين له أول الأمر بأن قتله على كونه غير خصي، وهو يعلم أنه خصي فلم يخف، ولم يرع ولذلك كشف عن نفسه في الحال، فكف عنه، ولم يكن ذلك إلا عن إعلام له بأن قتله مبني على كونه غير خصي، وما كان ذلك الكشف عن صدفة، على غير رواية: "أنه كان في الركي" كما ادعاه الصافي[1] في تفسيره بقوله:"فلما خشي أي مأبور[2]- الذي سماه جريجًا، أن يرهقه - يعني عليًا -صعد في نخلة، وصعد علي في إثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، وبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء.

فرجع فلقيه عمر فعرف ذلك في وجهه فسأله فأخبره فأخذ عمر السيف ثم رحل على مارية وقريبها عندها فأهوى إليه بالسيف، فلما رأى ذلك كشف عن نفسه ، وكان مجبوباً ليس بين رجليه شئ، فلما رآه عمر رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله تعالى برأها وقريبها وأن في بطنها غلاماً مني وأنه أشبه الناس بي وأنه أمرني أن أسميه إبراهيم وكناني أبا إبراهيم. انظر الإصابة لابن حجر (١٤/٦).

(١) قال ابن حجر في الإصابة (١٣/٦ ، ١٤) سماه أبو بكر بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيري مأبوراً ولفظه ثم ولدت مارية التى أهداها المقوقس إلى رسول الله ﷺ ولده إبراهيم وكان أهدى معها أختها سيرين وخصياً يقال له مأبور، وقد جاء ذكره في عدة أخبار غير مسمى منها ما أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: دخل رسول الله ﷺ على القبطية أم ولده إبراهيم وجد عندها نسيباً لها قدم معها من مصر ... الحديث.

(٢) مأبور بموحدة خفيفة مضمونه وواو ساكتة، ثم راء مهملة- القبطي الخصي قريب مارية أم ولد رسول الله ﷺ قدم معها من مصر.

وقال الواقدي: بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: بعث المقوقس إلى رسول الله ﷺ بمارية وأختها سيرين وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً ليناً وبغلته الدلدل وحماره عفير ويقال يعفور ومعهم خصي يقال له مأبور، ويقال: هأبور بهاء بدل الميم، وبغير راء. الإصابة (١٤/٦).

وقد وهم من سماه جريجًا من قول بعضهم: إن الذي أهدى مارية للنبي ﷺ هو المقوقس جريج بن مينا صاحب الإسكندرية ومصر، لا أبوها شمعون كما ادَّعى الصافي؛ لأنه لو كان أباها لكان الأمر لا يخلو: إما أن يكون مسلمًا أو لا، فإن كان مسلمًا فليس للنبي ﷺ أن يسترقها[١] ويتسرى بها على وجه الملكية، بل كان عليه بحسب ما قدره من الشرائع والأحكام أن يعقد عليها لكونها حرة الأصل.

ولا قائل بأنه عقد عليها قط، بل اتفقت الأمة على أنها كانت له جارية وسرية، ومعدودة من جملة جواريه وسراريه الأربعة[٢] (رضي الله تعالى عنهن).

وإن كان غير مسلم، فحينئذ نقول: كيف يتصور العقل أن إنسانًا يهدي لمن لا يؤمن به، ويراه عدوًا لدينه ومعتقده، ابنته يتسرى بها، ويستخدمها ويخرجها عن دينها ودين آبائها وأجدادها[٣].

هذا عجيب وبعيد عن العقل جدًا، ودعواه أعجب إذ لا يقبل العقل تصوره بوجه عام.

ولم يذكر أحد من العلماء السيدة عائشة (رضوان الله تعالى عليها)، أو يتعرض لها في هذه التهمة غير الشيعة.

وأما كون آيات الإفك نزلت في السيدة مارية القبطية[٤] (رضي الله تعالى عنها)، وما اتهمتها به السيدة عائشة الطاهرة التقية رضوان الله تعالى عليها فمردوده من وجوه تسعة عشر:

الوجه الأول: أنه لا يمكن أن تقع التهمة من سيدتنا عائشة الصديقة المبرأة على السيدة

---

(١) من سراري النبي ﷺ ريحانة، قال الذهبي: بسنده عن ثعلبة بن أبي مالك قال: كانت ريحانة من بني النضير، فسباها رسول الله ﷺ، فأعتقها وتزوجها وماتت عنده.

وعند ابن شهاب أن رسول الله ﷺ استأسر ريحانة ثم أعتقها فلحقت بأهلها، قلت:- أي الذهبي - هذا أشبه وأصح. تاريخ الإسلام (١/٢٤٧) في أزواج النبي ﷺ وعددهن.

(٢) ذكر الذهبى هؤلاء الأربع فقال: قال أبو عبيدة: كان للنبي ﷺ أربع ولائد: مارية، وريحانة من بني قريظة وجميلة فكادها نساؤه، وكانت له جاريةنفيسة وهبتها له زينب بنت جحش.

تاريخ الإسلام (١/٢٤٧).

(٣) انظر ما تقدم من ترجمتها في الإصابة (٨/١٨٥) وإسلامها بعد أن عرض عليها حاطب بن أبي بلتعة الإسلام.

(٤) قال البلاذري: كانت أم مارية رومية ، وكانت مارية بيضاء جعدة جميلة .

وتوفيت في خلافته قال الواقدي: ماتت في المحرم سنة ست عشرة فكان عمر يحشر الناس لشهودها وصلى عليها ودفنها بالبقيع. وقال ابن منده: ماتت مارية بعد النبي ﷺ بخمس سنين.

الإصابة لابن حجر (٨/١٨٥).

مارية القبطية (رضي الله تعالى عنهما) بسبب سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، ولا أن تقول ما نقلوه عنها أن مأبور الخصي كان أسود، وسيدنا إبراهيم (عليه السلام) [١] ابن رسول الله ﷺ كان أبيض، بل شديد البياض لقوله ﷺ:"وبشرني جبريل أن في بطنها يعني السيدة مارية غلامًا مني وأنه أشبه الخلق بي"[٢].

وهذا الحديث فيه دلالات كثيرة منها: أن تهمة المنافقين لها كانت وهي حامل ومنها: أن السيدة عائشة (رضي الله عنها) لا يمكن أن تقول ما نسب إليها بعد قول النبي ﷺ وبشرني أن في بطنها غلامًا مني، وأنه أشبه الخلق بي[٣].

ومنها من قوله فأخبرني أن الله برأها إلى غير ذلك.

الوجه الثاني: أنه لا يمكن أن تكون آيات الإفك نزلت في السيدة مارية وما أفكت به عليها على زعمهم الباطل السيدة عائشة (رضي الله تعالى عنها)؛ لأن الآيات الكريمة المذكورة نزلت عقب غزوة بني المصطلق[٤] التي يقال لها غزوة المريسيع، وذلك سنة خمس، أو ست أو أربع على ما قدمنا، وأن موت سيدنا إبراهيم (عليه السلام) كان سنة عشرة من الهجرة، فيكون نزول الآيات ووقع الإفك قبل وفاة سيدنا إبراهيم (رضي الله عنه) لسبع أو ست سنين بل قبل مجيء السيدة مارية ووصولها المدينة المنورة بسنتين على الأقل أو بثلاث، أو أربع على الخلاف المار؛ لأن إهداء المقوقس[٥] إياها كان سنة ثمان كما أسلفنا.

---

(١) انظر ما سيأتي عقب هذا من أنه كان كثير الشبه بسيدنا رسول الله ﷺ.

(٢) توفي إبراهيم بن النبي ﷺ هو ابن سنة ونصف، وغسله الفضل بن العباس ونزل قبره الفضل وأسامة بن زيد فيما قيل، وكان أبيض مسمناً كثير الشبه بوالده ﷺ. تاريخ الإسلام في سنة (٩)

(٣) أنزل النبي ﷺ السيدة مارية في العالية في المال الذى صار يقال له سرية أم إبراهيم وكان يختلف إليها هناك وكان يطؤها بملك اليمين، وضرب عليها مع ذلك الحجاب فحملت منه ووضعت هناك في ذى الحجة سنة ثمان.

(٤) قال الواقدي عن معمر وغيره : أن بني المصطلق من خزاعة كانوا ينزلون ناحية الفرع، وهم حلفاء بني مدلج، وكان رأسهم الحارث بن أبي ضرار، وكان قد سار في قومه ومن قدر عليه، وابتاعوا خيلاً وسلاحاً، وتهيأ للمسير إلى رسول الله ﷺ. وقال الواقدي: ونزل رسول الله ﷺ الماء وضربت له قبة من أدم ومعه عائشة وأم سلمة وصف رسول الله ﷺ أصحابه، ثم أمر عمر فنادى فيهم، قولوا: لا إله إلا الله، تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، ففعل عمر، فأبوا فكان أول من رمى رجل منهم بسهم، فرمي المسلمون ساعة بالنبل، ثم إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يحملوا فحملوا، فما أفلت منهم إنسان. تاريخ الإسلام حوادث سنة(٥).

(٥) قال يونس: عن ابن إسحاق: ثنا الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد القاري أن رسول الله ﷺ بعث

فإن صح وقوع تهمة على السيدة مارية المذكورة (رضي الله تعالى عنها)، لا يكون الإفك المذكور في القرآن المجيد. ولا تكون السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) هي المتهمة لها.

وهذا وحده كاف لبطلان قول الصافي[١] عن القمي.

وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية وما رمتها به عائشة.

الوجه الثالث: إن هذا القول غير صحيح عند الشيعة أنفسهم أيضًا كما صرح بذلك الصافي نفسه بقوله.

أقول: إن صح هذا إلى آخره.

الوجه الرابع: إن هذا القول مخالف وخارق لإجماع المفسرين والمحدثين، وأهل السير والمؤرخين، لم يذكره أحد منهم.

الوجه الخامس: إن الله (سبحانه وتعالى) قال:﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾[٢].

وقدمنا أن العصبة من العشرة إلى الأربعين، وأن الصافي نفسه فسره بجماعة.

وهو تصريح منه تعالى بأن الآفكين جماعة[٣] لا واحد وكون السيدة عائشة الصديقة المبرأة أفكت وحدها والعياذ بالله تعالى على السيدة مارية لا تنطبق عليها الآية المذكورة. وكذا ما بعدها.

حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ فقبل الكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله، وأهدى معه إلى النبي ﷺ بغلة وكسوة وجاريتين، إحداهما: أم إبراهيم والأخرى وهبها النبي ﷺ لجهم بن أقثم فهي أم زكريا بن جهم، خليفة عمر وبن العاص على مصر. تاريخ الإسلام حوادث سنة (٨) هـ.

(١) الصافي في تفسير القرآن . تأليف: محسن بن محمد بن مرتضى بن محمود الكاشي الملقب بفيضي، والمتوفي سنة (١٠٩١) هـ.

(٢) سورة الأحزاب (١١). وقد تقدم تفسير الآيات من قبل.

(٣) قال يونس بن بكير: عن ابن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن عروة عن عائشة قالت: لما تلا رسول الله ﷺ القصة التى نزل بها عذري على الناس، نزل فأمر برجلين وامرأة ممن كان تكلم بالفاحشة في عائشة، فجلدوا الحد.

قال: وكان رماها ابن أبي، ومسطح، وحسان وحمنة بنت جحش.

تاريخ الإسلام حادث الإفك (١/٣٦٢) .

الوجه السادس: إن في الآيات المذكورات تصريحًا بتوبة بعض الآفكين[١].

وكون السيدة عائشة هي الآفكة برأها الله (تعالى) وحدها، كما افترى عليها.

تكون الآية الدالة على توبة بعض الآفكين وهو قوله تعالى: **﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾**.

نزلت في حقها ودالة على توبتها وهو يرد على الصافي قوله عن القمي: لترجع عن ذنبها، فما رجعت ولا اشتدت عليها قتل رجل مسلم.

الوجه السابع: إنه لو كانت آيات الإفك نازلة فيما أفكت به السيدة عائشة الصديقة[٢]، على السيدة مارية (رضي الله تعالى عنها)، على زعمه لكانت السيدة عائشة الصديقة- حاشاها الله تعالى -استوجبت حد القذف، وهو الجلد[٣].

لقوله تعالى: **﴿لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ**

---

(١) في قوله تعالى : **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة﴾** أيها الخائضون في شأن عائشة بأن قبل توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة **﴿لمسكم فيما أفضتم فيه﴾** من قضية الإفك **﴿عذاب عظيم﴾** وهذا فيمن عنده إيمان فيقبل الله بسببه التوبة كمسطح وحسان وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي ابن سلول وأضار به فليس أولئك مرادين في هذه الآية لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا.

تفسير ابن كثير (٣/٢٨٢).

(٢) اختلف العلماء في عائشة وخديجة أيهما أفضل، وفى عائشة وفاطمة رضى الله عنهم أجمعين.

واختلف الناس في تفضيل بعض الصحابة على بعض فقال أهل السنة: أفضلهم أبو بكر الصديق، وقال الخطابية :أفضلهم عمر بن الخطاب، وقال الراوندية: أفضلهم العباس، وقالت الشيعة: علي، واتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر، قال جمهورهم ثم عثمان، ثم علي، وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم علي على عثمان، والصحيح المشهور تقديم عثمان.

النووي في شرح مسلم (١٥/١٢١) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) حكم جلد القاذف للمحصنة ثمانون جلدة، وهى الحرة البالغة العفيفة، فإذا كان المقذوف رجلاً فكذلك يجلد قاذفه أيضاً ، وليس فيه نزاع بين العلماء، فإن أقام القاذف بينة على صحة ما قاله درأ عنه الحد ولهذا قال تعالى: **﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾** فأوجب على القاذف إذا لم يقم البينة على صحة ما قال: ثلاث أحكام أحدها: أن يجلد ثمانين جلدة، الثاني: أن ترد شهادته أبداً، الثالث: أن يكون فاسقاً ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس.

تفسير ابن كثير (٨/٢٧٣).

الْكَاذِبُونَ﴾.

قال الصافي: فإن مالا حجة عليه مكذب عند الله أي في حكمه ولذلك ترتب الحد عليه.

الوجه الثامن: أن السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) لو استوجبت الجلد لكان جلدها رسول الله ﷺ ولم يتركها لما روى البخاري ومسلم[(١)] في صحيحهما بسندهما أن قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه؟ إلا أسامة[(٢)] حِب رسول الله ﷺ فكلم رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حدٍ من حدود الله، ثم قام فخطب:"يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانواْ إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقامواْ عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها"[(٣)].

وروى البخاري في صحيحه أيضًا أن أسامة كلم النبي ﷺ في امرأة فقال:"إنما هلك من كان من قبلكم أنهم كانواْ يقيمون الحد على الوضيع ويتركون الشريف والذي نفسي بيده، لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٧٨٨) ٨٦-كتاب الحدود، ١٣-باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، عن عائشة.

ومسلم في صحيحه [٨- (١٦٨٨)] كتاب الحدود، ٢-باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، عن عائشة.

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة، حِبُّ رسول الله ﷺ وابن حبه ومولاه وأمه أم أيمن بركة حاضنة النبي ﷺ ومولاته. كان عمر إذا لقيه قال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته، أمير أمره رسول الله ﷺ ومات، وأنت عليَّ أمير.

ولما فرض عمر لأسامة مما فرض لابنه عبد الله قال له: إنما هجرتي وهجرته واحدة، فقال له عمر: إن أباه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وإنه كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك توفى رضي الله عنه سنة(٥٤).

انظر تاريخ الإسلام – وفيات (٥١-٦٠).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم وتقدم. وقال النووي: قد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلى الإمام لهذه الأحاديث، وعلى أنه يحرم التشفيع فيه، فأما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس، فإن كان لم يشفع فيه، وأما المعاصي التى لا حد فيها وواجبها التعزير فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا لأنها أهون، ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه.

شرح مسلم للإمام النووي (١١/١٥٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٨٧) ٨٦-كتاب الحدود، ١٢-باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، عن عائشة.

=

ولم ينقل أحد من المسلمين أو من غيرهم في جلدها شيئًا بل ولا الشيعة أنفسهم.

الوجه التاسع: إنه بناءً على ما نقله الصافي من أن النبي ﷺ كان لا يعلم أن مأبورًا خصي لقول الصافي: لما هلك إبراهيم بن رسول الله حزن عليه(1) حزنًا شديدًا فقالت له عائشة: ما الذي يحزنك عليه فما هو إلا ابن جريج(2).

فبعث رسول الله عليًا وأمره أن يقتله، يلزم أن رسول الله ﷺ كان يمكن رجلاً أجنبيًا أن يدخل على جاريته وسريته وحدها في بيته بعد نزول آية الحجاب، والعقل بقطع النظر عن النقل يأباه.

وذلك لأن آية الحجاب نزلت حينما بنى النبي ﷺ بالسيدة زينب(3) هلال ذي القعدة سنة أربع من الهجرة.

ومارية ومأبور وصلا المدينة المنورة سنة ثمان. إبراهيم ولدها(4) توفي سنة عشر من الهجرة، فكان وصول السيدة مارية المدينة المنورة بعد نزول آية الحجاب بأربع سنين، ووفاة

= وقد روى مسلم [١١- (١٦٨٩)] في الحدود، ٢-باب قطع السارق الشريف وغيره، عن جابر، أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فأتى بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة زوج النبي ﷺ فقال النبي ﷺ :"والله لو كانت فاطمة قطعت يدها" فقطعت.

(١) روى البخاري (١٣٠٣) كتاب الجنائز ، ٤٣-باب قول النبي ﷺ : "إنا بك لمحزونون" وفيه: "فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان- (وذلك في وفاة ابنه إبراهيم) -فقال له عبد الرحمن بن عوف ﷺ : وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة ثم اتبعها بأخرى فقال ﷺ : "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون".

وكذا رواه مسلم [٦٢- (٢٣١٥)] كتاب الفضائل، ١٥-باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال.

(٢) هو مأبور كما ورد في الكثير من كتب السيرة وتراجم الرجال وقد تقدم ذلك.

(٣) السيدة زينب بنت جحش بن رئاب الأسدي أسد خزيمة، أم المؤمنين أخت أبي أحمد وحمنة تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث، وقيل: سنة خمس، وقيل سنة أربع وهو أصح.

وقال الواقدي: تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وهى بنت خمس وثلاثين سنة، وكانت دينة ورعة كثيرة البر والصدقة، وكانت أول نساءه ﷺ لحوقاً به، فصلى عليها عمر سنة (٢١).

تاريخ الإسلام - وفيات (٢١).

(٤) روى مسلم في صحيحه [٦٢-(٢٣١٥)] كتاب الفضائل، ١٥-باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : "ولد لي الليلة غلام، فسميته أبا إبراهيم، ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين يقال له أبو سيف ... الحديث. وقال النووي: فيه جواز تسمية المولود يوم ولادته وجواز التسمية بأسماء الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه.

سيدنا إبراهيم عليه السلام بعدها بست سنين.

الوجه العاشر: إنه لو ادَّعت الشيعة(١) أن النبي ﷺ كان يعلم أن مأبورًا خصي، ولذلك كان يمكنه من الدخول على جاريته، يرده ما رواه الصافي: أنَّ رسول الله ﷺ لما أخبره على بأنه ليس له ما للرجال، ولا له ما للنساء قال:"الحمد لله الذى صرف عنا السوء أهل البيت(٢)"، لأن الظاهر من هذا الحمد أنه على كون مأبور لا آلة له لانتفاء السوء حينئذ عن مارية الذي هو التهمة، فينتفي عن أهل البيت بانتفائه عنها لأنها منهم.

الوجه الحادي عشر: أنه لو قيل إن حمد النبي ﷺ ليس على ذلك؛ لأنه معلوم عنده، بل على عدم قتل عليّ إياه.

قلنا هذا يدل على أن النبي ﷺ لم يكن يعلم(٣) أن عليًا لا يقتله ويرده ما صرح به الصافي نفسه بقوله: وكان- أي رسول الله ﷺ - أنه لا يقتله، فلم يكن الحمد حينئذ إلا على وجود مأبور خصيًا.

الوجه الثاني عشر: أنه لو قالوا إن حمد النبي ﷺ لم يكن على وجود مأبور خصيًا، ولا على عدم قتل سيدنا على إياه بل على ظهور كون مأبور خصيًا، وهو لا ينافي علمه ﷺ إياه، فلا يكون دليلاً على عدم علمه.

أجبنا عنه بأن ظهور كون مأبور خصيًا لا يستلزم الحمد؛ لأنه ليس بنعمة ولا يحتاج إلى

---

(١) تنقسم فرق الشيعة إلى ثلاثة فرق هم:

١- الغالية: ومنها: البيانية ــ الجناحية ــ الجربية ــ المنصورية ــ الخطابية ــ المعمرية ــ العميرية ــ المفضلية ــ السبئية ــ المفوضية ــ الذمية وغيرها.

٢- الإمامية: منها: القطعية ــ الكيسانية ــ الراوندية ــ الرزامية ــ الحربية ــ الباقرية ــ الهاشمية ــ اليونسية ــ الناوسية ــ القرامطة ــ المباركية وغيرها.

٣- الزيدية: ومنها: الجارودية ــ السليمانية ــ الصالحية ــ اليعقوبية ــ ابترية ــ النعيمية.

انظر موسوعة الفرق والجماعات ، صـ٢٦٨

(٢) في فضائل أهل البيت . روى الترمذي (٣٧٦٨) كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة". وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) روى مسلم [٥- (٩)] كتاب الإيمان، ١-باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ، عن أبي هريرة، وفى آخره "فى خمس لا يعلمهن إلا الله" ثم تلا ﷺ **﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾** لقمان (٣٤).

إرسال علي لقتله وتخويفه. إذ لو أخبر رسول الله ﷺ أصحابه أن مأبورًا خصي لصدقوه.

ورؤية علي[١] ذلك بعينه لا تزيده يقينًا عن إخبار المصطفى ﷺ إياه فضلاً عن غيره من الصحابة رضوان الله عليهم.

فإن إخبار علي إياهم أنه رآه خصيًا بالنسبة لإخبار النبي ﷺ إياهم به، ليس بشيء، فلا فائدة بهذا الظهور هذا بالنسبة للصحابة الكرام[٢].

أما بالنسبة للمنافقين والكفرة، فإذا كانوا لا يصدقون إخبار رسول الله ﷺ المتفق عندهم على صدقه، لا يصدقون عليًا الذي هو بعض أتباعه بالأولى، فلا يصح حمل الحمد إلا على وجود مأبور خصيًا.

الوجه الثالث عشر: إن فيما فعله علي (كرم الله تعالى وجهه) على ما نقله الصافي تخويفًا وترويعًا لمؤمن بالله تعالى ورسوله ومسلم، بغير حق يقتضي ذلك، وهو حرام نهى عنه سيد الأنام بقوله ﷺ: "من أخاف مؤمنًا، كان حقًا على الله تعالى أن لا يؤمنه من إفزاع يوم القيامة"[٣].

وقوله ﷺ: "لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا"[٤].

---

(١) في فضائل علي رضي الله عنه قوله ﷺ :"أنت بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" قال القاضي: هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقاً لعلي وأنه وصى له بها، قال: ثم اختلف هؤلاء فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره، وزاد بعضهم فكفر عليا لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم، وهؤلاء أسخف مذهباً وأفسد عقلاً من أن يرد قولهم أو يناظر. وقال القاضي: ولاشك في كفر من قال هذا لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام . النووي في شرح مسلم (١٤٢/١٥).

(٢) من فضائل الصحابة الكرام ما رواه مسلم في صحيحه [٢٢١ – (٢٥٤٠)] كتاب فضائل الصحابة، ٥٤-باب تحريم سب الصحابة رضى الله عنهم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ، ولا نصيفه".

وقال النووي: اعلم أن سب الصحابة رضى الله عنهم حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون، وقال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل.

النووي في شرح مسلم (٧٦/١٦).

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال (٤٣٧٠٤).

(٤) لم أقف عليه.

وقد كان التخويف والترويع هنا بغير حق لعدم اقترافه إثمًا يوجب ذلك.

وهذا يدل على أن القصة على ما رووها ثابت ما فيها من التبديل، وأنها وإن صحت على الوجه الذى ذكروه مع أن ذلك محال لتناقضه.

يكون سيدنا على ﷺ أخبر مأبورًا بذلك، فكشف له عن قصد منه، والحق أنه رآه حين أخرجه من ركي الماء قبل أن يخوفه ويروعه كما رواه مسلم(١).

فيكون كشف مأبور عن صدفة، ونظر سيدنا على عن قصد للحاجة، فلم يكن سيدنا على ﷺ ليخوفه ويروعه كما أورد هذه القصة أهل السنة والجماعة.

وأما إهواء سيدنا عمر أمير المؤمنين ﷺ عليه بالسيف(٢). فقد كان بعد أن أخبر مأبور بذلك استعجالاً له لتنفيذ أمر النبي ﷺ لذلك قوله: فلما رأى ذلك كشف عن نفسه(٣).

الوجه الرابع عشر: أنه إن قلنا كما قالت الشيعة بأن النبي ﷺ لم يبين لعلي أنه إن كان مأبور غير خصي فلا يقتله كيف يتصور أن سيدنا عليًا ﷺ يخالف أمر النبي ﷺ فلا يقتله بعد أن ظفر به وتمكن من قتله.

وههنا لا يخلو إما أن يجاب بأن عليًا كان علم أن النبي ﷺ لا يريد قتله. وهذا مردود من وجهين أيضًا.

الأول: أنه لو كان يعلم ذلك لما رجع للنبي ﷺ وقال: "أمضي على ذلك أم أتثبت؟"(٤).

---

(١) لفظ مسلم تقدم، وأيضاً تقدم تعليق الإمام النووي عليه.

انظر شرح مسلم للإمام النووي (١٧/) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) ذكرها ابن حجر في الإصابة (٦/١٤).

(٣) في شدة عمر في الحق ما ذكره الذهبي: قال الأحنف بن قيس: سمعت عمر يقول: لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتين: حلة للشتاء، وحلة للصيف، وما حج به واعتمر، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم، ثم أنا رجل من المسلمين.

وعن خزيمة بن ثابت: أن عمر كان إذا استعمل عاملاً كتب له واشترط عليه ألا يركب برذوناً، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات، فإن فعل فقد حلت عليه العقوبة. تاريخ الإسلام حوادث سنة ٢٣ ترجمة عمر بن الخطاب.

(٤) روى مسلم في صحيحه [٣٣-(٢٤٠٥)] كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ عن أبي هريرة في إعطاء النبي ﷺ الراية في فتح خيبر وقال له: امش ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك ...".

قال النووي: أن المراد الحث على الإقدام والمبادرة إلى ذلك وحمله على ﷺ على ظاهره ولم يلتفت =

فإنه لو علم مراد النبي ﷺ كما ادَّعاه الصافي لما سأله؛ لأن تثبته هنا عين مضيه في أمره، وهذا بناءً على أن سؤاله ذلك كان بعد رجوعه من الذهاب إلى مأبور على ما نقله الصافي لا قبله كما عليه أهل السنة والجماعة.

الثاني: أنه لو كان يعلم ذلك بغير إعلام النبي ﷺ [1] إياه لعلم أن الأمر بقتل مأبور إنما هو لما اتهم به وأن تلك التهمة لا أصل لها لما عليه مأبور من حال لا يمكنه معها فعل ما اتهم به.

وكان لم يروع ولم يخوف صحابيًا مسلمًا مؤمنًا بغير ذنب لما مر.

وإن قيل إنما فعل ذلك امتثالاً لأمره ﷺ. قلنا: كان عليه أن يخبر بذلك النبي ﷺ أولاً.

ويدرأ هذا الرعب والروع والخوف عن هذا الرجل المسلم المؤمن الصحابي، لتهمته ظلمًا وعدوانًا فإنه ﷺ يصدقه أولاً كما صدقه.

ثانيًا وإما أن يجاب بأنه كان لا يعلم وحينئذ نقول: لا يمكن أن يقول عاقل بأن سيدنا عليًا يخالف أمر رسول الله ﷺ مع تمكنه من القيام بإجرائه.

ويرده أيضاً قول الصافي: ولو كانت عزيمة من رسول الله القتل ما رجع على حتى يقتله.

وأما قوله: إنما بعث علياً إلى جريج[2] ليظهر الحق أقول: كان يمكن إظهار الحق بغير ذلك بأن يخبر رسول الله ﷺ السيدة عائشة أن مأبوراً لا يقدر على فعل شئ لأنه لا آلة له، وتصدقه السيدة عائشة الصديقة المبرأة بالضرورة لأنها تعلم صدقه ﷺ بل أعداؤه الكفار به يعلمون صدقه.

وكانوا يسمونه في الجاهلية الصادق الأمين[3] ﷺ كما صدقته بعد لما أخبره علي.

بعينه حين احتاج.

والآخر: أنه على ظاهره أى لا تلتفت بعينك لا يميناً ولا شمالاً بل امض على جهدة قصدك، ثم قال النووي أيضاً: فيه فضائل ظاهرة لعلي ﷺ وبيان شجاعته وحسن مراعاته لأمر رسول الله ﷺ وحبه الله ورسوله وحبهما إياه. شرح مسلم للنووي (١٥/١٤٤).

(١) خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله وذلك من قوله تعالى: ﴿**إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت**﴾ سورة لقمان (٣٤).

(٢) هو مأبور وقد تقدمت ترجمته ،وقال ابن حجر في الإصابة (٨/١٨٥) أقام الخصي على دينه حتى أسلم بالمدينة بعد في عهد رسول الله ﷺ .

(٣) هذا كان اسم النبي ﷺ في مكة قبل مبعثه ولنا في قصة بناء الكعبة مثلاً فذكر الذهبي هذا فقال: "فلما

الوجه الخامس عشر: أن قوله: إنما فعل رسول الله ﷺ لترجع عن ذنبها، فما رجعت.

الضمير راجع إلى السيدة عائشة الصديقة[1] المبرأة (رضي الله تعالى عنها).

والذنب هو الإفك على السيدة مارية على زعمه يرده، أنها لو أصرت على ذنبها كما افترى به على الله كذباً لكان ذلك تكذيباً منها لرسول الله ﷺ. وتكذيبه ﷺ كفر.

وكيف يبقى عنده رسول الله وحبيبته امرأة كافرة بالله تعالى عدوة لله (عز شأنه) مكذبة لرسول الله جل جلاله.

ينام معها في فراش واحد ويأتيها، ويأتيه الوحي في لحافها[2]. وتوفى ﷺ ورأسه الشريف في حجرها بين سحرها ونحرها[3] هذا لا يتصوره عامي، له أدنى عقل.

بلغ البنيان موضع الركن يعني الحجر، اختصموا فيمن يضعه، وحرصت كل قبيلة على ذلك حتى تحاربوا ومكثوا أربع ليال. ثم إنهم اجتمعوا في المسجد تناصفوا فزعموا أن أبا أمية بن المغيرة وكان أسن قريش قال: اجعلوا بينكم فيما تختلفون أول من يدخل من باب المسجد، فكان رسول الله ﷺ أول من دخل فقالوا: هذا الأمين رضينا به فقال: "هاتوا ثوباً" فأخذ الركن بيده فوضعه في الثوب ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً" ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو ﷺ بيده وبنى عليه. تاريخ الإسلام (١/٣٨).

(١) تكنى السيدة عائشة أم عبد الله فقيل أنها ولدت من النبي ﷺ ولداً فمات طفلاً ولا يثبت هذا، وقيل كناها بابن أختها عبد الله بن الزبير وهذا الثاني ورد عنها من طرق منها عن ابن سعد عن يزيد بن هارون عن حماد عن هشام بن عروة عن عباد بن حمزة عن عائشة قال الشعبي : كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال: حدثتني الصادقة ابنه الصديق حبيبة حبيب الله .
انظر الإصابة لابن حجر (٨/١٤٠).

(٢) روى البخاري في صحيحه (٣٧٧٥) في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، وفي آخره، فقال: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها" .

وأخرجه أيضاً: الترمذي في سننه (٣٨٧٩) في المناقب، باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، والنسائي في الكبرى، المناقب، باب فضل عائشة بنت أبي بكر الصديق، وفي عشرة النساء، باب الغيرة.
قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه [٨٤-(٢٤٤٣)] كتاب فضائل الصحابة ، باب في فضل عائشة (رضي الله عنها)، عن عائشة ، قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول: "أين أنا اليوم؟ أين أنا غداً؟" استبطاء ليوم عائشة، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري.

قال النووي: السحر بفتح السين المهملة وضمها وإسكان الحاء وهي الرئة، وما تعلق بها.

قال القاضي: إنما هو شجري بالشين المعجمة والجيم وشبك هذا القائل أصابعه، وأومأ إلى أنها ضمته

وإن مر أنه لا ينفر عنه، لكن بالنظر إلى مقامهﷺ لا يليق به ذلك لقوله تعالى: ﴿يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾في قوله عز شأنه:﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (١).

وأي مودة أعظم من توادد الزوجة مع ما عرف منه ﷺ من حبه إياها أكثر من الناس(٢).

فإن قلت: إنه لم يعلم ذلك منها.

قلت: كيف علم أن علياً لا يقتل مأبوراً، ولا يعلم أن عائشة الصديقة برأها الله تعالى لا تصدقه حكم لا يقول به عاقل.

الوجه السادس عشر: إن الله سبحانه وتعالى قال:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

فلو كانت السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها)، وبرأها مما يفترى به عليها أعداؤها هي الرامية السيدة مارية بالزنا.

وبقيت مصرة على ذلك (حاشاها الله تعالى) ونزهها عما يقول فيها الملحدون، ويفتري به عليها أعداؤها الظالمون.

إلى نحرها مشبكة يديها عليه، والصواب المعروف هو الأول.

شرح مسلم للنووي (١٥/١٦٨) مطبعة دار الكتب العلمية.

(١) سورة المجادلة (٢٢).

(٢) في تفسير الآية المتقدمة قال ابن كثير في تفسيره (٨/٣٢٩): قال سعد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح ﷺ حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة (ﷺ)، ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته وقيل في قوله تعالى: ﴿ولو كانوا آباءهم﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر، ﴿أوأبناءهم﴾ في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ﴿أو إخوانهم﴾ في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيدة بن عمير يومئذ ﴿أو عشيرتهم﴾ في عمر قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفى حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عبيدة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم.

(٣) سورة النور (٢٣). قال العوفي عن ابن عباس في الآية: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ الآية يعنى أزواج النبي ﷺ وما هن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب وباءوا بسخط من الله فكان ذلك في أزواج النبي ﷺ، ثم نزل بعد ذلك ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ إلى قوله: ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ فأنزل الله الجلد والتوبة، فالتوبة تقبل والشهادة ترد. تفسير ابن كثير (٨/٢٨٥).

لما كان أمسكها ﷺ عنده بل كان يطلقها لأن من يرمي المحصنات الغافلات المؤمنات ملعون في الدنيا والآخرة.

ولاشك أن السيدة مارية (رضي الله تعالى عنها) وعن سائر الزوجات الطاهرات المحصنات غافلة مؤمنة(١)، فلم يكن رسول الله ﷺ يبقى عنده ملعونة من الله على لسانه، سيما وأن ذلك مع دعوى الإصدار منها (والعياذ بالله تعالى) كما زعم، كيف وقد ثبت أنه ﷺ قال: لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة في حديث رواه مسلم في صحيحه عن أبي برزة الأسلمي(٢): ولفظه "بينما جارية على ناقة لها بعض متاع إذ بصرت بالنبي ﷺ، وتضايق بهم الجبل: فقالت: حل اللهم العنها. قال فقال النبي ﷺ(٣):"لا تصحبنا ناقة عليها لعنة"(٤).

---

(١) قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية ﴿**إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات**﴾ الآية قال: نزلت في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ وهى مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء**﴾ إلى قوله: ﴿**إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا**﴾ الآية قال: فجعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة.
تفسير ابن كثير (٢٨٥/٨).

(٢) أبو برزة الأسلمي اسمه نضلة بن عبيد بن الحارث، مشهور بكنيته، صاحب رسول الله، سكن البصرة وكان مع معاوية بالشام وقيل: شهد صفين مع على ﷺ، وقد روى عن النبي ﷺ وأبي بكر، غزا خراسان ومات بها، وأخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفى سنة ٦٥.
ترجمته: تهذيب التهذيب (٤٤٦/١٠)، تقريب التهذيب (٣٠٣/٢)، الكاشف (٢٠٥/٣)، التاريخ الكبير للبخاري (١١٨/٨)، الجرح والتعديل (٤٩٩/٨)، أسد الغابة (٣٢١/٥)، الثقات (٤١٩/٣)، الاستيعاب (١٤٩٥)، تجريد أسماء الصحابة (١٠٦/٥)، الإصابة (٤٣٣/٦)، طبقات ابن سعد (٩/٧).

(٣) قال النووي في رواية: "خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة" وفى رواية "لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة إنما قال هذا زجراً لها ولغيرها وكان قد سبق نهيها ونهى غيرها عن اللعن فعوقبت بإرسال الناقة، والمراد النهي عن مصاحبته لتلك الناقة في الطريق، وأما بيعها وذبحها وركوبها في غير مصاحبته ﷺ وغير ذلك من التصرفات التى كانت جائزة قبل هذا، فهى باقية على الجواز لأن الشرع إنما ورد بالنهي عن المصاحبة فبقى الباقي كما كان.
شرح مسلم للنووي (١٢٢/١٦).

(٤) أخرجه مسلم [٨٢-(٢٥٩٦)] كتاب البر والصلة والآداب، ٢٤-باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.
وفى رواية عن أبي الدرداء قال رسول الله ﷺ: "لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة" فيما رواه مسلم [٨٥ -(٢٥٩٨)] به.
وقال النووي : فيه الزجر عن اللعن وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة لأن اللعنة في
=

وفي رواية أخرى أيضًا.

قال: وزاد في حديث المعتمر[١]:"لا وأيم الله لا تصاحبنا راحلة عليها لعنة من الله". أو كما قال[٢]، انتهى. فلم يرضَ أن تصاحبه في طريقه ناقة ملعونة فكيف يتصور مسلم أن يكون مع النبي ﷺ في بيته ملعون في غالب أوقاته بل ينام معه في فراش واحد ويفضى إليه بعد قوله ذلك، فإن قيل: إن الحامل للنبي ﷺ على إمساكها عنده هو فرط حبه لها[٣].

قلت: هذا ينافي في العصمة ولا يقول به مسلم.

وقد اتفقت الأمة الإسلامية على شرط العصمة للأنبياء[٤] (عليهم الصلاة والسلام).

وسيأتي بعض تعرض لذلك في خاتمة هذا الكتاب (إن شاء الله تعالى).

الوجه السابع عشر: إن في نسبة هذه إلى السيدة عائشة المبرأة زوج النبي ﷺ وحبيبته إيذاء له ﷺ.

=

الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضاً والجسد الواحد، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهي الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاطعة والتدابر وهذا غاية ما يوده المسلم للكافر ويدعو عليه.

شرح مسلم للنووي (١٦/١٢٣).

(١) معتمر بن سليمان بن طرخان ، أبو محمد التيمي البصري، ثقة، أخرجه له: أصحاب الكتب الستة وتوفى سنة (١٨٧ ، ١٨٠) .

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/٢٢٧)، تقريب التهذيب (٢/٢٦٣)، الكاشف (٣/١٦١)، التاريخ الكبير للبخاري (٨/٤٩)، التاريخ الصغير للبخاري (٢/٢٤١)، الجرح والتعديل (٨/١٨٤٦)، ميزان الاعتدال (٤/١٤٢)، سير الأعلام (٨/٤٧٧)، الأنساب (٣/١٢٤)، الثقات (٧/٥٢١)، معجم المؤلفين (١٢/٣٠٤).

(٢) انظر مسلم [٨٣- (٢٥٩٦)] كتاب البر والصلة والآداب، ٢٤- باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

(٣) قال النووي: كان ﷺ يسوى بين أزواجه في الأفعال والمبيت ونحوه، وأما محبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهن، وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها، ولا يلزمه التسوية وفيها لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله سبحانه وتعالى، وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال.

شرح مسلم للإمام النووي (١٥/ ١٦٦ ، ١٦٧).

(٤) قال الشوكاني: واعلم أن أولياء الله غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوز على سائر عباد الله المؤمنين فلأنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة عالية فقل أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق، فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء.

انظر قطر الولي على حديث الولي ص٣٥ من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية.

ما روى البخاري[1] عن هشام[2] عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة.

قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلت: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيثما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة[3] للنبي ﷺ. قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذلك فأعرض عني. فلما كان في الثالثة ذكرت له. فقال: يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها[4].

ولقوله ﷺ في حديث الإفك الذى رواه البخاري (*) وغيره وهو على المنبر: "يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل، قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟[5]

وإيذاؤه إيذاء الله تعالى. كما ورد في صريح الحديث، وهو يستوجب اللعن.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٧٥) ٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضل عائشة (رضي الله عنها).

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد أبو المنذر القرشي الأسدي الزبيري المدني أحد الأئمة الأعلام، روى عن عمه عبد الله بن الزبير وأبيه وأخويه عبد الله بن عروة وعبد الله بن عثمان. وقال أبو حاتم: ثقة إمام فالحديث، وقال ابن سعد: كان ثقة ثبتا كثير الحديث حجة، توفى سنة ١٤٦. انظر تاريخ الإسلام وفيات (١٤١/١٥٠).

(٣) قال ابن حجر في الإصابة (١٤٠/٨) أسلمت قديماً هي وزوجها وهاجر إلى الحبشة فولدت له سلمة ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة فولدت له عمر ودرة وزينب، قاله ابن إسحاق.

وقد روى النسائي بسند صحيح عن أم سلمة قالت: لما انقضت عدة أم سلمة خطبها أبو بكر فلم تتزوجه فبعث النبي ﷺ يخطبها عليه... الحديث. وفي آخره فقالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله ﷺ فزوجه. انظر الإصابة (٢٤٠/٨).

(٤)أخرجه البخاري (٣٧٧٥) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضل عائشة (رضي الله عنها).

(*) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن، ٦- باب قوله **﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾** إلى قوله: **﴿الكاذبون﴾**.

ومسلم في صحيحه [٥٦- (٢٧٧٠)] كتاب التوبة، ١٠- باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف.

(٥) تقدم في البخاري ومسلم .

وقال النووي: وأما استعذاره فمعناه أنه قال من يعذرني فيمن آذاني في أهلي كما بينه في هذا الحديث ومعنى من يعذرني من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومني، وقيل: معناه من ينصرني والعذير: الناصر.

شرح مسلم للإمام النووي (٩١/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾(١) وحرام باتفاق الأمة، فيكون القول به يوجب اللعن بصريح القرآن، وحراماً أيضاً باتفاق الأمة.

الوجه الثامن عشر: إن السيدة عائشة الصديقة (رضوان الله تعالى عليها) التي برأها الله تعالى بصريح كتابه العزيز، وجعل براءتها قرآناً يتلى ويتعبد به المتعبدون، حيث ثبت أنها مع غيرها من سائر الزوجات الطاهرات(٢) من أهل بيت النبوة (رضوان الله تعالى عليهن أجمعهن) كان إذهاب الرجس عنها وتطهيرها مانعاً عن لحوق ما اختلقه أعداؤها ونسبوه إليها من تهمتها السيدة مارية (رضى الله عنها)، ونصاً قاطعاً في أنها خالية من كل دنس ومطهرة أبد(٣) الآبدين، ودهر الداهرين.

وهذا القدر من الوجوه ألذى ذكرناه على هذه المسألة كاف عن الإطالة عنها، وذكر غيرها.

وإن يكن هناك وجوه أخرى ضربنا صفحا عن ذكرها خوف الملل على أن كل وجه مما ذكرناه كاف وحده لرد تلك الدعوى الباطلة والتهمة الزائلة.

الوجه التاسع عشر: إن القول زعم واه ضعيف جدا، خرق للإجماع مخالف للنقل والعقل لا يلتفت إليه سيما وقد قام على خلافه وبطلانه إجماع الأمة من أهل السنة والشيعة من زمنه إلى الآن فلا يليق بعاقل أن يشك في وصفه لغرض البغض(٤)، فضلا عن أن يعول عليه.

---

(١) سورة الأحزاب (٥٧) .

(٢) روى الترمذي في سننه (٣٨٩١) كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، عن عكرمة قال: قيل لابن عباس بعد صلاة الصبح ماتت فلانة لبعض أزواج النبي ﷺ، فسجد فقيل له: أتسجد هذه الساعة؟ فقال: أليس قد قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم آية فاسجدوا فأى آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ.

(٣) روى الترمذى في سننه (٣٨٨٨) ٥٠-كتاب المناقب، باب فضل عائشة (ﷺ)، عن عمرو بن غالب أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر فقال: أغرب مقبوحاً منبوذاً أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ . وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) بغض الشيعة للسيدة الطاهرة عائشة (رضي الله تعالى عنها) لما كان منها يوم الجمل ، وقد ذكره الذهبي في" تاريخ الإسلام وفيات سنة (٥١-٦٠)": قالت عائشة: إذا مر ابن عمر فأرونيه، لما مر قيل لها: هذا ابن عمر، قالت: يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلا قد غلب عليك وظننت أنك لاتخالفينه يعني ابن الزبير قالت: أما إنك لو نهيتني ما خرجت تعني مسيرها في فتنة يوم الجمل .

والله تعالى نسأل أن يحمينا من الزلل فلا نقول إلا صدقا ولا نعتقد إلا حقا. آمين يا رب العالمين.

المسألة الثالثة: إن المراد بأولي القربى في آية ﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى**﴾ قرابة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)[١]، لا مسطح، وقرابته يرد ذلك وجوه سبعة: الأول: إن الآية الكريمة نزلت في أبي بكر الصديق (رضي الله تعالى عنه) يدل عليه ما ورد في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما أن الصديق الأكبر[٢] (رضي الله تعالى عنه) لما أنزل الله تعالى براءة السيدة عائشة الصديقة المبرأة، وكان مسطح بن أثاثة تكلم فيمن تكلم بالإفك، وكان الصديق الأكبر ينفق عليه وعلى قرابته لقرابته منه، وفقره وقال: والله لأنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله:﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ......**﴾ الآية فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه[٣]، وعلى قرابته، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

---

(١) قال النووي في شرح مسلم(١٧/٩٩) من فوائد حديث الإفك: منها فضائل لأبي بكر ﷺ في قوله تعالى:﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ**﴾ الآية، ومنها: استحباب صلة الأرحام وإن كانوا مسيئين.

ومنها العفو والصفح عن المسيء، ومنها: استحباب الصدقة والإنفاق في سبيل الخيرات. ومنها أنه يستحب لمن حلف على يمين ورأى خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه.

(٢) انظر إلى فضائل الصديق فيما ذكره الزمخشري في مختصره لكتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، في هجرة الرسول ﷺ قال: فلما انطلق أبو بكر برسول الله إلىباب الغار، قال له أبو بكر: رويدك يا رسول الله حذرا عليه، فدخل أبو بكر إلى الغار فلم ير جحرا إلا أدخل أصبعه فيه حتى جاء إلى جحر كبير فأدخل رجله في ذلك الجحر حذرا على رسول الله حتى بلغ إلى فخذه ثم أخرج رجله ثم قال: ادخل يا رسول الله فقد مهدت لك الموضع تمهيدا والله خليفتي عليك.

مختصر كتاب الموافقة بين أهل السنة والصحابة (ص٤٦) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) روى البخاري في صحيحه(٤٧٥٧) كتاب تفسير القرآن، باب﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ...**﴾ الآية، ﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى.....**﴾ الآية، عن عائشة وفى آخره" وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان والمنافق عبد الله بن أبي وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه،وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة، قالت: فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً، فأنزل الله ﷻ:﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ**﴾ إلى آخر الآية يعني أبا بكر ﴿**وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ**﴾ يعني مسطحاً إلى قوله:﴿**أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ حتى قال أبو بكر:بلى والله ياربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع.

الثاني: إن ذكر هذه الآية ونزولها بعد آيات الإفك مبينات على سبب يقتضي أن تكون نزلت في الصديق الأكبر[١] (رضي الله تعالى عنه) لا غير، وهو امتناع الصديق عن الإنفاق على مسطح وقرابته الذين هم قرابته، وحلفه على ذلك.

الثالث: إن قوله تعالى:﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ يقتضي وقوع ما يستلزم العفو والصفح من أولي القربى- أعني -أن يفعل أولو القربى ما يستلزم عفو وصفح غيرهم عنهم، فلو كان المراد بهم قرابة رسول الله (ﷺ)كما قال الصافي، للزم أن يكون وقع منهم ذنوب تقتضي العفو والصفح عنهم، وهم مبرأون من ذلك، وأما مسطح فقد وقع منه ما يقتضي أي عفو، وأي صفح، وهو ذو قرابة من الصديق الأكبر (رضي الله عنه)[٢].

الرابع: إن رواية "التاء" التي إدعاها الصافي في ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾، ورواها عن المجمع لم تعرف أصلاً، وعلى فرض تسليمها لا تكون دليلاً على أن المراد بأولي القربى، قرابة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)، لأن الخطاب حينئذ يكون للنبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)، وعائشة الصديقة، والصديق الأكبر، وصفوان[٣](رضي الله تعالى عنهم)، ويبقى

---

(١) فيما تدعيه الشيعة من أن الخلافة من حق على ما روي عن على حيث قال: " والله ما مات رسول الله فجاءة ولا قتل قتلاً، ولكن مرض أياماً وليالي، كل ذلك يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيقول له: أئت أبا بكر فمره فليصل بالناس، ولقد تركني وهو يرى مكاني ولو كان عهد رسول الله إليّ، ما تركت أحداً من بني تيم ولا ابن الخطاب يقومان يخطبان على منبر رسول الله نظراً في أمورنا، فإذا الصلاة عمود الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا ما رضيه رسول الله لديننا، فولينا أبا بكر. أنظر كتاب "مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة" ص٢٧ من تحقيقنا - طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) روي البخاري(٤٧٥٠) في كتاب تفسير القرآن، ٦ــ باب ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ــ إلى قوله ــ الكاذبون﴾، عن عائشة من حديث طويل في آخره:" فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال: فأنزل الله ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ...﴾ الآية إلى﴿غفور رحيم﴾ قال أبو بكر: بلى والله،إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه...... الحديث".

(٣) كان حسان بن ثابت قد كثر على صفوان بن المعطل وقال يعرض به:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

فضربه صفوان بالسيف على رأسه وقال:

تلق ذباب السيف عني فإنني غلام إذا هوجيت ليس شاعر

ولما علم النبي ﷺ قال: "يا حسان أتشوفت على قومي أن هداهم الله للإسلام؟ يا حسان أحسن فيما أصابك" قال:" هي لك يا رسول الله، فأعطاه سيرين القبطية، فولدت له عبد الرحمن، وأعطاه أرضا =

المراد بأولى الفضل الصديق الأكبر لقوله تعالى:﴿أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ ولأنه هو الذي حلف[1] على ألا ينفق على مسطح، وقد قال تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾ أي لا يحلف، ولعدم قوله: " تأتلوا" بالتاء.

الخامس: أنه لم يقع حلف من النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) أن لا ينفق على أحد من قرابته حتى تكون هذه الآية الكريمة نزلت في حقه (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) على ما ادعاه الصافي: من أن يعفوا ويصفحوا أو أرادت" بالتاء" ليستقيم له ذلك.

السادس: أنه لم ينقل أن أحدا حلف على ألا ينفق على قرابة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) لإقترافهم ذنبا يقتضي ذلك ويأمر الله (سبحانه وتعالى) بالعفو والصفح عنهم.

السابع: أن المفسرين والمحدثين أجمعوا على أن المراد بأولي الفضل: أبو بكر (رضي الله تعالى عنه)، وبأولي القربى: مسطح وقرابته[2].

المسألة الرابعة: أن تفسير الفضل بالغنى وعدوله عما فسر به الأصل - وهو البيضاوي إلى ذلك ليس في محله، فليس بمسلم لأن الغنى والسعة بالمال واحد، فتكون السعة تأكيدا للفضل.[3]

وأما على تفسير البيضاوي، وكذا غيره إياه بأنه الدين فيكون تأسيسا، ولا مانع منه.

وحيث كان لا مانع منه من التأسيس الذي هو الأصل إلى التأكيد الذي هو فرعه إلا

كانت لأبي طلحة وآلت إلى رسول الله. انظر تاريخ الإسلام(١/٣٦٢) في حادث الإفك.

(١) في كفارة اليمين كما جاء في كتاب الله العزيز:﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. (سورة المائدة:٨٩).

(٢) قال النووي في " فوائد حادث الإفك": براءة عائشة (رضى الله عنها) من الإفك وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين، قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) أجمعين، وهذا إكرام من الله تعالى لهم.

وفيه فضائل لأبي بكر ﷺ في قوله تعالى:﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكم﴾ الآية

شرح مسلم للنووي(١٧/٩٩) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) انظر ما تقدم من التفسير نقلا عن البيضاوي وابن كثير.

لمانع وقد علمت ألا مانع هنا منه.

قال الرازي: والفضل في هذه الآية إما في الدنيا، وإما في الدين. والأول باطل، لأنه تعالى ذكره في معرض المدح له، والمدح من الله بالدنيا غير جائز.وقد جعل هذه الآية دالة على أفضلية[١] أبي بكر بعد رسول الله (صلى الله تعالى وآله وسلم).

المسألة الخامسة: إن تفسير اسم الإشارة وهو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ﴾ بغير أهل النبي (عليه وآله الصلاة والسلام) أو الرسول وعائشة وصفوان، أو الطيبين غير عليّ وشيعته[٢]، مدحوض بوجوه ثلاثة:

الأول: أن السياق يقتضي كون المراد بالخبيثات: الزانيات، وبالطيبات: الحصينات اللاتي أحصن فروجهن.

والمراد بالخبيثين: المنافقين، وغير المؤمنين من الرجال. وبالطيبين: النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه)، يقتضي كون اسم الإشارة عائد إلى الطيبين المذكورين، وهم النبي ﷺ، وعائشة الصديقة المبرأة، وصفوان لأن نسبة ذلك إلى عائشة الصديقة التي هي زوجته (عليه وآله الصلاة والسلام) غير لائق بمقامه السامي، فبرأه الله تعالى منه.

الثاني: أنه إذا جعلنا المراد بالخبيثات: الكلمات، وكذا بالطيبات على ما تقدم يبقى الحكم كذلك.لأن المراد بالطيبين النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم).

والخبيثات: المنافقون وغير المؤمنين.

الثالث: أن تفسيره الطيبين بسيدنا علي(رضي الله تعالى عنه)، وأصحابه، وشيعته[٣].

---

(١) عن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: خطبنا علي فقال: أيها الناس من أشجع الناس؟ قلنا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: ذاك أبو بكر الصديق إنه لما كان في يوم بدر وضعنا لرسول الله العريش، فقلنا: من يقيم عنده لا يدنو منه لأحد من المشركين فما قام عليه إلا أبو بكر وإنه كان شاهرا السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى إليه أبو بكر بالسيف.

انظر: مختصر كتاب الموافقة ص٤٣- من تحقيقنا -طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) الشيعة هم الذين شايعوا عليا ﷺ وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين الذي لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة .

انظر: موسوعة الفرق والجماعات (ص ٢٦٥).

(٣) قال الشعبي: كان على في هذه الأمة مثل المسيح ابن مريم في بني إسرائيل أحبه قوم فكفروا في حبه وأبغضه قوم فكفروا في بغضه، وهذا الكلام كما قال هو نفسه: محب غال، ومبغض قال.

انظر مقدمة كتاب: مناقب الأسد الغالب علي بن أبي طالب لابن الجزري(ص٨).

والخبيثين: بأعداء الشيعة لا دليل عليه، والسياق يأباه من كل وجه.وقد بينا بالليل أن نسبة ذلك إلى سيدنا الحسن[١](رضى الله تعالى عنه) مردود.

الباب السابع عشر

في بيان أن السيدة عائشة الصديقة[٢] (ﷺ) مبرأة من أن يكون ما وقع عليها من الإفك، أو نسب إليها أنها أفكته صحيحاً، باتفاق أهل السنة والجماعة والشيعة.

وهو نتيجة هذه الأبواب، والمقصود من تأليف هذا الكتاب اعلم وفقنا الله وإياك إلى اتباع الحق[٣] وسلوك الصدق، وحمانا من أن يزغ بنا الغرض، إذ هدانا الله تعالى عن الصراط المستقيم فنؤذي الله تعالى ورسوله (عليه وآله أفضل الصلاة، وأتم التسليم)، فتسود وجوهنا

---

(١) روى البخاري(٣٧٥٠) ٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين (ﷺ)، وعن عقبة بن الحارث قال:"رأيت أبا بكر ﷺ وقد حمل الحسن وهو يقول:" بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيهاً بعلي، وعلي يضحك" وما روى عنه أيضاً في أمر الخلافة ما ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام(٢/ ٢٧٩) وفيات(٤١-٥٠) وقال ابن عبد البر: إن الحسن لما احتضر قال لأخيه- يقصد الحسين -يا أخي إياك أن تستشرف لهذا الأمر فإن أباك استشرق لهذا الأمر فصرفه الله عنه، ووليها أبو بكر ثم استشرف لها فصرف عنه إلى عمر، ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه فصرفت إلى عثمان، فلما مات عثمان بويع، ثم توزع حتى جرد السيف فما صفت له، وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة.

(٢) وقال الزهري عن قاسم بن محمد أن معاوية لما قدم المدينة حاجاً دخل على عائشة فلم يشهد كلا منهما الأذكوان مولى عائشة فقالت له: أمنت أن أخبئ لك رجلاً يقتلك بأخي محمد، قال: صدقت ثم إنها وعظته وحضته على الاتباع، فلما خرج اتكأ على ذكوان وقال:والله ما سمعت خطيباً ليس رسول الله ﷺ أبلغ من عائشة . تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٦٠).

(٣) اتباع الحق لا يكون إلاّ بإتباع كتاب الله وسنة رسولهﷺ وفي حديث إبار النخل ما رواه مسلم[١٣٩-(٢٣٦١)] كتاب الفضائل، ٣٨-باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، وفيه"إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذني بالظن ولكن إذا أحدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به".

قال النووي: وفي رواية إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشئ من رأي، فإنما أنا بشر، وفي رواية أنتم أعلم بشئون دنياكم".

قال العلماء:قوله ﷺ (من رأي) أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على التشريع فأما ما قاله باجتهاده! ورآه شرعاً يجب العمل به وليس إبار النخل من هذا النوع.

شرح مسلم للنووي(١٥/٩٥) طبعة دار الكتب العلمية.

يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلا يكون لنا شفيع[(١)]،ولا ينفعنا ولى حميم بكل الوجوه أنه من أسر سريره ألبسه الله رداءها، فمن أحسن الله سريرته، أحسن سيرته،

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فالسيدة عائشة الصديقة زوج سيد المرسلين وحبيبة حبيب رب العالمين، التي برأها الله العظيم بنص القرآن الكريم.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

أراد الله (سبحانه وتعالى) أن يجعل برآءتها وإحصانها قرآنا يتلى وينشر فضلها في كل زمان ومكان كرماً منه وفضلاً، فأتاح لها لسان رأس المنافقين[(٢)] الشقي اللعين عبد الله بن أبي بن سلول[(٣)]، فأفك عليها بغضا منه برسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) وساعده على ذلك عصبة.

كان لبعضهم خيرا وكان لبعضهم شرا، فأنزل الله تعالى في شأنها ستة عشر آية متوالية في القرآن العظيم مكذبة لهم ومختومة بصريح البراءة في: ﴿**أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم**

(١) حديث الشفاعة رواه مسلم[٣٢٢-(١٩٣)] كتاب الإيمان،٨٤-باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، عن أنس بن مالك، من حديث طويل وفيه:" فيأتونني فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما يشاء الله، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، قل تسمع، سل تعطه،اشفع تشفع فأرفع رأسي، فأحمد ربي........ الحديث بطوله.
قال النووي: وجاء في حديث أنس وأبو هريرة ابتداء النبيﷺ بعد سجوده وحمده والإذن له في الشفاعة بقوله:" أمتي أمتي" ثم قال النووي أيضاً: ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمتهﷺ وفي المذنبين وصلت الشفاعة للأنبياء والملائكة وغيرهم. النووي في شرح مسلم(٣/٥٠) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق المشهور وكان له ابن من فضلاء الصحابة هو عبد الله بن عبد الله بن أُبي وكان اسمه الحباب، فلما أسلم سماه النبي عبد الله وقد شهد عبد الله الابن بدراً وما بعدها ، وذكر ابن منده أن أنفه أصيب يوم أحد فأمره النبيﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب. وروي عن عائشة عن عبد الله بن عبد الله قال:" ندرت(أي سقطت) ثنيتي فأمرني النبي ﷺ أن أتخذ ثنيه من ذهب" وهذا أثبت من قول ابن منده. استشهد عبد الله بن عبد الله يوم اليمامة. تاريخ الإسلام حوادث سنة(١٢).

(٣) روى البخاري في صحيحه(١٢٦٩) كتاب الجنائز، ٢٢-باب الكفن في القميص الذي يكفن أو ليكفن، عن ابن عمر (ﷺ):" أن عبد الله بن أُبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال:"آذني أصلي عليه" فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر ﷺ فقال:" أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: أنا بين خيرتين قال الله تعالى:﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ**﴾ فصلى عليه فنزلت ﴿**وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا**﴾ وما يليه (١٢٧٠): أتى النبي ﷺ عبد الله بن أُبي بعد ما دُفن، فأخرجه فنفث فيه من ريقه وألبسه قميصه".

﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ فمن قرأ هذه الآيات الكريمة، وما جاء عاضدا لها ومفسرا من الأحاديث العظيمة وما ألقي فيها من الشبهات، وما أجبنا عنها بأحسن وأوضح جواب من الأجوبة المحكمات[(١)].

اعلم أن السيدة عائشة الصديقة بريئة مما نسب إليها من الإفك[(٢)] سواء كان واقعاً عليها أم منها، فما نسبوه إليها من الإفك الذي افتروا به عليها برأها الله (تعالى) منه باتفاق أهل السنة والجماعة والشيعة، أما أهل السنة فمعلوم اعتقادهم لم يخالف فيه أحد منهم، وأما الشيعة فقد اتفقوا على براءتها أيضاً، وذلك لأنهم قالوا: روت العامة أنها نزلت في عائشة، وما رميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة[(٣)]. انتهى.

فلم يخلفوا فيه،ولم يناقشوا ، ولم يفوهوا ببنت شفة، بل سلم منهم من سلم.

وأما من لم يسلم منهم فلم يدع صحة الإفك، ولا خالف القرآن العظيم، بل قال: إن الإفك المذكور فيه لم يقع عليها أصلا بل وقع على السيدة مارية القبطية (رضي الله تعالى عنهما).

وبين ذلك الصافي منهم بقوله: وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية، وما

---

(١) في فضائل عائشة (﵂) ما رواه مسلم في صحيحة[٨٠-(٢٤٣٩)] كتاب فضائل الصحابة، ١٣- باب في فضل عائشة (﵂) قالت: قال لي رسول الله ﷺ :"إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليّ غضبى" قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى، قلت: لا ورب إبراهيم، قالت: قلت أجل يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.

قال النووي: دل على أن قلبها وحبها كما كان، وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة.

(٢) في نزول براءة أم المؤمنين عائشة في كتاب الله تعالى وما له من الشرف والمكانة قال ابن عباس فيما ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات(٥١-٦٠): قال: ياأم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ، على أبي بكر ﵁، ولو لم يكن إلا ما في القرآن من البراءة لكفى بذلك شرفاً".

(٣) قال الواقدي بسنده عن جويرية (﵂) قالت:أنا سمعت رسول الله ﷺ ونحن على المريسيع، فأسمع أبي يقول: أتانا ما لا قبل لنا به، قالت: وكنت أرى من الناس والخيل والعدد ولا أصف من الكثرة، فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله ﷺ ورجعنا جعلت أنظر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعرفت أنه رعب من الله، وكان رجل منهم قد أسلم يقول: لقد كنا نرى رجالاً بيضاً على خيل أبلق، ما كنا نراهم قبل ولا بعد.

تاريخ الإسلام حوادث سنة(٥).

رمتها به عائشة. انتهى.

وقد علمت ببطلانه، فقد كان ذلك إجماعاً منهم على تبرئة السيدة عائشة الصديقة مما أفك به عليها باتفاق الأمة الإسلامية لاسيما الشيعة، وهو المقصود من تأليف هذا الكتاب[1]،وما نسبوه إليها من إنها أفكت على السيدة مارية القبطية بمأبور.

فقد علمت مما قدمت في الباب السادس عشر أنه كذب محض اختلف بعض ذوي الأغراض من أهل الشيعة، بعد عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم، لأن يدخلها حماها الله تعالى[2] فيما لا يجوز النقل والعقل انطباقه عليها.

إنما هو ظاهر الفساد لا يقدر على المكابرة في عدم تسليم فساده أو العناد.

فثبت أن السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) بريئة من الإفك الذي وقع عليها ومن أن تأفك على غيرها فتدخل في الوعيد الشديد.

وأن الله سبحانه وتعالى جعل خيراً عظيماً وأعد لها به مغفرة ورزقاً كريماً.

إفصاح :

إن ما ذكرته من إتفاق الشيعة مع أهل السنة على براءة السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) من الإفك الذي وقع عليها[3] هو مبني على ما ذكره الصافي في تفسيره كما يعلم

---

(١) للمصنف مؤلفات غير هذا منها: مصادر الفضائل، وحسن الابتهاج بالإسراء والمعراج، انظر كتاب إيضاح المكنون للبغدادي(٤٠٧/١).

(٢) في محبة النبي ﷺ للسيدة عائشة (رضي الله عنها) ما روي في البخاري ومسلم في إرسال أزواج النبي ﷺ فاطمة (﵂) وفيه:" يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة". قال النووي:" معناها يسألنك التسوية بينهن في محبة القلب، وكان ﷺ يسوي بينهن في الأفعال والمبيت ونحوه، وأما محبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهم، وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها ولا يلزمه التسوية فيها لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله (سبحانه وتعالى)، وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال.
انظر شرح مسلم النووي(١٦٦/١٥،١٦٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) روى البخاري(٤٧٥٣) ٦٥-كتاب تفسير القرآن ٩-باب ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ عن ابن أبي مليكة استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة. قلت: أخشى أن يثني عليَّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قلت: ائذنوا له. فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت الله، قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ ، ولم ينكح غيرك بكراً، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير فقال: دخل ابن عباس فأثنى

مما أسلفناه وصرحنا به مرارًا.

فإذا وجد في غيره من كتب الشيعة ما يناقضه يكون مناقضاً لكلام الصافي، لا تَقَوُّلي، ولا يرد على دعاوى إجماع الشيعة(١)عليه لعدم اطلاعي على ما يخالفه، بل غير التفسير المذكور من كتبهم.

ولأنه لا يخطر لي ببال أن الصافي مع جلالة قدرة عندهم، واحترامه وتسليمهم له بالفضل وشهادتهم له بالعلم، واعتمادهم على تفسيره وطبعهم، ونشرهم تفسيرهم يخالف مذهبهم.

فائدة: إن اسم الإشارة في قوله: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ﴾ إذا كان مرادا به الطيبون يكون المعنى الطيبون مبرأون مما يقوله الخبيثون فيهم، وهو الإفك والخبيثون الآفكون.

ويكون معناه كلفظه جمعا، فتكون أزواج النبي(٢) (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) الطاهرات كلهن مبرأت من الإفك، لا يجوز لأحد أن يقدح في واحدة منهن لأنها تكون و(العياذ بالله تعالى) حينئذ خبيثة(٣).

=

عليَّ وددت أني كنت نسيًا منسيًا ".

(١) زاد بعض الشيعة في المبالغة في سيدنا علي بن أبي طالب فيما رواه الذهبي في تاريخ الإسلام: جاء أناس إلى على فقالوا: أنت هو، قال: من أنا؟ قالوا أنت هو، قال: أياكم من أنا؟ قالوا أنت ربنا، قال: ارجعوا، فأبوا، فضرب أعناقهم، ثم خد لهم في الأرض، ثم قال: يا قنبر آتني بحزم الحطب فحرقهم بالنار وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً ... أوقدت ناري ودعوت قنبراً

(٢) ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم وعلى آله) إلا وهي طيبة لها أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعا ولا قدرا، ولهذا قال تعالى:﴿أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي هم بعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي بسبب ما قيل فيهم من الكذب، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أي عند الله في جنات النعيم.
تفسير ابن كثير (٣/٢٨٦).

(٣) معاذ الله أن تكون الصديقة الطاهرة مما يقال عليها من الشيعة فقد كانت من الكرم والجود، فعن عروة، عن عائشة أنها كانت تتصدق بسبعين ألفاً، وأنها لترقع جانب درعها، وعن أم ذرة قالت بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين، يكون مائة ألف فدعت بطبق فجعلت تقسم في الناس، فلما
=

وقد قال الله تعالى:﴿الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ فلا يجوز أن تكون الخبيثة زوجة للطيب، بل لأطيب الطيبين وهو النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)، فأزواجه إذاً لا يكن إلاّ طيبات طاهرات، كما أنه لا أحد أطيب، ولا أطهر منه (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم).

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: ثم بين تعالى: أن لهم مغفرة- يعني براءة من الله ورسوله، ورزقاً كريماً في الآخرة ويحتمل أن يكون ذلك خيراً مقطوعاً به، فيعلم بذلك أن أزواج النبي (عليه الصلاة والسلام) هن معه في الجنة، وهذا يدل على أن عائشة (﵂) تصير إلى الجنة[١]. انتهى.

أقول يؤيده قوله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم):" عائشة زوجتي في الجنة"[٢] رواه السيوطي عن ابن سعد، عن مسلم البطين وقوله عليه وآله الصلاة والسلام:" سألت ربي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا يتزوج إليَّ أحد، إلا كان معي في الجنة، فأعطاني ذلك" وقوله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم):"سألت ربي ألا يدخل أحداً من أهل بيتي النار فأعطانيها"[٣] وقوله عليه وآله أفضل الصلاة وأتم سلام:"سألت ربي ألا أزوج إلاّ من أهل الجنة، ولا أتزوج

=

أمست قالت: يا جارية هاتي فطري، فقالت أم ذرة يا أم المؤمنين أما استطعت أن تشتري بدرهم لحماً مما أنفقت، فقالت: لا تعنفيني لو ذكرتيني لفعلت.

تاريخ الإسلام للذهبي وفيات(٥١-٦٠)

(١) قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

وعن عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة. وقال مسروق: رأيت مشيخة الصحابة يسألونها عن الفرائض. وعن عروة: ما رأيت أعلم بالشعر منها.

المرجع السابق.

(٢) انظر ما روى البخاري من حديث عمار، ففي صحيح البخاري(٣٧٧٢) ٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ٣١-باب فضل عائشة (﵂)، عن الحكم سمعت أبا وائل قال:" لما بعث عليٌّ عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم ،خطب عماراً فقال:" إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها" .

(٣) ذكره الهندي في كنز العمال(٣٤١٤٩)، وبلفظ" سألت ربي ألا يدخل أحداً من أمتي النار فأعطنيها".

إلاّ من أهل الجنة"[١] وقوله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم):" إن الله أبى لي أن أزوج، أو أتزوج إلا من أهل الجنة" رواه السيوطي أيضاً في الجامع الصغير.

والأول خاص في عائشة، والباقية في سائر الزوجات الطاهرات، وقال في براءتها سيدنا حسان بن ثابت[*]:

حصان رزان ما تزن بريـــــة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل[٢]

إلى أن قال:

مهذبة وقد طيب الله خيمها[٤] وطهرها من كل سوء وباطل[٣]

وقد تقدمت كلها.

* * *

(١) ذكره الهندي في كنز العمال(٣٤١٤٨).

(*) الأبيات التالية لهذا البيت هي:

حليلة خير الناس دينًا ومنصبًا نبي الهدى والمكرمات القواصي

عقيلة حي من لُؤى بن غالب كـــرام المساعي مجدها غير زائل

(٢) حصان: متحصنة بعفتها. رزان: ثقال ذات ثبات ووقار. ما تزن: ما تتهم. غرثى: جائعة. الغوافل:العفاف قلوبهن عن الشر.

(٣) وما يليه:

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إلى أناملي

وإن الذي قد قـيل ليـس بلائط ولكنه قول امرئ بي ماحل

فكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل نبي الله زين المحافل

له رتب عال على الـناس كلهم تقاصر عنه سورة المتطاول

رأيتـك وليغفر لك الله حـرة من المحصنات غير ذات غوائل

(٤) الخيم: الطبع والأصل.

الباب الثامن عشر
في بعض ما ورد في فضل السيدة عائشة الصديقة المبرأة(١) زوجته وحبيبة حبيب رب العالمين (رضي الله تعالى عنها).

لقد عقد المحدثون (رضي الله تعالى عنهم) أبواباً مخصوصة لبيان فضائلها منهم الشيخان إماما المحدثين البخاري ومسلم في صحيحيهما، وكذا غيرهما، وجاء القرآن الكريم مفصحاً بها، وهي كثير فمنها في القرآن المجيد قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ومنها:﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٢) ومنها:﴿أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، ومنها الحديث الشريف تسليم جبريل (عليه السلام) عليهما.

روى البخاري(٣) عن أبي سلمة، أن عائشة (رضي الله عنها) قالت:قال رسول الله ﷺ يوماً:" يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام" فقلت: عليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد رسول الله ﷺ.

ومنها: شهادة النبي ﷺ لها بالكامل روى البخاري(٤) أيضاً عن أبي موسى الأشعري(٥)

---

(١) قال الذهبي: كان مسروق إذا حدث عن عائشة (رضي الله عنها) قال:حدثتني الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله، المبرأة من فوق سبع سموات، فلم أكذبها.
وقد روى الترمذي في سننه (كتاب المناقب)، عائشة (رضي الله عنها)، عن عمار بن ياسر.

(٢) سورة النور(١١) وقد تقدم تفسير هذه الآيات.

(٣) رواه البخاري في صحيحه(٣٧٦٨) ٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، ومسلم في صحيحه[٩١-(٢٤٤٧)] كتاب فضائل الصحابة،١٣-باب في فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها).
وقال النووي: فيه فضيلة ظاهرة لعائشة (رضي الله عنها)، وفيه استحباب بعث السلام ويجب على الرسول تبليغه، وكذا لو بلغه سلام في ورقة من غائب لزمه أن يرد عليه باللفظ على الفور إذا قرأه،وفيه أنه يستحب في الرد أن يقول وعليك أو وعليكم السلام بالواو فلو قال عليكم السلام أو عليكم أجزأه على الصحيح وكان تاركاً للأفضل.
شرح مسلم للنووي(١٥/١٧١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٣٧٦٩) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها).

(٥) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار اليماني، صاحب رسول الله ﷺ، قدم عليه مسلماً سنة سبع من أصحاب السفينتين من الحبشة، وكان قدم مكة فخاف بها أبا أحيحة سعيد بن العاص ثم رجع إلى بلده ثم خرج منها في خمسين من قومه قد أسلموا، فألقتهم سفينتهم والرياح إلى أرض الحبشة، فأقاموا عند =

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام".

ومنها: أن فضلها على النساء كفضل الثريد على الطعام.

روي البخاري أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "فضل عائشة على النساء كفل الثريد على الطعام[١]".

ومنها: أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)، وأبا بكر (رضي الله تعالى عنه) قد سبقاها إلى الجنة وهيأ لها منزلاً.

روي البخاري أيضاً عن القاسم بن محمد[٢]، أن عائشة اشتكت، فجاء ابن عباس فقال: "يا أم المؤمنين، تقدمين على فرط صدق، على رسول الله ﷺ، وعلى أبي بكر[٣]".

ومنها: أنها زوجة النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) في الدنيا والآخرة.

روى البخاري عن أبي وائل[٤]قال: لما بعث عليٌّ عماراً، والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم،

جعفر بن أبي طالب ثم قدموا معه، أستعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن، ثم والى الكوفة والبصرة لعمر، وكان من أجلاء الصحابة وفضلائهم، توفي سنة(٥٠)هـ.
تاريخ الإسلام وفيات(٤١-٥٠)

(١) أخرجه: البخاري(٣٧٧٠) ٦٢كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، عن أنس بن مالك.

ومسلم في صحيحه[٨٩-(٢٤٤٦)] كتاب فضائل الصحابة، ١٣باب في فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها).

والترمذي(٣٨٨٧) ٥٠-كتاب المناقب، باب فضل عائشة (رضي الله عنها). قال الترمذي: وفي الباب عن عائشة وأبي موسى، قال: وهذا حديث حسن.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد، أبو عبد الرحمن التيمي، المدني، القرشي، الضرير، ثقة أحد الفقهاء بالمدينة، أخرج له البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة، توفي سنة(١٠١-١٠٢-١٠٦).

ترجمته: تهذيب التهذيب(٣٣٣/٨)، تقريب التهذيب(١٢٠/٢)،الكاشف(٣٩٣/٢)، تاريخ البخاري الكبير(١٥٧/٧)، الجرح والتعديل(٦٧٥/٧)، سير الأعلام(٥٣/٥)، الحلية(١٨٣/٢)، تراجم الأحجار(٢٦٦/٣)، طبقات ابن سعد(٣٤٤/٥)، البداية والنهاية(٢٥٠/٩)، الثقات(٣٢٠/٥).

(٣) أخرجه: البخاري في صحيحه(٣٧٧١) كتاب فضائل أصحاب النبي(ﷺ)، ٣١باب فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها).

(٤) أبو وائل هو شقيق بن سلمة، الأسدي، الكوفي ثقة، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، توفي سنة(٨٢-٩٩) وله ١٠٠سنة .

خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتبتغوه أو إياها[١]، ومنها: أنها السبب في نزول آية التيمم وترخيصه روى البخاري عن عائشة أنها استعارت من أسماء[٢] قلادة فهلكت،فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة، فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك فنزلت آية التيمم[٣]".

ومنها: أنها ما نزل بها (رضي الله تعالى عنه)ا أمر إلا جعل الله تعالى لها منه مخرجاً، وللمسلمين فيه بركة: روى البخاري عن هشام عن أبيه، عن عائشة أنه لما نزلت آية التيمم، قال أسيد بن حضير: جزاك الله خيراً، فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً وجعل لنا منه بركة"[٤].

ومنها أنها كانت تندى السواك إلى رسول الله ﷺ بريقها.

روى البخاري في صحيحه بسنده أنه: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر[٥]، ومعه سواك يستن به[*]، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن فأعطانيه،

= ترجمته: تهذيب التهذيب(٣٦١/٤)، تقريب التهذيب(٣٥٤/١)، الكاشف(١٥/٢)، تاريخ البخاري الكبير(٢٤٥/٤)، التاريخ الصغير(٢١٩/١، ٢٣١)،الجرح والتعديل(١٦١٣/٤)، الوافي بالوفيات(١٦/ ١٧٢)، طبقات ابن سعد(١٠١/٦)، سير الأعلام(١٦١/٤)، الثقات(٣٥٤/٤).

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه(٣٧٧٢)٦٢- كتاب فضائل أصحاب النبي(ﷺ)،٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، عن أبي وائل.

(٢) أسماء بنت أبي بكر الصديق زوج الزبير بن العوام، ذات النطاقين، التيمية القرشية، من كبار الصحابة عاشت مائة سنة، أخرج لها أصحاب الكتب الستة، توفيت سنة(٧٣،٧٤)، التقريب(٥٨٩/٢)، الثقات(٢٣/٣)، أسد الغابة(٩/٤)، أعلام النساء(٣٦/١)، الإصابة(٤٨٤/٢)، الكاشف(٤٦٤/٣)، التاريخ الصغير(١٥٦/١).

(٣) أخرجه: البخاري(٣٧٧٣)٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ،٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها).

(٤) أخرجه: البخاري (٣٧٧٣) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ،٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها).

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، أبو محمد و قيل: أبو عبد الله التيمي القرشي شقيق عائشة تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح، وشهد اليمامة والفتوح، أخرج له: الستة (سنة٥٣). ترجمته: تهذيب التهذيب(١٤٦/٦)، تقريب التهذيب(٤٧٤/١)، الكاشف(١٥٧/٢)، التاريخ الكبير(٢٤٢/٥)، التاريخ الصغير(٣٧/١)، الجرح والتعديل(٢١٧/٥)، الثقات(٢٤٩/٣)، الإصابة(٢٩١/٤)، سير الأعلام(٤٧١/٢).

(*) قال ابن حجر: ومع عبد الرحمن سواك يستن به، أي يستاك ، قال الخطابي: أصله من السن أي بالفتح ومنه المسن الذي يسن عليه الحديد، وقوله:" فقضمته" بفتح القاف وكسر الضاد المعجمة أي مضغته، والقضم الأخذ بطرف الأسنان، وحكى عياض أن الأكثر رووه بالضاد المهملة أي كسرته أو قطعته. =

فقضمته ثم مضغته، فاعطيته رسول الله ﷺ، فاستن به، وهو مستند إلى صدري[١]".

ومنها أن رسول الله ﷺ كان حريصاً في مرضه الذي توفاه الله تعالى فيه (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) أن يمرض في بيتها حباً بها.

روى البخاري عن هشام عن أبيه أن رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول أين أنا غداً حرصاً على بيت عائشة.

قالت عائشة فلما كان يومي سكن[٢]".

ومنها أن الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) كانوا كلهم يعلمون حب رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) لها فكانوا يتحرون بهداياهم يومها.

ومنها: أنه قال:" لا تؤذيني في عائشة".

ومنها: انه ما نزل عليه (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) الوحي في لحاف امرأة من نسائه غيرها[٣]".

روى البخاري[٤] عن هشام عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري[*] رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان، أو حيثما دار.

قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ،قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليّ ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له، فقال:" يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة،

= انظر فتح الباري لابن حجر(١١٣/٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٤٥٠) كتاب المغازي،٨٥-باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه(٣٧٧٤) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ،٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها).

(٣) أخرجه: البخاري (٣٧٧٥)٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ،٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، والترمذي في جامعه الصحيح(هو السنن) ٥٠-كتاب المناقب، باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، رقم الحديث(٣٨٧٩)، والنسائي في الكبرى في المناقب، باب فضل عائشة بنت أبي بكر الصديق حبيبة رسول الله ﷺ، و(رضي الله عنها) وعن أبيها وفي عشرة النساء باب الغيرة.

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه (٣٧٧٥)٦٢- كتاب (فضائل أصحاب النبي ﷺ)،٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، (وتقدم باقي التخريج قبل هذا).

(*) قوله" فمري" أي قولي وبه استدل من استدل على عدم اشتراط الاستعلاء في الأمر كما في العيني.

فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها[١]".

ومنها: أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) شهد لها بأنه لم يعلم عليها إلا خيراً وكفى بها شهادة.

روى البخاري[٢] في حديث الإفك أنه (صلى الله تعالى عنه وآله وصحبه وسلم) قام فاعتذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول فقال وهو على المنبر:" يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً".وكذا رواه غير واحد.

ومنها: أنها كانت لا تحب أن يزكيها الناس تواضعاً منها.

روى البخاري[٣] في صحيحه بسنده عن عائشة (رضي الله تعالى عنها) أنها أوصت عبد الله بن الزبير[٤]: لا تدفني معهم، وادفني مع صواحبي بالبقيع،لا أزكي به أبداً" . انتهى.

وقولها معهم أي مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما).

يتزوجها ثلاث ليال: روى مسلم[٥] في صحيحه عن هشام، عن أبيه عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ:" أُرِيتُك في المنام ثلاث ليال[٦]، جاءني بك الملك في سَرَقَةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك، فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من عند

---

(١) انظر البخاري في أول الحديث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٧٥٠) ٦٥- كتاب التفسر،٥- باب قوله﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ**﴾افاك كذاب،٦-باب﴿**لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا**﴾ إلى قوله ﴿**الْكَاذِبُونَ**﴾، ومسلم في صحيحه[٥٦-(٢٧٧٠)] كتاب التوبة،١٠-باب في حديث الإفك، وقبول توبة، القاذف.

(٣) أخرجه البخاري(١٣٩١) ٢٣-كتاب الجنائز، ٩٦- باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما).

(٤) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، أبو بكر أبو خبيب الأسدي، أمه أسماء بنت أبي بكر، القرشي، الحميري، الباهلي، صحابي مشهور كان أول مولود في الإسلام بالمدينة، أخرج له: الستة توفي سنة(٧٣).

ترجمته: تهذيب التهذيب(٥/٢١٣)، تقريب التهذيب(١/٤١٥)، الكاشف(٢/٨٦)، التاريخ الكبير(٣/ ٦)، الجرح والتعديل(٥/٥٦)، أسد الغابة(٣/)، الإصابة(٤/٨٩) الثقات(٣/٢١٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه [٧٩-(٢٤٣٨)] كتاب فضائل الصحابة،١٣-باب فضل عائشة (رضي الله عنها).

(٦) قوله" جاءني بك الملك في سرقة من حرير" هي بفتح السين المهملة والراء وهي الشقق البيض من الحرير قاله أبو عبيد وغيره.

الله، يمضه[١]".

ومنها: أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) كان يراقبها في أحوالها لحبه إياها.

روى مسلم بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:" إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى".

قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال:"أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى، قلت لا ورب إبراهيم[٢]". قالت: فقلت:"ما أهجر إلاّ اسمك[٣]".

ومنها: أن رسول الله ﷺ كان يُسر لسرورها.

روى مسلم عن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله (ﷺ). قالت[٤]: وكانت تأتيني صواحبي، فكن ينقمعن من رسول الله (ﷺ). قالت:"فكان

(١) قوله ﷺ:"فأقول: إن يك هذا من عند الله، يمضه" قال القاضي: إن كانت هذه الرؤيا قبل النبوة وقيل تخليص أحلامه ﷺ من الأضغاث فمعناها إن كانت رؤيا حق وإن كانت بعد النبوة فلها ثلاث معان: أحدهما: أن المراد أن تكون الرؤيا على وجهها لا تحتاج إلى تعبير وتفسير فسيمضه الله تعالى وينجزه، الثاني: أن المراد إن كانت هذه الزوجة في الدنيا يمضها الله فالشك أنها زوجته في الدنيا أم في الجنة، الثالث: أنه لم يشك ولكن أخبر على التحقيق، وأتى بصورة الشك.
النووي في شرح مسلم(١٦٤/١٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال النووي: قال القاضي: مغاضبة عائشة للنبي (ﷺ) هي مما سبق من الغيرة التي عُفي عنها للنساء في كثير من الأحكام، كما سبق لعدم انفكاكهن منها، حتى قال مالك وغيره من علماء المدينة يسقط عنها الحد إذا قذفت زوجها بالفاحشة على جهة الغيرة. قال: واحتج بما روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: ما تدري الغيراء أعلى الوادي من أسفله، ولولا ذلك لكان على عائشة في ذلك من الحرج ما فيه؛ لأن الغضب على النبي (ﷺ) وهجره كبيرة عظمة؛ ولهذا قالت: لا أهجر إلاّ اسمك فدلّ على أن قلبها وحبها كما كان، وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة.
شرح مسلم للإمام النووي (١٦٥/١٥). طبعة دار الكتب العلمية

(٣) قال القاضي عياض: واستدل بعضهم بهذا على أن الاسم غير المسمى في المخلوقين، وأما في حق الله تعالى فالاسم هو المسمى.
وهذا كلام من لا تحقيق عنده من معنى المسألة لغة ولا نظرًا ولا شك عند القائلين بأن الاسم هو المسمى من أهل السنة وجماهير أئمة اللغة أو مخالفيهم من المعتزلة أن الاسم قد يقع أحيانًا والمراد به التسمية حين كان في خالق أو مخلوق ففي حق الخالق تسمية المخلوق له باسمه وفعل المخلوق ذلك بعباراته المخلوقة، وأما أسماؤه سبحانه وتعالى التي سمى بها نفسه فقديمة كما أن ذاته وصفاته قديمة.
شرح مسلم للنووي (١٦٥/١٥)

(٤) قال القاضي: فيه جواز اللعب بهن –أي بالبنات–وقال: وهن مخصوصات من الصور المنهي عنها لهذا
=

رسول الله (ﷺ) يُسرِّبهُنَّ إليَّ[(١)]".

ومنها أن رسول الله (ﷺ)كان يرضيه وُد عائشة. روى مسلم[(٢)] بسنده أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة، يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ[(٣)].

ومنها أن رسول الله ﷺ كان يحبها[(٤)].

ومنها أنه (عليه وآله الصلاة والسلام) أمر السيدة فاطمة (رضي الله تعالى عنها) بحبها. ومنها أنه (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) جعل من جملة فضائلها التي تقتضي تقديمها عن سائر زوجاته الطاهرات كونها بنت أبي بكر الصديق الأكبر (رضي الله عنه وعنهما). روى مسلم أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ فاطمة[(٥)] بنت رسول الله ﷺ

= الحديث، ولما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن.

قال: وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن، وروي عن مالك كراهة شرائهن، وهذا محمول على كراهة الاكتساب بها، وتنزيه ذوي المروءات عن تولي بيع ذلك لا كراهة اللعب.

(١) مسلم في صحيحه[٨١-(٢٤٤٠)]كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب في فضل عائشة (﵂).

(٢) أخرجه مسلم وسيأتي. وفي البخاري بأطول من ذلك، وسيأتي بلفظه، وكذلك أخرجه البخاري أيضًا في كتاب الهبة، باب قبول الهدية، وباب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض. والترمذي(٣٨٧٩)كتاب المناقب، باب فضل عائشة (﵂)، عن عائشة والنسائي في الكبرى في المناقب، باب فضل عائشة بنت أبي بكر الصديق حبيبة حبيب الله وحبيبة رسول الله ﷺ و(﵂) وعن أبيها عبد الله عثمان أبي بكر الصديق (﵁). وفي عشرة النساء: باب الغيرة. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه[٨٢-(٢٤٤١)]كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب فضل عائشة (﵂). وقد أخرجه البخاري بأطول من هذا. ففي صحيح البخاري (٣٧٧٥)كتاب فضائل أصحاب النبي (ﷺ)، ٣١-باب فضل عائشة (﵂) ولفظه:"كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، ونحن نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أوحيثما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال:"يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها ".

(٤) أخرج الترمذي في سننه(٣٨٨٨)٥٠-كتاب المناقب، باب فضل عائشة (﵂)، وفيه:"حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق عن عمرو بن غالب أن رجلاً نال من عائشة عند عمار بن ياسر فقال: اغرب مقبوحًا منبوحًا، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ".
وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٥) من فضائل فاطمة (﵂) ما رواه البخاري في صحيحه (٣٧٦٧) ٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي =

إلى رسول الله ﷺ، فاستأذنت عليه وهومضطجع معي في مرطي فأذن لها. فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة[١]، وأنا ساكتة. قالت: فقال لها رسول الله ﷺ:"أي بنية، ألست تحبين ما أحب؟". فقالت: بلى. قال:"فأحبي هذه". قالت: فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله ﷺ، فرجعت إلى أزواج النبي ﷺ فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال لها رسول الله ﷺ. فقلن لها: ما نراك أغنيت عنا من شيء. فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له: إن أزواجك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة[٢]. فقالت فاطمة: والله لا أكلمه فيها أبدًا. قالت عائشة: فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش[٣]، زوج النبي ﷺ، وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ولم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثًا، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به، وتقرب به إلى الله (تعالى). ماعدا سوْرة من حِدَّةٍ كانت فيها. تُسرع منها الفيئة[٤]. قالت: فاستأذنت على رسول الله ﷺ،

ﷺ، ٣٠-باب مناقب فاطمة (ﷺ)، عن المسور بن مخرمة (ﷺ) أن رسول الله ﷺ قال:"فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني".

(١) قال النووي: قولها"يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة" معناه يسألنك التسوية بينهن في محبة القلب، وكان ﷺ يسوى بينهن في الأفعال والمبيت ونحوه، وأما محبة القلب فكان يحب عائشة أكثر منهن، وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها، ولا يلزمه التسوية فيها؛ لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله ﷻ وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال.
انظر شرح مسلم للنووي (١٥/١٦٧).

(٢) ينشدنك: أي يسألنك. وقد اختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء في أنه ﷺ هل كان يلزمه القسم بينهن في الدوام والمساواة في ذلك كما يلزم غيره أم لا يلزمه، بل يفعل ما يشاء من إيثار وحرمان، فالمراد بالحديث طلب المساواة في محبة القلب لا العدل في الأفعال، فإنه كان حاصلاً قطعًا، ولهذا كان يطاف به ﷺ في مرضه عليهن حتى ضعف فاستأذنهن في أن يُمرض في بيت عائشة (ﷺ) فأذِنَّ له.
شرح مسلم للنووي (١٥/١٦٧).

(٣) زينب بنت جحش بن رئاب الأسديّ، أم المؤمنين أخت أبي أحمد وحمنة، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، تزوجها النبي ﷺ سنة أربع وهو أصح، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة قال الله تعالى:﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾،فكانت زينب تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهليكن، وزوجني الله من فوق عرشه. وكانت ديّنة ورعة كثيرة البر والصدقة، وكانت أول نسائه لحوقًا به، فصلى عليها عمر ﷺ، توفيت سنة عشرين، وقال خليفة وحده: توفيت سنة إحدى وعشرين.
تاريخ الإسلام حوادث سنة (٢٠).

(٤) قال النووي: قولها:"ماعدا سورة من حد كانت تسرع منها الفيئة" هكذا هو في معظم النسخ سَورة من

ورسول الله ﷺ مع عائشة في مرطها[١] على الحالة التي دخلت فاطمة عليها وهو بها. فأذن لها رسول الله ﷺ. فقالت: يا رسول الله، إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة. قالت: ثم وقعت بي، فاستطالت عليَّ. وأنا أراقب رسول الله ﷺ، وأراقب طرفه، هل يأذن لي فيها. قالت:فلم تبرح زينب[٢] حتى عرفتُ أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر. قالت: فلما وقعت بها لم أنشبها حين أنحيت عليها[٣]. قالت: فقال رسول الله ﷺ وتبسم:"إنها ابنة أبي بكر". ومنها أن رسول الله ﷺ قبضه الله بين سحرها ونحرها. روى مسلم[٤] عن عائشة قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول:"أين أنا اليوم؟، أين أنا غدًا؟" استبطاءً ليوم عائشة.

حد بفتح الحاء بلا هاء وفي بعضها من حدة بكسر الحاء وبالهاء. وقولها:"سورة" هي بسين مهملة مفتوحة، ثم واو ساكنة، ثم راء، ثم تاء، والسوْرة الثوران وعجلة الغضب. وأما الحدة فهي شدة الخلق وثورانه، ومعنى الكلام أنها كاملة الأوصاف إلاَّ أن فيها شدة خلق وسرعة غضب تسرع منها الفَيْئَة بفتح الفاء وبالهمزة، وهي الرجوع أي إذا وقع ذلك منها رجعت عنه سريعًا ولا تصر عليه.

النووي في شرح مسلم (١٥/١٦٧).

(١) المرط: كساء من خزٍّ أو صوف أوكتان يؤتزر به وتتلفع به المرأة، وجمعها: مروط.

(٢) قال الواقدي: حدثني عمر بن عثمان الجحشي عن أبيه قال: تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لهلال ذي القعدة سنة خمس، وهي بنت خمس وثلاثين سنة، قال: وكانت امرأةً صالحةً صوّامةً قوّامةً صناعًا تتصدق بذلك كله على المساكين.

انظر تاريخ الإسلام. حوادث سنة (٢٠).

(٣) قال النووي: أما أنحيت فبالنون المهملة، أي: قصدها واعتمادها بالمعارضة، وفي بعض النسخ حتى بدل حين وكلاهما صحيح، ورجح القاضي "حين" بالنون، ومعنى لم أنشبها: لم أمهلها، وفي الرواية الثانية: لم أنشبها أن أثخنتها عليه بالعين المهملة وبالياء، وفي بعض النسخ بالغين المعجمة وأثخنتها بالثاء المثلثة والخاء المعجمة، أي: قمعتها وقهرتها، وقولها أولاً ثم وقعت بي أي استطالت عليّ ونالت مني بالوقيعة فيَّ. اعلم أنه ليس فيه دليل على أن النبي ﷺ أذن لعائشة، ولا أشار بعينه ولا غيرها، بل لا يحل اعتقاد ذلك فإنه ﷺ تحرم عليه خائنة الأعين، وإنما فيه أنها انتصرت لنفسها فلم ينهها، وأما قوله ﷺ:"إنها ابنة أبي بكر". فمعناه الإشارة إلى كمال فهمها وحسن نظرها، والله أعلم.

شرح مسلم للنووي (١٥/١٦٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٨٤_(٢٤٤٣)]كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب في فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها)، عن عائشة قالت... الحديث. وقال النووي: قولها:"قبضه الله بين سحري ونحري". السَّحر: بفتح السين المهملة وضمها وإسكان الحاء وهي الرئة، وما تعلق بها. قال القاضي: وقيل: إنما هو شجري بالشين المعجمة والجيم، وشبك هذا القائل أصابعه، وأومأ إلى أنها ضمته إلى نحرها مشبكة يديها عليه، والصواب المعروف هو الأول.

شرح مسلم للإمام النووي (١٥/١٦٨).

قالت:"فلما كان يومي[١] قبضه الله بين سحري ونحري".

ومنها أنها كانت تعظم رسول الله ﷺ، وتعرف شأنه وتقدره قدره، روى مسلم عن القاسم بن محمد[٢] عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة[٣] على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعًا. وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل، سار مع عائشة يتحدث معها. فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك[٤]، فتنظرين وأنظر؟ قالت: بلى. فركبت عائشة على بعير حفصة. وركبت حفصة على بعير عائشة. فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم ثم سار معها، حتى نزلوا، فافتقدته عائشة فغارت. فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخر[٥]. وتقول:"يا رب، سلط عليَّ عقربًا أوحية تلدغني. رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئًا[٦]". ومنها: أن رسول الله

---

(١) قوله:"فلما كان يومي قبضه الله" أي: يومها الأصيل بحساب الدور والقسم، وإلاّ كان قضى جميع الأيام في بيتها.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، الفقيه أحد الأعلام، ولد في خلافة عثمان ﵁، وكان خيرًا من أبيه بكثير، نشأ بعد قتل أبيه في حجر عمته أم المؤمنين (﵂)، فسمع منها، ومن ابن عباس، وابن عمر، ومعاوية، وصالح بن خوات، وفاطمة بنت قيس وطائفة.
وقال ابن عيينه: أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم، وعروة، وعمرة. وقال علي بن المديني: حدثنا سفيان عن عبد الرحمن بن القاسم. وكان أفضل أهل زمانه– أنه سمع أباه –وكان أفضل أهل زمانه فذكر حديثه، وكان فقيهًا إمامًا مجتهدًا ورعًا عابدًا ثقةً حجةً، توفي سنة (١٠٦،١٠٧،١٠٨).
تاريخ الإسلام وفيات(١٠١_١١٠).

(٣) أي: خرجت القرعة لهما، ففيه صحة الإقراع في القسم بين الزوجات، وفي الأموال وفي العتق ونحو ذلك مما هومقرر في كتب الفقه مما في معنى هذا، وبإثبات القرعة في هذه الأشياء قال القاضي وجماهير العلماء: وفيه أنَّ مَن أراد سفرًا ببعض نسائه أقرع بينهن كذلك، وهذا الإقراع عندنا واجب في حق غير النبي ﷺ فمن قال بوجوب القسم يجعل إقراعه واجبًا، ومَن لم يوجبه يقول: إقراعه ﷺ من حسن عشرته ومكارم أخلاقه.
النووي في شرح مسلم (١٥/١٧٠).

(٤) قال القاضي: قال المهلب: هذا دليل على أن القسم لم يكن واجبًا عليه ﷺ، فلهذا تحيلت حفصة على عائشة بما فعلت، ولوكان واجبًا لحرم ذلك على حفصة. وهذا الذي ادعاه ليس بلازم، فإن القائل بأن القسم واجب عليه لا يمنع حديث الأخرى في غير وقت عماد القسم. قال أصحابنا: يجوز أن يدخل في غير وقت عماد القسم إلى غير صاحبه النوبة، فيأخذ المتاع أويضعة أو نحوه من الحاجات، وله أن يقبلها ويلمسها من غير إطالة، وعماد القسم في حق المسافر هو وقت النزول، فحالة السير ليست منه سواء كان ليلاً أو نهارًا.
المرجع السابق (١٥/١٧٠).

(٥) هذا الذي فعلته وقالته حملها عليه فرط الغيرة على رسول الله ﷺ. وقد سبق أن أمر الغيرة معفو عنه. انظر ما نقلناه عن النووي في شرح مسلم (١٥/١٦٥) طبعة دار الكتب العلمية.

(٦) أخرجه مسلم [٨٨_(٢٤٤٥)] كتاب فضائل الصحابة. ١٣-باب في فضل عائشة (﵂) عن عائشة.

ﷺكان يسامرها وتسامره.

ومنها: أنه ﷺ قال لها(*):"كنت لك كأبي زرع لأم زرع"[(١)]

(*) حديث أم زرع رواه مسلم في صحيحه[٩٢-(٢٤٤٨)]كتاب فضائل الصحابة، ١٤-باب ذكر حديث أم زرع، عن عائشة أنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئًا.

- قالت الأولى:زوجي لحم جمل غث.(غث: المراد بالغث المهزول، على رأس جبل وعر معناه أنه قليل الخير، وقال الخطابي: أي يترفع ويتكبر)، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل.

- قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره(لا أبث خبره: أي لا أنشره وأشيعه، إني أخاف أن لا أذره، قال الخطابي: أرادت بهما عيوبه الباطنة وأسراره الكامنة).

- قالت الثالثة: زوجي العشنق إن أنطف، وإن أسكت أعلق(قال النووي: العشنق: معناه ليس فيه أكثر من طول بلا نفع، فإن ذكرت عيوبه طلقني وإن سكت عنها علقني فتركني لا عزباء ولا مزوجة).

- قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حد ولا قد، ولا مخافة ولا سآمة(هذا مدح بليغ ومعناه ليس فيه أذى بل هو راحة ولذاذة عبس كليل تهامة لذيذ معتدل ليس فيه حر ولا برد ولا أخاف له غائلة لكرم أخلاقه ولا يسأمني ولا يمل صحبتي).

- قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد(هذا أيضاً مدح بليغ).

- قالت السادسة: زوجي إن أكل ألف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف، ليعلم البث(قال العلماء: اللف في الطعام الإكثار منه مع التخليط من صنوفه حتى لا يبقى منها شيئاً، والاشتفاف في الشرب أن يستوعب جميع ما في الإناء مأخوذ من الشُفافة وهي ما بقى في الإناء من الشراب، فإذا شربها قيل اشتفها واشتافها، وقال الهروي قال ابن العرابي هذا ذم له أرادت، وإن اضطجع. ورقد التف في ثيابه في ناحية ولم يضاجعني ليعلم ما عندي من محبته. مثل ما تقدم في شرح مسلم للنووي(١٥/١٧٢-١٧٤).

- قالت السابعة: زوجي غيياء أو عيياء طبقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك، أو جمع كلا لك (غياياء أو عياياء: وأنكر أبوعبيدة وغيره المعجمة، وقالوا: الصواب المهملة: وهوالذي لا يلقح، وقيل: هوالعنين الذي تعييه مباضعة النساء ويعجز عنها. وقال القاضي وغيره: غياياء بالمعجمة صحيح، وهو مأخوذ من الغياية وهي الظلمة، وأما طباقاء فمعناه المطبقة عليه أموره حمقًا. وقيل: الذي يعجز عن الكلام فتنطبق شفتاه. وقيل: هو العيى الأحمق الفدم. وشجك: أي: جرحك، والفلك: الفل الكسر، ومعناه: أنها معه بين شج رأس وضرب وكسر عضو أو جمع بينهما، وقيل: المراد بالفل هنا الخصومة. وقولها كل داء له داء: أي جميع أدواء الناس مجتمعة فيه. المرجع السابق (١٥/١٧٥).

- قالت الثامنة: زوجي الريح ريح زرنب، والمس مس أرنب(الزرنب: نوع من الطيب معروف، قيل: أرادت طيب ريح جسده، وقيل: طيب ثيابه في الناس، وقيل: لين خلقه وحسن عشرته، والمس مس أرنب: صريح في لين الجانب وكرم الخلق).

- قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد عظيم الرماد، قريب البيت من النادى(قال العلماء: معنى رفيع العماد وصفه بالشرف وسناء الذكر، وأصل العماد عماد البيت، وقيل: إن بيته الذي يسكنه رفيع العماد؛ ليراه الضيفان وأصحاب الحوائج فيقصدوه، وهكذا بيوت الأجواد. وطويل النجاد: تصفه بطول القامة، والنجاد حمائل السيف، فالطويل يحتاج إلى طول حمائل سيفه، وعظيم الرماد تصفه بالجود =

وكثرة ضيوفه فيكثر رماد وقوده. وقريب البيت من النادي؛ ولأن أصحاب النادي يأخذون ما يحتاجون إليه في مجلسهم من بيت قريب من النادي، واللئام يتباعدون من النادي. المرجع السابق (١٥/١٧٦).

- قالت العاشرة: زوجي مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح، إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك (معناه أن له إبلاً كثيرة فهي باركة بفنائه لا يوجهها تسرح إلا قليلاً قدر الضرورة ومعظم أوقاتها تكون باركة بفنائه، فإذا نزل به الضيفان كانت الإبل حاضرةً فيقريهم من ألبانها ولحومها، والمزهر بكسر الميم العود الذي يضرب، أرادت أن زوجها عوّد إبله إذا نزل به الضيفان نحر لهم منها، وأتاهم بالعيدان والمعازف والشراب، فإذا سمعت الإبل صوت المزهر علمن أنه قد جاءه الضيفان، وأنهن منحورات هوالك، هذا تفسير أبي عبيدة والجمهور. المرجع السابق (١٥/١٧٦)).

- قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، فما أبو زرع؟ أناس حُليّ، وملأ من شحم عضدي، وبجحني فبجحت إليّ نفسي (معناه حلاني قرط وشنوفًا فهي تنوس أي: تتحرك لكثرتها).

قال العلماء: معناه أسمنني، وملأ بدني شحمًا ولم ترد اختصاص العضدين لكن إذا سمنتا سمن غيرهما.

قال الجوهري: معناه فرحني ففرحت، وقال ابن الأنباري: وعظمني فعظمت عند نفسي، يقال: فلان يتبجح بكذا أي: يتعظم ويفتخر. المرجع السابق (١٥/١٧٧)).

وجدني من أهل غنيمة بشقّ، فجعلني صهيل وأطيط، ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح (قولها في غنيمة: أي أهلها كانوا أصحاب غنم لا أصحاب خيل وإبل؛ لأن الصهيل أصوات الخيل والأطيط أصوات الإبل، والعرب لا تعتد بأصحاب الغنم، وإنما يعتدون بأهل الخيل والإبل. وأما قولها: بشق يعني بشق جبل لقلتهم وقلة غنمهم وشق الجبل ناحيته.

وقال القبتيني: ويقطونه بشق بالكسر أي: بشظف من العيش وجهد، قال القاضي عياض: هذا عندي أرجح واختاره أيضًا غيره. المرجع السابق (١٥/١٧٧)).

أم أبى زرع فما أم أبى زرع؟ عكومها رادح(عكومها رداح: العكوم الأعدال والأوعية التي فيها الطعام والأمتعة، ورداح: أي عظام كبيرة. المرجع السابق)، وبيتها فساح

ابن أبي زرع، فما ابن أبي زرع؟ مضجعه كمثل شطبة(مرادها أنه مهفهف خفيف اللحم كالشطبة وهو مما يمدح به الرجل والمسل هنا مصدر بمعنى المسلول أي: ما سلّ من قشره، وقال ابن الأعرابي وغيره: أرادت بقولها كمسل شطبة أنه كالسيف سلّ من غمده)، ويشبعه ذراع الجفرة(ذراع الجفرة: الجفرة هي الأنثى من أولاد المعز وقيل من الضأن وهي ما بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها، والمراد أنه قليل الأكل والعرب تمدح به)، بنت أبي زرع، فما بنت أبي زرع؟ طوع أبيها وطوع أمها، وملء كسائها وغيظ جارتها(ملء كسائها: أي ممتلئة الجسم سمينة. وغيظ جارتها: المراد بجارتها ضرتها يغيظها ما ترى من حسنها وعفتها وأدبها. المرجع السابق (١٥/١٧٨،١٧٩))، جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع؟ لا تبث حديثاً تبثيثاً، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ملأ بيتنا تعشيشاً(لا تبث حديثنا تبثيثًا: أي لا تشيعه وتظهره، بل تكتم سرنا وحديثنا كله. وقولها:"ولا تنقث ميرتنا تنقيثًا: الميرة الطعام المجلوب،

روى مسلم حديث أم زرع. ثم قال في آخره، قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع".ومنها: أنها حوارية النساء.

ومعناه لا تفسده ولا تفرقه ولا تذهب به ومعناه وصفها بالأمانة. وقولها:"ولا تملأ بيتنا تعشيشًا": أي: لا تترك الكناسة والقمامة فيه مفرقة كعش الطائر، بل هي مصلحة للبيت معتنية بتنظيفه، وقيل: معناه لا تخوننا في طعامنا في زوايا المنزل كأعشاش الطير).

قالت خرج أبو زرع والأوطاب تمخض (الأوطاب تمخض: هي جمع وطب، وهي سقية اللبن التي يمخض فيها، وقال أبو عبيد: هو جمع وطبة)، فلقى إمرأة معها ولدات لها كالفهدين. يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها. فنكحت بعده رجلاً سرياً، ركب شرياً، وأخذ خطيًا، وأراح عليّ نعماً ثرياً("يلعبان من تحت خصرها برمانتين": قال أبو عبيد: معناه أنها ذات كفل عظيم، فإذا استلقت على قفاها تنأ الكفل بها من الأرض حتى تصير تحتها فجوة يجرى فيها الرمان، قال القاضي قال بعضهم: المقصود بالرمانتين هنا ثدياها، أي: لها نهدين حسنين صغيرين كالرمانتين. وقولها:"فنكحت بعده رجلاً سريًا ركب شريًا" أي: سيدًا شريفًا، وقيل: سخيًا. والشري: هو الفرس الذي يستشري في سيره أي يلج ويمضي بلا فتور ولا انكسار. وقولها: أخذ خطيًا: الخطي الرمح منسوب إلى الخط قرية من سيف البحر تحمل الرماح إلى هذا الموضع وتثقف فيه. وقولها: وراح عليّ نعمًا ثريًا: النعم الإبل والبقر والغنم، والثري الكثير من المال وغيره. شرح مسلم للإمام النووي (١٥/١٨١)).

وأعطاني من كل رائحة زوجاً (قولها: وأعطاني من كل رائحة زوجًا: أي مما يروح من الإبل والبقر والغنم والعبيد. وقولها: زوجًا أي اثنين، ويحتمل أنها أرادت صنفًا، والزوج يقع على الصنف. ومنه قوله تعالى:﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾). قال: كلي أم زرع وميرى أهلك (وقولها:"ميري أهلك" بكسر الميم من الميرة أي: اعطيهم وأفضلي عليهم وصليهم. المرجع السابق). فلو جمعت كل شئ أعطاني ما بلغ أصغرانيه أبي زرع.

قالت عائشة: قال لي رسول الله ﷺ :" كنت لك كأبي زرع لأم زرع "وقوله ﷺ لعائشة (رضي الله عنها):"كنت لك كأبي زرع لأم زرع". قال العلماء هو تطييب لنفسها، وإيضاح لحسن عشرته إياها، ومعناه: أنا لك كأبي زرع، و"كان" زائدة أوللدوام كقوله تعالى﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: كان فيما مضى، وهو باق كذلك والله أعلم.

قال العلماء: وفي حديث أم زرع فوائد: منها: استحباب حسن المعاشرة للأهل وجواز الإخبار عن الأمم الخالية. ومنها: أن كنايات الطلاق لا تقع إلا بالنية؛ لأن النبي ﷺ قال لعائشة: كنت لك كأبي زرع لأم زرع، ومن جملة أفعال أبي زرع أنه طلق امرأته أم زرع، ولم يقع على النبي ﷺ طلاق بتشبيهه لكونه لم ينو الطلاق، وإلى غير ذلك من الفوائد. انظر شرح مسلم للإمام النووي(١٥/ ١٨٢). (طبعة دار الكتب العلمية).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه وقد ذكرناه بلفظه وشرح النووي له.

روى السيوطي عن ابن عساكر عن يزيد بن أبي حبيب[1] أن رسول الله ﷺ قال:"للرجال حواري، وللنساء حوارية، فحواريّ الرجال الزبير[2]، وحوارية النساء عائشة".

ومنها: أنها زوجته في الجنة. روى السيوطي عن ابن سعد، عن مسلم البطين أن النبي ﷺ قال:"عائشة زوجتي في الجنة"[3].

ومنها: أن رسول الله ﷺ كان يصالحها إذا غضبت. روى السيوطي عن ابن السني أن رسول الله ﷺ كان إذا غضبت عائشة[4] عرك أنفها، وقال: يا عويش، قولي اللهم رب محمد،

---

(١) يزيد بن أبي حبيب، أبورجاء، أبوعبد الرحمن أبو عثمان، الأزدي، مولاهم المصري، سويد، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، وكان ثقة فقيه، وكان يرسل، توفي سنة(١٢٨)وقد قارب الثمانين. ترجمته: تهذيب التهذيب (٣١٨/١١)، تقريب التهذيب (٣٦٣/٢)، الكاشف (٢٧٥/٣)، تاريخ البخاري الكبير (٣٢٤/٨)، التاريخ الصغير للبخاري (١٠/٢)، الجرح والتعديل (١١٢٢/٩)، الثقات (٥/ ٥٤٦)، نسيم الرياض (٣٩١/٣)، المعين (٤٤٥)، التمهيد (٥٤/١)، تراجم الأحبار (٢٤٣/٤)، سير الأعلام (٣١/٦)، معرفة الثقات (٢٠١٠).

(٢) روى الترمذي (٣٧٤٤) في المناقب، باب مناقب الزبير بن العوام ﷺ، عن على (ﷺ) قال: قال رسول الله ﷺ:"إن لكل نبي حواريًا، وإن حواريَّ الزبير بن العوام".
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (٧١٠٠) كتاب الفتن ١٨-باب"الذي يلي باب الفتنة التي تموج كموج البحر" عن أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي قال: لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث عليٌّ عمار بن ياسر وحسن بن عليّ، فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمار أسفل من الحسن، فاجتمعا إليه فسمعت عمارًا: يقول:"إن عائشة قد سارت إلى البصرة: ووالله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة...الحديث".
وأخرجه الترمذي في جامعه الصحيح (السنن) (٣٨٨٩) كتاب المناقب وباب فضل عائشة (ﷺ)، عن عبد الله بن زياد الأسدي قال: سمعت عمار بن ياسر يقول:"هي زوجته في الدنيا والآخرة".يعني عائشة (ﷺ).وقال الترمذي:حديث حسن، وفي الباب عن علي.

(٤) أخرج البخاري في صحيحه (٦١١٥)، ومسلم في صحيحه[١١٠-(٢٦١٠)] في البر والصلة، وأبوداود (٤٧٨١)، والنسائي (٣٩٣) في اليوم والليلة، كلهم عن سليمان بن صرد قال: استب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"، فقام إلى الرجل رجلٌ ممن سمع النبي ﷺ آنفا، قال:"إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال له الرجل:"أمجنونًا تراني".واللفظ لمسلم.

اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن". (*)

ومنها: أن رسول الله ﷺ كان يحب أن تنتصر. روى السيوطي عن ابن ماجة(١) أن النبي ﷺ قال لها:"دونك فانتصري". أي: خذي حقك يا عائشة(٢).

ومنها: أن النبي ﷺ أمرنا أن نأخذ عنها شطر ديننا. روى الشبرخيتي عن رسول الله ﷺ أنه قال:"خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء"(٣).

وحميراء: تصغير حمراء. وقد نقل أن بعض المتمشيخين المتصدرين للتدريس بغير حق، فسر هذا اللفظ بغير معناه، وقال: أرادِ النبي ﷺ كان يمزح. ولكن لا يقول إلا حقًا. كقوله ﷺ:"لا تدخل الجنة عجوز"(٤).

ومنها: أنها كانت كثيرة العلم، وأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ما أُشكل عليهم حديث قط وسألوها عنه، إلا وجدوا عندها منه علمًا. روى الشبرخيتي عن أبي موسى أنه قال:"ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا"(٥).

(*) أخرجه الزبيدى في الإتحاف (١٠٤/٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١٧٠/٣)، والهندي في كنز العمال (١٨٤٠٩).

(١) ابن ماجة هو محمد بن يزيد، أبوعبد الله الربعي القزويني، ابن ماجة صاحب السنن، أحد الأئمة، حافظ، صنف السنن والتفسير والتاريخ، وُلد سنة (٢٠٧)، ولم يخرج له أحد من التسعة، وتوفي سنة (٢٧٣،٢٧٥،٢٨٣).

ترجمته: تهذيب التهذيب(٥٣٠/٩)، تقريب التهذيب(٢٢٠/٢)، الكاشف(١١٠/٣)، طبقات الحفاظ (٢٧٨)، معجم طبقات الحفاظ(١٧١)، الوافي بالوفيات(٢٢٠/٥)، تذكرة الحفاظ(٣٠٩/٣)، سير أعلام النبلاء(٢٧٧/١٣)، معجم المؤلفين(١١٥/١٢،١١٦).

(٢) قال النووي في قولها:"ثم وقعت بي فاستطالت عليّ، وأنا أرقب رسول الله ﷺ وأرقب طرفه هل يأذن لي فيها، فلم تبرح زينب حتى عرفتُ أن رسول الله ﷺ لا يكره أن أنتصر، فلما وقعت بها، لم أنشبها حين أنحيت عليها" اعلم أنه ليس فيه دليل على أن النبي ﷺ أذن لعائشة ولا أشار بعينيه ولا غيرها، بل لا يحل اعتقاد ذلك، فإنه ﷺ تحرم عليه خائنة الأعين، وإنما فيه أنها انتصرت لنفسها فلم ينهها، وأما قوله ﷺ:"إنها ابنة أبي بكر"فمعناه الإشارة إلى كمال فهمها وحسن نظرها والله أعلم. شرح مسلم للنووي (١٦٨/١٥).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أخرجه الزبيدى في إتحاف السادة المتقين (٤٩٩/٧). والعراقى في المغني (١٢٥/٣)، وانظر أخلاق النبوة (٨٦).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٨٨٣)كتاب المناقب، باب فضل عائشة، وقال الترمذي: حسن صحيح، وذكر

وعن مسروق(*) قال يحلف بالله: لقد رأينا الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ يسألون عائشة عن الفرائض(١). وقال الزهري: لوجُمع علم عائشة إلى جميع أزواج النبي ﷺ وجميع النساء كان علم عائشة أكثر.

ومنها: أنها كانت صاحبة كرم وزهد(٢). قال الشبرخيتي قال عطاء: بعث لها معاوية بطوق من ذهب فيه جوهر، قيمته مائة ألف. وقال غيره: دينار فقسمته بين أزواج النبي (ﷺ).

وعن أم ذرة(٣) وكانت تغشى(٤) عائشة أنه بعث إليها عبد الله بن الزبير بمال في غرارتين(٥). قالت: أراه ثمانين أو مائة ألف، فدعت بطبق وهي يومئذ صائمة، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: يا جارية هلمي

هذا الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات(٥١ـ٦٠): وقال أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه قال: ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا". وقال مسروق: رأيت مشايخة الصحابة يسألونها عن الفرائض. وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة. وقال الزهري: لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

(*) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية عبد الله، أبو عائشة، الهمداني الوداعي، الكوفي، العابد، الفقيه، ثقة، عابد، أخرج له أصحاب الكتب الستة، مخضرم، توفي سنة (٦٢،٦٣).
ترجمته: تهذيب التهذيب(١٠/١١٠)، تقريب التهذيب (٥/٢٤٢)، الكاشف (٣/٤٣٦)، التاريخ الكبير للبخاري (٨/٣٥)، التاريخ الصغير للبخاري (١/٨٩،١٢٣)، الجرح والتعديل (٨/١٨٢٠)، الحلية (٢/٩٥)، نسيم الرياض (٣/٤)، سير الأعلام (٤/٦٣)، الثقات (٥/٤٥٦)، معرفة الثقات (١٧٠٩)، طبقات الحفاظ (١٤).

(١) انظر ما تقدم قبل هذا.

(٢) قال الذهبي بسنده عن عروة: رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألفًا، وإنها لترقع جانب درعها. وعن مصعب بن سعد قال: فرض عمر لأمهات المؤمنين عشرة الآف، وزاد عائشة ألفين، وقال: إنها حبيبة رسول الله ﷺ.

تاريخ الإسلام للذهبي وفيات (٥١-٦٠)

(٣) أم ذرة المدنية مولاة عائشة، مقبولة أخرج لها أبوداود. ترجمتها: تهذيب التهذيب (١٢/٤٦٧) رقم (٢٩٤٤).

(٤) غشى المكان: أتاه.

(٥) أخرجه ابن سعد في طبقاته (٨/٦٦-٦٧) وابن كثير في جامع المسانيد في مسند عائشة (٣٤/٢٥) المقدمة.

بفطرى. فجاءتها بخبز وزيت. فقالت[1] لها أم ذرة: ما استطعت مما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه. فقالت:"لا تعنفيني، لو كنت أذكرتني لفعلت". وأمثال ذلك كثيرة.

ومنها: أنها كانت كثيرة الخوف من الله تعالى. روى غير واحد أنها نذرت أن لا تكلم عبد الله بن الزبير، فشفع فيه عندها المسور بن مخرمة[2]، وعبد الرحمن بن الأسود، فطفقا يناشدانها إلاّ ما كلمته ويقولان: إن النبي ﷺ نهى عما قد علمت من التهاجر. "وأنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال[3]". فطفقت عائشة تبكي وتقول: إني نذرت، والنذر شديد". فلم يزالا بها حتى كلمته. واعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة[4]. وكانت تذكر

---

(١) ذكر الذهبي في تاريخ الاسلام فقال: أبو معاوية ثنا هشام بن عروة، عن ابن المنكدر عن أم ذرة قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين، يكون مائة ألف فدعت بطبق فجعلت تقسم في الناس، فلما أمست قالت: يا جارية هاتي فطري، فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين أما استطعت أن تشتري بدرهم لحمًا مما أنفقت. فقالت: لاتعنفيني لو ذكرتيني لفعلت.
تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٦٠).

(٢) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ﵁، أبو عبد الرحمن، الزهري، القرشي، له ولأبيه صحبة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.
ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/١٥١)، تقريب التهذيب (٢/٢٤٩)، الكاشف (٣/١٤٥)، تاريخ البخاري الكبير (٧/٤١٠)، تاريخ البخاري الصغير (١/٢١٤)، الثقات (٣/٣٩٤)، أسد الغابة (٥/ ١٧٥)، الأعلام (٧/٢٢٥)، شذرات الذهب (١/٧٢)، تجريد أسماء الصحابة (٢/٧٧)، طبقات الحفاظ (٤٥)، الاستيعاب (٣/١٣٩٩)، سير الأعلام (٣/٣٦٠)، العبر (١/٧٠،٤)، طبقات ابن سعد (٢/٣٨٣)، أسماء الصحابة الرواة (١٢٤).

(٣) أخرج مسلم في صحيحه [٢٥-(٢٥٦٠)] كتاب البر والصلة والآداب، ٨ـ باب تحريم الهجر فوق ثلاث ليال، بلا عذر شرعي، عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال:"لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام".
قال النووي: قال العلماء في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال، وإباحتها في الثلاث الأول: بنص الحديث، والثاني: بمفهومه، قالوا: وإنما عفي عنها في الثلاث؛ لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحوذلك فعفي عن الهجرة في الثلاثة ليذهب ذلك العارض، وقيل: إن الحديث لا يقتضي إباحة الهجرة في الثلاثة، وهذا على مذهب مَن يقول لا يحتج بالمفهوم ودليل الخطاب.
شرح مسلم للنووي (١٦/٩٦) طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) روى مسلم في صحيحه [١٣-(١٦٤٥)]كتاب النذر ٥-باب في كفارة النذر، عن عقبة بن عامر، عن رسول الله (ﷺ) قال:"كفارة النذر كفارة اليمن".

نذرها بعد ذلك، فتبكي[(١)]. وروى عن مسروق أنها إذا قرأت قوله تعالى:﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾، تبكي حتى يبتل خمارها[(*)].

ومنها أنها كانت تصوم الدهر.

روى الشبرخيتي، عن القاسم عن أبيه أنها كانت تصوم الدهر، ولا تفطر إلا يوم الأضحى، ويوم الفطر[(٢)].

ومنها: أنها كانت لا تأخذها في الله لومة لائم. روى الشبرخيتي: أنها كتبت لمعاوية رضي الله عنه أما بعد: فإن العبد إذا عمل بمعصية الله تعالى عاد حامدًا من الناس ذامًا (من الله)[(٣)].

ومنها: أنها كانت فصيحة اللسان بليغة البيان. روى البخاري ومسلم[(٤)] وغيرهما أن رسول الله ﷺ لما دخل عليها في بيت أبيها في قصة الإفك، وقال لها: أما بعد، يا عائشة فإن كنت بريئة فسيبرئك الله... إلى آخره[(٥)]... وقضى مقالته. قالت لأبيها رضي الله عنه: أجب رسول الله

=

وقال النووي: اختلف العلماء في المراد به فحمله جمهور أصحابنا على نذر اللجاج، وهوأن يقول إنسان يريد الامتناع من كلام زيد مثلاً إن كلمت زيدًا مثلاً فلله عليّ حجة أو غيرها فيكلمه، فهو بالخيار بين كفارة يمين وبين ما التزمه، هذا هو الصحيح في مذهبنا. وحمله مالك وكثيرون أو الأكثرون على النذر المطلق كقوله: عليّ نذر، وحمله أحمد وبعض أصحابنا على نذر المعصية كمن نذر أن يشرب الخمر. وحمله جماعة من فقهاء أصحاب الحديث على جميع أنواع النذر وقالوا: هو مخير في جميع النذورات بين الوفاء بما التزم وبين كفارة يمين، والله أعلم.

شرح مسلم للنووي (١١/٨٧).

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب الهجرة، رقم (٦٠٧٣،٦٠٧٤،٦٠٧٥).

(*) انظر تاريخ الإسلام للذهبي ترجمة عائشة (رضي الله عنها) وفيات سنة(٥١-٦٠).

(٢) في النهي عن صيام يومي الأضحى والفطر. روى البخاري في صحيحه (١٩٩٣)٣٠-كتاب الصوم ٦٧-باب الصوم يوم النحر، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:"ينهى عن صيامين وبيعتين: الفطر والنحر، والملامسة والمنابزة". وأخرج مسلم في صحيحه[٣٩-(١١٣٨)]كتاب الصيام ٢٢-باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى. عن أبي هريرة:"أن رسول الله ﷺ نهى عن صيام يومين يوم الأضحى ويوم الفطر".

(٣) غير موجودة بالأصل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه(٤٧٥٠) ٦٥-كتاب تفسير القرآن، ٥-باب قوله:﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...**﴾الآية.

ومسلم في صحيحه[٥٦-(٢٧٧٠)]كتاب التوبة، ١٠-باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف.

(٥) قوله ﷺ:"وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله". معناه: إن كنت فعلت ذنبًا، وليس ذلك لك بعادة، وهذا أصل اللمم.

=

ﷺ. وقال:ما أدري ما أقول[1]. وقالت لأمها مثل ذلك، فامتنعت واعتذرت أيضًا. قالت (رضي الله عنها)، وكان عمرها اثنتي عشرة سنة مع ما كان ملمًا بها من المرض والكرب الذي لا يطاق[2]، والحياء من رسول الله ﷺ، ومن أبويها (رضي الله تعالى عنهما) مجيبة عن نفسها: إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني. والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال:﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[3]

وروى ابن عبد ربه أنها قالت:"كل كرم دونه لؤم، فاللؤم أولى به، وكل لؤم دونه كرم، فالكرم أولى به".انتهى.

فانظر إلى هذا الكلام الذي هو من جوامع الكلم وقدره حق قدره.﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ ولا تنظر إلى غرض نفسك.

ومنها: وهي أفضل الفضائل: أنها أحب الناس لرسول الله ﷺ. روى البخاري ومسلم وغيرهما، واللفظ للبخاري عن عمرو بن العاص[4] أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات

النووي في شرح مسلم (٩٣/١٧)

(١) قال النووي: قولها لأبويها:"أجيبا عني"، فيه تفويض الكلام للكبار؛ لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه أبواها يعرفان أحلها، وأما قول أبويها لا ندري ما نقول فمعناه أن الأمر الذي سألها عنه لا يقفان منه على زائدة على ما عند رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي من حسن الظن بها والسرائر إلى الله تعالى. شرح مسلم للنووي (٩٣/١٧) طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) في دعاء الكرب والهم أخرج الحاكم في مستدركه (٥٠٩/١)، وابن حبان في صحيحه (٩٧٢) الإحسان، وأحمد في مسنده (٣٩١/١،٤٥٢)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:"ما قال عبد قط إذا أصابه هم أوحزن: اللهم إني عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أوعلمته أحدًا من خلقك، أو أستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه، وأبدل مكان حزنه فرحًا، قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟ قال:"أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن". واللفظ لابن حبان في صحيحه.

(٣) سورة يوسف(١٨).

(٤) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم (رضي الله عنه)، أبو عبد الله، أبو محمد السهمي، القرشي، صحابي شهير أسلم عام الحديبية، وهو الذي فتح مصر، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة نيف وأربعين.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٥٦/٨)، تقريب التهذيب (٧٢/٢)، الكاشف (٣٣٣/٢)، تاريخ البخاري

السلاسل[1] فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال:"عائشة". فقلت: من الرجال؟ فقال:"أبوها". فقلت: ثم مَن؟ قال: عمر بن الخطاب."فعدَّ رجالاً"[2].

أقول: لقد وقع لهذا الحديث قصة من الغرائب، فحق لها أن تذكر في جملة العجائب. وذلك أنه في سنة(...)[*] ومائتين والف أتى عالم من الشيعة العجم احتفل به الشيعة كثيرًا، فسأل عن العلماء وأهل البيت، فاصطحب معهم وزارهم وزاروه واسمه أبو القاسم، وكان يدعي الاجتهاد[3] والشرف، وأنه من أولاد سيدنا موسى الكاظم ﵇ ومن جملة مَن زارهم وزاروه والدي رحمه الله تعالى، وكنت معه فاستحسن أحوال والدي وأعجب به،

الكبير (٦/٣٠٣)، تاريخ البخاري الصغير (١/٤٣٧)، الجرح والتعديل (٦/٢٤٢)، الثقات (٣/ ٢٦٥)، الاستيعاب (٣/١١٨٤)، أسد الغابة (٤/٢٤٤)، تجريد أسماء الصحابة (١/٤١١)، الإصابة (٤/٦٥٠)، سير الأعلام (٣/٧٧)، البداية والنهاية (٨/٢٥)، أسماء الصحابة الرواة (٨٠).

(١) ذات السلاسل: هو بفتح السين الأولى وكسر الثانية، وهو ماء لبني جذام بناحية الشام، ومنهم من قال هو بضم السين الأولى، وكذا ذكره ابن الأثير في النهاية، والمشهور والمعروف فتحها، وكانت هذه الغزوة سنة (٨) من الهجرة.

وقوله:"أي الناس أحب إليك؟ قال عائشة...". وقال النووي: هذا تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة (﵃)، وفيه دلالة بيِّنة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر، ثم عمر على جميع الصحابة. شرح مسلم للنووي.

(٢) أخرج البخاري (٣٦٦٢)كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٤-باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ وأخرجه مسلم [٨-(٢٣٨٤)]كتاب فضائل أبي بكر الصديق ﵁، وفي رقم (٩-(٢٣٨٥)] عن ابن أبي مليكة سمعت عائشة، وسُئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قالت لها: ثم من بعد عمر؟ قالت: أبوعبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا.

(*) بياض بالأصل.

(٣) قال الشوكاني: ينبغي أن يعلم كل من له فهم أن دين الله واحد، وأن ما أحله فهو حلال لا يتغير عن صفته، وما حرمه فهو حرام لا يتغير. وإن قال قائل من أهل العلم فيما قد أحله بكتابه أوبسنة رسوله ﷺ أنه حرام فهو مخطىء مخالف لما شرعه الله لعباده، ولكن هذا القائل الذي بخلاف ما تقرر في الشريعة إن كان أهلاً للاجتهاد، وقد بحث كلية البحث فلم يجد فهو مخطىء مأجور كما في الحديث الصحيح الذي قدمنا ذكره أن للمجتهد مع الإصابة اجرين، وللمجتهد مع الخطأ أجرًا، وهوحديث متفق عليه، انظر البخاري (٧٣٥٢)، مسلم [١٥-(١٧١٦)] في (كتاب الأقضية) متلقى بالقبول، وإن كان غير أهل للاجتهاد، أو لم يبحث كما يجب عليه فهو مجازف في دين الله آثم بمخالفته لما شرعه الله لعباده. انظر كتاب قطر الولي على حديث الولي للشوكاني (ص١٥٨) من تحقيقنا- طبعة دار الكتب العلمية.

ثم بعد رجوعه من الحج ذهب للقدس، وبعد أن قفل منه زاره والدي رحمه الله تعالى ثم أخذ في الحديث[1].إلى أن آل بهما الحديث إلى ذكر السيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها)، وعن أبويها فغضب واكفهر وجهه. فقال له والدي رحمه الله تعالى: ورد أن رسول الله ﷺ قيل له: أي الناس أحب إليك؟[2] فقال:"عائشة". فقيل:من الرجال؟ فقال:" أبوها".

فقال أبو القاسم الشيعي[3] المذكور: لا، ورفع رأسه، وكان على رأسه عمامة كبيرة جدًا عظيمة بحيث لو كانت إناء لوسعت قلتي ماء فسقطت العمامة من فوق رأسه على الأرض، وكان جمع غفير حاضرًا فضحك الكل. وكان أكثرهم من الشيعة[4]. فألقم حجرًا، وأسكته الله تعالى وأبهته، فلم يفه بعدها بكلمة، وقمنا من ذلك المجلس، ولم نجتمع به بعد. وهذا من كرامات السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله تعالى عنها) وأرضاها. ومنها: أنها

---

(١) وقال الشوكاني أيضًا في المرجع السابق (ص١٦٤): قد قلتم (أي: المقلدة) ليس للناس إلا التقليد ولا سبيل لهم إلى غيره، وأن الاجتهاد قد انسد بابه وبطلت دعوى من يدعيه، وامتنع فضل الله على عباده وانقطعت حجته. وهذا مع كونه من الإفك البين قد اختلفت فيه أنظار هؤلاء المقلدة اختلافًا كثيرًا فقالت طائفة منهم ليس لأحد أن يجتهد بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر ومحمد بن الحسن، والحسن بن زياد، وإلى هذا ذهب غالب المقلدة من الحنفية، وقال بكر بن العلاء القشيري المالكي ليس لأحد أن يجتهد بعد المائتين من الهجرة، وقال آخرون: ليس لأحد أن يجتهد بعد الأوزاعي وسفيان الثوري ووكيع بن الجراح وعبد الله بن المبارك، وقال آخرون: ليس لأحد أن يجتهد بعد الشافعي.

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ:"لو كنت متخذًا خليلاً". وفي المغازي: باب غزوة ذات السلاسل وهي غزوة لخم وجذام، ومسلم في فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي بكر الصديق ﵁، والترمذي (٣٨٨٥) في كتاب المناقب، باب فضل عائشة(﵂)، وابن ماجة في المقدمة في فضائل عائشة، وأحمد بن حنبل في مسنده (١٣٠/٦)، وابن سعد في الطبقات (٦٧/٨).

(٣) أول فرقة من الشيعة أطلقوا عليها الشيعة العلوية، منهم المقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر، وهؤلاء كانوا منقطعين إليه ويقولون بإمامته، ويفرق المؤرخون بين هذا التشيع الذي ظهر مبكرًا، واشتد أثناء فتنة عثمان وخروج على لقتال طلحة والزبير وعائشة وبعد مقتل علي، واستفحل بعد مقتل الحسين، والتشيع الاصطلاحي الذي تطور وصار مذهبًا له أصوله وقواعده كالقول بوجوب الإمامة وعصمة الإمام والتقية. موسوعة الفرق والجماعات (ص٢٦٦).

(٤) جعل الشهرستاني الشيعة خمس فرق: هي الكيسانية- والزيدية- والإمامية- والغلاة- والإسماعيلية. وهم ثلاثة أصناف عند الأشعري: الشيعة الغالية وهم خمس عشرة فرقة. والشيعة الإمامية وهم الرافضة- وهم أربع وعشرون فرقة، والشيعة الزيدية وهم ست فرق. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص على الإمام، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقدًا، إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك. ولهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب. المرجع السابق (ص٢٦٦).

روي لها ألفا حديث وعشرة، وقيل: ألف وعشرة، وقيل: ألف حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث[١]. اتفق البخاري ومسلم منها على مائة وأربعة وسبعين. وانفرد البخاري بأربعة وسبعين، ومسلم بثمانية وستين.

ومنها: أنها كانت أحفظ الصحابة للحديث[٢]. وقد اعترف أعداؤها الشيعة بذلك أنفسهم. قال الأزدي[٣] عامله الله بما يستحق، وجازاه بما هو فيه أحق في قصيدته التي مطلعها:

لمن الشمس في قباق قباها شف جسم الدجى بروج حنياها

ما نصه:

حفظت أربعين ألف حديث من الذكر آية تنساها

ولله در حسن أفندي البزار الموصلي حيث أحسن في الرد على هذا البيت فقال:

خرجت[٤] نصرة لحق حثيث باجتهاد للمؤمنين مغيـــث
فبذا أراد قول جنب خبيـــث حفظت أربعين ألف حديث[١]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/٦٧)، وابن سعد في طبقاته (٨/٦٦) قال: أخبرنا أبو معاوية الضرير، حدثنا الأعمش عن مسلم، عن مسروق أنه قيل له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ فقال: إي، والذي نفسي بيده لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض". وأخرجه: ابن كثير في جامع الأسانيد (٣٤/٩).

(٢) في تفقهها في أمور الدين. روى البخاري في صحيحه (١/-٩٦-١٩٧-فتح) في العلم، باب من سمع شيئًا فراجع حتى يعرفه. ولفظه:"حدثنا سعيد بن أبي مريم قال: أخبرنا نافع بن عمر. قال: حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلاّ راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال:"من حوسب عذب". قالت عائشة فقلت:"أو ليس يقول الله تعالى:﴿ **فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ قالت: فقال:"إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك".

(٣) الأزدي هومحمد كاظم شاعر الشيعة وسيأتي.

(٤) يقصد خروجها في وقعة الجمل: وذلك لما خرج طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأم المؤمنين عائشة ومن تبعهم رأوا أنهم لا يخلصهم مما وقعوا فيه من توانيهم في نصرة عثمان، إلا أن يقوموا في الطلب بدمه، والأخذ بثأره ممن قتله، فساروا من المدينة بغير مشورة من أمير المؤمنين علي وطلبوا البصرة، وسار علي من المدينة والتقى هو وجيش طلحة والزبير، وكان على خيل علي يوم الجمل عمار وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر، وعلى الميمنة علباء ويقال: عبد الله بن جعفر، ويقال: الحسن بن علي. وعلى الميسرة الحسين بن علي، وعلى المقدمة عبد الله بن عباس، ثم كان ما كان من أمر الوقعة.

انظر تاريخ الإسلام حوادث سنة (٣٦).

ومن الذكر آية تنساها

حفظت أربعين ألف حديث	حسبها سؤددًا بذا وكفاها
تحفظ الذكر وبه تعمل	قربًا بالله ما أتقاها
ليت شعرى تبرجا خرجت أم	باجتهاد[٢] أدى إليه نهاها
فعلام لعنت تنشدها فيها	ومن الذكر آية تنساها

ثم الكلام على هذه القصيدة وتخميسها لأحد الشيعة أيضًا محتاج إلى إفراد جزء بالتأليف لها[٣].

فإذا أراد الله تعالى ويسر إتمام"كتاب التدقيق" الذي أشرت له في خطبة هذا الكتاب أرى حكم الله تعالى فيه. إذ ليس مجال هنا للكلام عليها. وإن كانت المناسبة متوفرة لكن أصون مؤلَّفي هذا عن أن أُدنسه بذلك. ولنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول: وللسيدة عائشة (رضي

---

(١) من فضائل عائشة أخرج ابن سعد في طبقاته(٨/٦٦-٦٧) قال: أخبرنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة قال:"رأيتها تصدق بسبعين ألفًا وإنها لترقع جانب درعها".

(٢) قال النووي في الخلاف بين الصحابة: وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول (رضي الله عنهم) ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحدًا منهم عن العدالة؛ لأنهم مجتهدون اختلفواْ في مسائل من محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم، واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم.

شرح مسلم للنووي (١٥/١٢١).

(٣) ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام قال: قال ابن عليَّة، عن أبي سفيان بن العلاء المازني، عن ابن أبي عتيق قال: قالت عائشة: إذا مر ابن عمر فأرونيه، فلما مرَّ قيل لها:هذا ابن عمر قالت: يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال: رأيت رجلاً قد غلب عليك وظننت أنك لا تخالفينه- يعني ابن الزبير -قالت: أما إنك لو نهيتني ما خرجت تعني مسيرها في فتنة يوم الجمل.

تاريخ الإسلام وفيات سنة (٥١-٦٠).

الله تعالى عنها) فضائل[1] كثيرة، اقتصرنا منها هنا على ما ذكرناه. ومن أراد زياده على ذلك فعليه بكتب الحديث والسير.

---

(١) من فضائل السيدة عائشة (﵂): أخرج البخاري في صحيحه تفسير سورة النور من حديث ابن أبي مليكة أن ابن عباس استأذن عليها وهي مغلوبة فقالت: أخشى أن يثني عليَّ، فقيل ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له ،فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت. قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ ولم يتزوج بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء، فلما جاء ابن الزبير. قالت: جاء ابن عباس وأثنى علي، وودت أني كنت نسيًا منسيًا.

الباب التاسع عشر
فيما كانت تفتخر به السيدة عائشة الصديقة

المبرأة أم المؤمنين، زوج وحبيبة حبيب رب العالمين ﷺ و(ﭬ)، وعن أبويها(١). روي عن السيدة عائشة (ﭬ) أنها كانت تقول مفتخرة على غيرها: لقد أعطيت تسعًا ما أعطيتهن امرأة، لقد نزل جبريل ﷵ بصورتي(٢) في راحته حين أمر رسول الله ﷺ بتزوجي. ولقد تزوجني بكرًا وما تزوج بكرًا غيري. ولقد تُوفي، وإن رأسه لفي حجري(٣). ولقد قُبر في بيتي. ولقد حفته الملائكة في بيتي. وإن الوحي لينزل عليه في أهله فيتفرقون عنه. وإن كان لينزل عليه وأنا في لحافه(٤)، وإني لابنة خليفته وصديقه. ولقد نزل عذري من السماء. ولقد

---

(١) أبواها هما أبو بكر الصديق ﭬ وأمها هي أم رومان زوج أبي بكر أم عائشة وعبد الرحمن، صحابية ويقال: اسمها زينب، وقيل: دعد، زعم الواقدي ومن بعده أنها ماتت في زمن النبي ﷺ، ونزل قبرها. والصحيح أنها عاشت بعده، ورواية مسروق عنها مصرَّح فيها بالسماع منها في صحيح البخاري، وليست بخطأ كما زعم بعضهم، والله أعلم. وقد أخرج لها البخاري.
انظر ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤٦٧/١٢) رقم الترجمة (٢٩٤٦)، وتقريب التهذيب (٦٢١/٢)، أسماء الصحابة الرواة (١٠٠٨).

(٢) روى مسلم في صحيحه [٧٩-(٢٤٣٨)]كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب في فضل عائشة ﭬ، عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ:"أُريتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في خرقة من حرير يقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه". وأخرجه أيضًا: الترمذي (٣٨٨٠)كتاب المناقب، باب فضل عائشة (ﭬ).وقال الترمذي:حديث حسن غريب.

(٣) روى مسلم في صحيحه [٨٤-(٢٤٤٣)] كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب في فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها)، عن عائشة قالت: إن رسول الله ﷺ ليتفقد يقول:"أين أنا اليوم؟ أين أنا غدًا؟ استبطاء ليوم عائشة قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري". قال النووي: السحر بفتح السين المهملة وضمها وإسكان الحاء وهي الرئة، وما تعلق بها. قال القاضي: وقيل إنما هوشجري بالشين المعجمة والجيم وشبك هذا القائل أصابعه، وأومأ إلى أنها ضمته إلى نحرها مشبكة يديها عليه، والصواب المعروف هو الأول.

(٤) أخرج البخاري في صحيحه (٣٧٧٥)كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣٠١-باب فضل عائشة (ﭬ)، عن عائشة وفي آخره:"يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها". وأخرجه أيضًا: الترمذي (٣٧٨٩)كتاب المناقب، باب فضل عائشة (ﭬ). والنسائي في الكبرى في المناقب، باب فضل عائشة بنت أبي بكر، وفي عشرة النساء، باب الغيرة.

خلقت طيبة عند طيب. ولقد وُعدت مغفرة ورزقًا كريمًا[*] وزاد الرازي عن القاسم بن محمد: وتزوجني في شوال، وبنى بي في ذلك الشهر[١]. وكنت أغتسل معه في إناء واحد[٢]. وأبواي مهاجران. وفي صحيح البخاري: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري[٣]. وخالط ريقي ريقه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة (ﷺ) وأرضاها[٤].

الباب العشرون
في ترجمة السيدة عائشة الصديقة المبرأة
(رضي الله تعالى عنها) وأرضاها

قال في أسد الغابة[٥]:عائشة بنت أبي بكر الصديق(رضى الله تعالى عنها) أم المؤمنين

(*) في قوله تعالى في سورة النور(٢٦): ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

(١) أخرج أحمد في مسنده(٦/٥٤،٢٠٦). قال:حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن إسماعيل بن أمية قال: حدثني عبد الله بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت:"تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وأدخلت عليه في شوال، فأي نسائه كان أحظى عنده مني، فكانت تستحب أن تدخل نساءها في شوال".

وأخرجه ابن كثير في جامع المسانيد والسنن (٣٤/٦)، وعزاه لأحمد في مسنده.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (٢٥٠) كتاب الغسل٢-باب غسل الرجل مع امرأته، عن عائشة قالت:"كنت أغتسل والنبي ﷺ من إناء واحد من قدح يقال له الفرق".

وفي رقم (٢٦١) في الغسل، باب هل يدخل الجنب يده في الإناء قبل أن يغسلها، عن عائشة قالت:"كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد تختلف أيدينا فيه".

(٣) أخرج البخاري(٤٤٤٩) في المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ومسلم [٨٤-٢٤٤٣]كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة (ﷺ).

(٤) أخرج البخاري في صحيحه(٤٤٤٩)كتاب المغازى، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، عن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتى وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ عبد الرحمن وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتد عليه، وقلت: أُليِّنه لك؟ فأشار برأسه أن نعم فلينته وبين يديه ركوة أوعلبة، يشك عمر (من رواة الحديث) فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه يقول:"لا إله إلا الله"،"إن للموت سكرات" ثم نصب يده فجعل يقول:"في الرفيق الأعلى". حتى قُبض ومالت يده.

(٥) انظر ترجمتها في: أسد الغابة (١٨٨/٧)، تهذيب التهذيب (٤٣٣/١٢)، التقريب (٦٠٦/٢)، أسماء =

زوج النبي ﷺ، وأشهد نسائه. وأمها أم رومان[1] ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس بن أذينة بن سبيع بن ذهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة الكنانية. تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنتين، وهي بِكر.

قال أبوعبيدة: وقيل بثلاث سنين.

وقال الزبير: تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة[2]،قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بأربع سنين، وقيل: بخمس سنين، وكان عمرها لما تزوجها رسول الله (ﷺ) ست سنين[3]وقيل سبع سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين بالمدينة. وكان جبريل قد عرض على رسول الله ﷺ صورتها في سرقة حرير في المنام لما توفيت خديجة. وكنَّاها رسول الله ﷺ أم عبد الله بابن أختها عبد الله بن الزبير[4].

= الصحابة الرواة (٤)، الثقات (٣/٣٢٣)، أعلام النساء (٣/٩)، تنوير قلوب المسلمين (٥٤/١١٦)، السمط الثمين (٣٣)، الدر المنثور (٢٨٠)، الاستيعاب (٤/١٨٨١)، الإصابة (٤/٣٤٨،٨/١٦)، تجريد أسماء الصحابة (٢/٢٨٦)، الكاشف (٣/٤٧٦)، الخلاصة (٣/٣٨٧)، الحلية (٢/٤٣)، تذكرة الحفاظ (١/٢٧)، شذرات الذهب(١/٦١)، طبقات ابن سعد (٨/٣٩)، معجم طبقات الحفاظ (١٠٥)، التاريخ الصغير للبخاري (١/٩٩،١٠٠،١٠٢،١٠٣)، أزمنة التاريخ الإسلامي (٩٨٩)، تلقيح فهوم أهل الأثر (٢٠،٣٦٣).

(١) تقدمت ترجمتها قريبًا.

(٢) في تزويج عائشة روى البخاري في صحيحه (٣٨٩٤) ٦٣-كتاب مناقب الأنصار، ٤٤-باب تزويج النبي ﷺ عائشة وقدومها المدينة وبنائه بها، عن عائشة (ﷺ) قالت: تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة... وفيه: فأتتني أم رومان، وإني لفي أرجوحة، ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها، لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذت شيئًا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحىً فأسلمتني إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين".

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (٥١٥٨) كتاب النكاح ٦٠-باب من بنى بامرأة وهي بنت تسع سنين عن عروة:"تزوج النبي ﷺ وهي ابنة ست، وبنى بها وهي ابنة تسع، ومكثت عنده تسعًا". ومسلم في النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة، وأحمد في مسنده (٦/٤٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٥/٢٥٣) ٣٥-كتاب الأدب. ٧٨-باب في المرأة تكنى. رقم الحديث (٤٩٧٠)، عن عائشة، والبخاري في الأدب المفرد (٤٩٧٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/٤٢) باب الأسماء والكنى، رقم (١٩٨٥٨)، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٢١٧)، وإسحاق بن راهويه (٢٩٢) وأحمد في مسنده (٦/١٠٧) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١/٩٣)، وابن الأعرابي في معجم شيوخه (١/٥٠٤) رقم (٩٩٥)- من تحقيقنا- طبعة دار الكتب العلمية.

وروى بسنده عن حاطب عن عائشة قالت: لما تُوفيت أي خديجة قالت خولة بنت حكيم[(١)] بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون. وذلك بمكة: أي رسول الله ألا تزوج، قال:"ومن"؟ قلت: إن شئت بكرًا، وإن شئت ثيبًا. قال:"فمَن البكر"؟ قلت: ابنة أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر. قال:"ومن الثيب"؟ قلت: سودة بنت زمعة بن قيس[(٢)]، آمنت بك، واتبعتك على ما أنت عليه. قال:"فاذهبي فاذكريهما عليّ". فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان أم عائشة[(٣)]. فقلت: أي أم رومان ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة. قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة[(٤)] قالت: وهل

---

(١) خولة بنت حكيم بنت أمية (رضي الله عنها) يقال لها أم شريك، صحابية مشهورة يقال إنها التي وهبت نفسها للنبي (ﷺ)، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون، أخرج لها البخاري في خلق أفعال العباد، ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة.

ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤١٥/١٢)، تقريب التهذيب (٥٩٦/٢)، الثقات (١١٥/٣)، أسد الغابة (٩٣/٧)، أعلام النساء (٣٢٨/١، ٣٢٦)، الكاشف (٤٦٩/٣)، الاستيعاب (١٨٣٠/٤)، الإصابة(٧ /٦٢٥، ٦١٧)، تجريد أسماء الصحابة (٢٦٥/٢)، حلية الأولياء (٦٤/٢)، تبصير المنتبه (١٠٨٦/٣)، الإكمال (٧٧/٧)، أسماء الصحابة الرواة (٢١٩).

(٢) سودة بنت زمعة بن قيس العامرية القرشية أم المؤمنين، تزوجها النبي ﷺ بعد خديجة (رضي الله عنها) وهو بمكة، أخرج لها البخاري وأبو داود والنسائي، تُوفيت سنة (٥٥هـ).

ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤٢٦/١٣)، تقريب التهذيب (٦٠١/٢)، الثقات (١٨٣/٣)، أسد الغابة (١٥٧/٧)، أعلام النساء (٢٦٧/٢)، السمط الثمين (١١٧)، الدر المنثور (٢٥٢)، تجريد أسماء الصحابة (٢٨٠/٢)، الاستيعاب (١٨٦٧/٤)، الإصابة (٧٢٠/٧)، الكاشف (٤٧٣/٣)، أسماء الصحابة الرواة (٣٠٣).

(٣) في قوله عائشة: "تزوجني رسول الله ﷺ لست سنين، وبنى بي وأنا بنت تسع سنين". قال النووي: هذا صريح في جواز تزويج الأب الصغيرة بغير إذنها؛ لأنه لا إذن لها والجد كالأب عندنا. وأجمع المسلمون على جواز تزويجه بنته البكر الصغيرة لهذا الحديث، وإذا بلغت فلا خيار لها في فسخه عند مالك والشافعي وسائر فقهاء الحجاز. وقال أهل العراق: لها الخيار إذا بلغت، أما غير الأب والجد من الأولياء فلا يجوز أن يزوجها عند الشافعي والثوري ومالك وابن أبي ليلى وأحمد وأبي ثور وأبي عبيد والجمهور قالوا:فإن زوجها لم يصح.

شرح مسلم للنووي (١٧٦/٩).

(٤) قال الأوزاعي وأبو حنيفة وآخرون من السلف يجوز لجميع الأولياء"ويصح ولها الخيار إذا بلغت". إلا أبا يوسف فقال: لا خيار لها. واتفق الجماهير على أن الوصي الأجنبي لا يزوجها وجوَّز شريح وعروة وحماد له تزويجها قبل البلوغ، وحكاه الخطابي عن مالك أيضًا والله أعلم.

المرجع السابق (١٧٦/١٥).

تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه، وددت، انتظري أبا بكر، فإنه آت، فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة. قال: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب علية عائشة[1]. قال: وهل تصلح له؟ إنما هي بنت أخيه. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له. فقال: ارجعي وقولي له أنت أخي في الإسلام[*]، وابنتك تصلح لي[2]. فأتت أبا بكر. فقال: ادعِي لي رسول الله ﷺ. فجاء فأنكحه، وهي يومئذ بنت ست سنين.وقال رسول الله ﷺ اذهبي- أي: إلى سودة[3]-فاذكريها عليَّ. قالت: فخرجت، فدخلت على سودة. فقلت: ياسودة، ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة. قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه[4]، قالت: وددت، ادخلي على أبي فاذكري ذلك له.

---

(١) اعلم أن الشافعي وأصحابه قالوا: يستحب أن لا يزوج الأب والجد البكر حتى تبلغ ويستأذنها؛ لئلا يوقعها في أسر الزوج وهي كارهة، وهذا الذي قالوه لا يخالف حديث عائشة؛ لأن مرادهم أنه لا يزوجها قبل البلوغ إذا لم تكن مصلحة ظاهرة يخاف فوتها بالتأخير كحديث عائشة، فيستحب تحصيل ذلك الزوج؛ لأن الأب مأمور بمصلحة ولده فلا يفوتها والله أعلم.
المرجع السابق (١٥/١٧٦).

(*) روى البخاري (٥٠٨١)في النكاح، باب تزويج الصغار من الكبار وفيه فقال:"أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حلال".

(٢) قال النووي: أما وقت زفاف الصغيرة المزوجة والدخول بها، فإن اتفق الزوج والولي على شيء لا ضرر فيه على الصغيرة عمل به، وإن اختلفا فقال أحمد وأبو عبيد: تجبر على ذلك بنت تسع سنين دون غيرها. وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة: حد ذلك أن تطيق الجماع، ويختلف ذلك باختلافهن ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح وليس في حديث عائشة تحديد ولا المنع من ذلك فيمن أطاقته قبل تسع ولا الإذن فيه لمن لم تطقه وقد بلغت تسعًا.
المرجع السابق (١٥/١٧٦).

(٣) كانت أم المؤمنين سودة قبل زواجها من النبي ﷺ عند السكران أخي سهيل بن عمر العامري، ولم تكهلت وهبت يومها لعائشة لتكون من زوجات النبي ﷺ في الجنة، روى عنها ابن عباس ويحيى بن عبد الله الأنصاري، توفيت في آخر خلافة عمر ﷺ، وقد انفردت بصحبة رسول الله ﷺ أربع سنين لا تشاركها فيه امرأة ولا سرية، وكانت سودة من سادات النساء.
وقال الواقدي: تزوج رسول الله ﷺ سودة في رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة خديجة، وهاجر بها، وتوفيت بالمدينة في شوال سنة (٥٤هـ).
انظر تاريخ الإسلام وفيات خلافة عمر بن الخطاب.

(٤) حديث زواج النبي ﷺ من عائشة وسودة أخرجه: أحمد في مسنده (٦/٢١٠، ٢١١)، والهيثمي في مجمع الزواد(٩/٢٢٥)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن =

قالت: وهو شيخ كبير، قد تخلف عن الحج. فدخلت عليه فقلت: إن محمد بن عبد الله أرسلني أخطب عليه سودة. قال:كفؤ كريم[١]، فماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك. قال: ادعيها، فدعتها. فقال: إن محمدًا بن عبد الله أرسل إليّ يخطبك، وهو كفؤ كريم، أفتحبين أن أزوجك. قالت: نعم. قال: فادعيه لي، فدعته. وجاء أخوها عبد الله بن زمعة[٢] من الحج، فجعل يحثو التراب على رأسه، وقال بعد أن أسلم إني لسفيه يوم أحثو التراب على رأسي، أن رسول الله ﷺ تزوج سودة[*].

وروى بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:"فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على الطعام"[٣].

وروى بسنده، عن هشام، عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة. قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن يا أم سلمة[٤]، والله إن الناس يتحرون بهداياهم

علقمة، وأخرجه: ابن سعد في طبقاته (٥٧/٨).

(١) وذلك من صفته ﷺ فهو محمد رسول الله أبو القاسم سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب- واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم- واسمه عمرو بن عبد مناف- واسمه المغيرة بن قصي_ واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة- واسمه عامر- بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم (صلى الله عليهما وعلى نبينا وسلم).

تاريخ الإسلام للذهبي. بداية السيرة العطرة

(٢) عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أبو زمعة الأسدي القرشي، صحابي مشهور، قال الذهبي: أمه قريبة أخت أم سلمة أم المؤمنين، قيل له صحبة: والأصح أنه لا صحبة له، أخرج له: أصحاب الكتب الستة، استشهد يوم الدار مع عثمان ﷺ. ترجمته: تهذيب التهذيب (٢١٨/٥)، تقريب التهذيب (٤١٦/١)، الكاشف (٨٧/٢)، التاريخ الكبير (٢١٨/٣،٧)، التاريخ الصغير (١١٥/١)، الجرح والتعديل (٥٩/٥)، أسد الغابة (٢٤٥/٢)، تجريد أسماء الصحابة (٣١١/١)، الإصابة (٩٥/٤)، الاستيعاب (٩١٠/٣)، الوافي بالوفيات (١٨٢/١٧)، الثقات (٣/ ٢١٧)، أسماء الصحابة الرواة (٧٠٤).

(*) انظر تخريجه تقدم في سياق لفظ الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٧٠)٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (ﷺ)، ومسلم في صحيحه[٨٩-(٢٤٤٦)]كتاب فضائل الصحابة، ٣-باب فضل عائشة (رضي الله تعالى عنها) والترمذي (٣٨٨٧) كتاب المناقب، باب فضل عائشة (ﷺ).

وقال الترمذي: وهذا حديث حسن

(٤) أم سلمة (ﷺ) زوج النبي ﷺ، اسمها: هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، القرشية، بنت عم أبي

يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيثما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ. قالت فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال:"يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي، وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها[(١)]".

وروي عن أبي سلمة، أن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا:"يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام"، فقلت: عليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى تريد رسول الله ﷺ[(٢)].

وعن عائشة أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ. فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة[(٣)].

جهل، وبنت عم خالد بن الوليد، وكانت من أجمل النساء، وطال عمرها، وعاشت تسعين سنة أو أكثر، وهي آخر أمهات المؤمنين وفاة، وقد حزنت على الحسين رضي الله عنه، وتوفيت بعده بيسير سنة (٦١)، وقد بنى بها النبي في سنة ثلاث من الهجرة، وكانت قبله عند الرجل الصالح أبي سلمة بن عبد الأسد، وهو أخو النبي ﷺ في الرضاعة ترجمتها: تهذيب التهذيب (٤٥٥/١٢)، التقريب (٦١٧/٢) الثقات (٤٣٩/٣)، أسد الغابة (٢٦٩/٧)، الإصابة (١٥٠/٨)، الكاشف (٤٨٣/٣)، أعلام النساء (٢٢١/٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧٧٥) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي كتاب الهبة، باب قبول الهدية، وباب مَن أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض، والترمذي (٣٨٧٩)كتاب المناقب، باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، والنسائي في الكبرى، باب فضل عائشة بنت أبي بكر، وفي عشرة النساء باب الغيرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرج البخاري (٣٧٦٨) ٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها) ومسلم[٩١-(٢٤٤٧)]كتاب فضائل الصحابة١٣-باب في فضل عائشة (رضي الله عنها). قال النووي: فيه استحباب بعث السلام ويجب على الرسول تبليغه، وفيه بعث الأجنبي السلام إلى الأجنبية الصالحة إذا لم يخف ترتب مفسدة، وأن الذي يبلغه السلام يرد عليه، قال أصحابنا وهذا الرد واجب على الفور، وكذا لو بلغه سلام في ورقة من غائب لزمه أن يرد السلام عليه باللفظ على الفور إذا قرأه. النووي في شرح مسلم (١٧١/١٥).

(٣) أخرجه مسلم [٧٩-٢٤٣٨]كتاب فضائل الصحابة، ١٣-باب في فضل عائشة (رضي الله عنها) عن عائشة، وبلفظه أخرجه الترمذي في جامعة الصحيح (٣٨٨٠) ٥٠-كتاب المناقب، باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمرو بن علقمة، وقد روى عبد الرحمن بن مهدي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن علقمة بهذا الإسناد مرسلاً، ولم يذكر فيه عن عائشة، وقد روى أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي ﷺ من هذا.

وروي عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ استعمله على جيش ذات السلاسل. قال: فأتيته فقلت: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال:"عائشة"، قلت: من الرجال؟ قال:"أبوها".

وروي عن عمرو بن غالب[١] أن رجلاً نال من عائشة (رضي الله عنها) عند عمار بن ياسر[*] -أي: وكان من شيعة علي، وقُتل معه -. فقال: اغرب مقبوحًا، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ[٢].

وكان مسروق إذا روى عنها يقول:حدثتني الصديقة بنت الصديق البريئة المبرأة، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض[٣].

وقال عطاء بن رباح: كانت عائشة من أفقه الناس رأيًا في العامة[٤].

وقال عروة: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة[٥].

---

(١) عمرو بن غالب الهمداني، مقبول، أخرج له الترمذي والنسائي. ترجمته: تهذيب التهذيب (٨٨/٨)، تقريب التهذيب (٧٦/٢)، الكاشف (٣٣٩/٢)، تاريخ البخاري الكبير (٣٦٢/٦)، الجرح والتعديل (١٣٩٦/٦)، ميزان الاعتدال (٢٨٣/٣)، لسان الميزان (٣٢٧/٧)، ثقات ابن حبان (١٨٠/٥)، تراجم الأخبار (٥٩٥/٢).

(*) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين المذحجي العنسي أبو اليقظان مولى بني مخزوم، من نجباء أصحاب محمد ﷺ، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وعاش ثلاثة وتسعين سنة، وكان من السابقين إلى الإسلام، وممن عُذب في الله في أول الإسلام، وأمه سمية أول شهيدة في الإسلام، وهاجر عمار إلى الحبشة، وقد روى الترمذي (٣٧٩٨) في المناقب، باب مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنه، عن على قال: جاء عمار يستأذن على النبي ﷺ فقال:"ائذنوا له، مرحبًا بالطيب المطيب".وصححه الترمذي. انظر تاريخ الإسلام وفيات سنة (٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٨٨)٥٠-كتاب المناقب، باب فضل عائشة (رضي الله عنها). وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) أخرج أحمد في مسنده (٦٧/٦)، وأخرج ابن سعد في الطبقات (٦٦/٨) قال أخبرنا أبو معاوية الضرير، حدثنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، أنه قيل له: هل كانت عائشة تحسن الفرائض؟ فقال: إي والذي نفسي بيده، لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ، الأكابر يسألونها عن الفرائض.

(٤) انظر تاريخ الإسلام للذهبي وفيات(٥١-٦٠) ترجمة عائشة (رضي الله عنها).

(٥) قال الزهري: لوجُمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل، وعنه أيضًا عن القاسم بن محمد: أن معاوية لما قدم المدينة حاجًا دخل على عائشة، فلم يشهد كلامهما إلا ذكوان مولى عائشة فقالت له: أمنت أن أخبي لك رجلاً يقتلك بأخي محمد، قال:صدقت ثم إنها وعظته وحضَّته على الاتباع، فلما خرج اتكأ على ذكوان وقال: والله ما سمعت خطيبًا ليس رسول اللهﷺ أبلغ من عائشة.

ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلاّ قصة الإفك لكفى بها فضلاً وعلو مجد.

فإنها نزل فيها القرآن يتلى إلى يوم القيامة، ولولا التطويل لذكرنا قصة الإفك بتمامها وهي أشهر من أن تخفى.

وروي عن القاسم بن محمد أن عائشة اشتكت، فجاء ابن عباس فقال[1]: "يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر".

وروت عن النبي ﷺ كثيرًا، وروى عنها عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة ومن التابعين ما لا يحصى[2].

مطلب مهم عن سيدنا عمر بن الخطاب :

وروي عن أبي أمامة[3]، أن عمر بن الخطاب قال:"ادنوا الخيل، وانتضلوا، وانتعلوا، وإياكم وأخلاق الأعاجم، وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر، ولا يحل لمؤمن ولا مؤمنة أن تدخل الحمام إلاّ بمئزر إلا من سقم". فإن عائشة حدثتني أن رسول الله ﷺ وهو على فراش الموت قال[4]: "أيما امرأة مؤمنة وضعت خمارها على غير بيتها هتكت الحجاب

تاريخ الإسلام للذهبي وفيات(٥١-٦٠)

(١) أخرج البخاري (٣٧٧١)٦٢-كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣١-باب فضل عائشة (رضي الله عنها)، وروى البخاري أيضًا في رقم (٤٧٥٣)كتاب تفسير القرآن ٩-باب ﴿**وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ...**﴾ الآية. عن ابن أبي مليكه قال:"استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة... وفيه:"فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير، إن اتقيت الله، قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السماء... الحديث".

(٢) روى عنها جماعة من الصحابة، والأسود، ومسروق، وابن المسيب، وعروة، والقاسم، والشعبي، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وابن أبي مليكة، ومعاذة العدوية، وعمرة الأنصارية، ونافع مولى ابن عمر، وخلق كثير. انظر تاريخ الإسلام. وفيات(٥١-٦٠).

(٣) أبو أمامة البلوي، الأنصاري، الحارثي، اسمه إياس، وقيل: عبد الله بن ثعلبة، وقيل: ثعلبة بن عبد الله بن سهل، صحابي له حديث، أخرج له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة.

ترجمته: تهذيب التهذيب (١٣/١٢) رقم الترجمة (٦٩)، تقريب التهذيب (٣٩٢/٢)، الثقات (٤٥١/٣)، أسد الغابة (١٧/٦)، الاستيعاب (١٦٠١/٤)، تجريد أسماء الصحابة (١٤٨/٢)، الاستبصار (٢٥١)، الإصابة (١٩/٧)، التاريخ الكبير (٣/٩)، الخلاصة (١٩٩/٣).

(٤) أخرجه أبوداود (٣٠١/٤)كتاب الحمام، في فاتحته رقم الحديث (٤٠١٠)، والترمذي (٥/ ١٠٥)،كتاب الأدب، ٣-باب ما جاء في دخول الحمام، رقم (٢٨٠٣)، وابن ماجة (١٢٣٤/٢)، كتاب الأدب، ٣٨-باب دخول الحمام، رقم (٣٧٥٠)، والدرامي (٢٨١/٢)،كتاب الاستئذان، باب

بينها وبين ربها ﷻ".

وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين. وقيل: سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلاً، فدفنت[١]، وصلى عليها أبوهريرة[٢]، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله، وعروة، ابنا الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر[٣].

ولما تُوفي النبي ﷺكان عمرها ثمان عشرة سنة، أخرجها الثلاثة. انتهى.

وفي صحيح الإمام البخاري ما نصه عن عائشة أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين[٤].انتهى.

النهي عن دخول المرأة الحمام، وعبد الرازق (١/٢٩٤)، باب الحمام للنساء، رقم الحديث (١١٣٢)، والحاكم في المستدرك (٤/٢٨٨)كتاب الأدب، وأحمد في مسنده (٦/١٧٣،٤١)، وابن الأعرابي في معجم الشيوخ (١/٣٧٩) رقم الحديث (٧٢٨)- من تحقيقنا- دار الكتب العلمية.

(١) قال الذهبي: تُوفيت على الصحيح سنة سبع وخمسين بالمدينة، قاله هشام بن عروة، وأحمد بن حنبل، وشباب، وقال أبو عبيدة وغيره: في رمضان سنة ثمان وخمسين، وقال الواقدي: في ليلة سابع عشر رمضان، ودفنت بالبقيع ليلاً، فاجتمع الناس وحضروا فلم تر أكثر ناسًا منها، وصلى عليها أبو هريرة، ولها ست وستون سنة، وذلك في سنة ثمان وخمسون.
تاريخ الإسلام وفيات (٥١-٦٠).

(٢) قال ابن سعد: أنبأ محمد بن عمرو، حدثنا ابن أبي سبرة، عن عثمان بن أبي عتيق عن أبيه قال: رأيت ليلة ماتت عائشة (ﷺ) حُمل معها جريد في الخرق والزيت، فيه نار ليلاً، ورأيت النساء بالبقيع كأنه عيد. قال محمد بن عمر: حدثني ابن جريج، عن نافع "شهدت أبا هريرة صلى على عائشة بالبقيع، وكان خليفة مروان على المدينة، وقد اعتمر تلك الأيام، وقال هشام بن عروة، عن أبيه: إن عائشة دفنت ليلاً، قال حفص بن غياث: ثنا إسماعيل، عن أبي إسحاق قال: قال مسروق لولا بعض الأمر لأقمت المناحة على أم المؤمنين، وعن عبد الله بن عبيد الله قال: أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه. تاريخ الإسلام وفيات(٥١-٦٠).

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق التيمي، ابن أخت أم سلمة زوج النبي (ﷺ)، ثقة. أخرج له البخاري ومسلم، وأبو داود في الناسخ، والنسائي وابن ماجة. توفي بعد سنة (١٧٠). ترجمته: تهذيب التهذيب (٥/٢٩١) تقريب التهذيب (١/٤٢٨)، الكاشف (٢/١٠٣) تاريخ البخاري الكبير (٥/ ١٣١)، تاريخ البخاري الصغير (١/١٥٩)، الجرح والتعديل (٥/١٣١)، الثقات لابن حبان (٥/١٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٥١٥٨)كتاب النكاح،٦٠-باب من بنى بامرأة وهي بنت تسع سنين، عن عروة. ومسلم في صحيحه [٦٩-(١٤٢٢)] كتاب النكاح. ١٠-باب تزويج الأب البكر الصغيرة. قال النووي: قال الداودي: وكانت عائشة قد شبت شبابًا (ﷺ). وأما قولها في رواية:

أقول: فعلى هذا يكون عمرها (رضي الله عنها) لما توفيت خمسًا وستين سنة، على القول بأنها توفيت سنة سبع وخمسين، وستة وستين على القول بأنها توفيت (رضي الله عنها) سنة ثمان وخمسين.

فقد تزوجها ﷺ بمكة في شوال قبل الهجرة بسنتين، وكان عمرها ست سنين، وبنى بها بالمدينة سنة الهجرة في شوال[١] منصرفه من غزوة بدر العظمى على رأس ثمانية أشهر من الهجرة على الصحيح، وكان عمرها تسع سنين، وأقامت عنده تسع سنين، وتوفي ﷺ سنة عشر من الهجرة، وكان عمرها ثمانية عشرة سنة، وتوفيت سنة سبع وخمسين[٢].

وقال الواقدي: توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين. فيكون عمرها ستًا وستين سنة (رضي الله عنها). ورزقنا يوم القيامة شفاعتها[٣]. آمين.

***

=

تزوجني وأنا بنت سبع، وفي أكثر الروايات بنت ست، فالجمع بينهما أنه كان لها ست وكسر، ففي رواية اقتصرت على السنين، وفي رواية عدت السنة التي دخلت فيه. والله أعلم.
شرح مسلم للنووي (١٧٧/٩). طبعة دار الكتب العلمية.

(١) قال الإمام أحمد في مسنده (٥٤/٦، ٢٠٦): حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن إسماعيل بن أمية قال: حدثني عبد الله بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال وأُدخلت عليه في شوال، فأي نسائه كان أحظى عنده مني؟ فكانت تستحب أن تدخل نساءها في شوال".
وذكره ابن كثير في جامع المسانيد والسنن (٣٤/٦) نقلاً عن أحمد في مسنده.

(٢) قال ابن سعد في الطبقات (٧٤/٨): أخبرنا يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح والفضل بن دكين. قالوا: حدثنا هارون البربري عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: أوصت عائشة أن: لا تتبعوا سريري بنار، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء. أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا أسامة بن زيد عن بعض أصحابة عن عائشة أنها قالت حين حضرتها الوفاة: يا ليتني لم أخلق، يا ليتني كنت شجرة أسبح، وأقضي ما عليّ، وذكر ابن سعد بسنده قالت: يا ليتني كنت شجرة، يا ليتني كنت حجرًا، يا ليتني كنت مدرة؟ قلت: وما ذاك منها؟ قال: توبة.

(٣) أخرج البخاري في كتاب الاعتصام والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم، رقم الحديث (٧٣٢٧)، عن عائشة قالت لعبد الله بن الزبير:"ادفني مع صواحبي ولا تدفني مع النبي ﷺ في البيت، فإني اكره أن أُزكى".

الباب الحادي والعشرون
في أنه لا يجوز التعرض لأحد الصحابة الكرام بسوء من سب[١] أو شتم أو إيذاء

أو غير ذلك.

فضلاً عن الزوجات الطاهرات اللاتي كان ﷺ يفضى إليهن ويفضين إليه. قال الله تعالى: **﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُواْ رَسُولَ اللهِ وَلاَ أَن تَنكِحُواْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا ﴾**...[٢].

وقال (عز شأنه):**﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا[٣] وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾**[٤].

وقال رسول الله ﷺ:"الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي فمن أحبهم فبحبي

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٣٦٧٣) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ لوكنت متخذًا خليلاً، وأخرج مسلم في صحيحه [٢٢١-(٠٤٠ ٢٥)]كتاب فضائل الصحابة (ﷺ)، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:"لا تسبواْ أصحابي، لا تسبواْ أصحابي، والذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه". قال النووي: اعلم أن سب الصحابة (ﷺ) حرام من فواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون كما أوضحناه في أول فضائل الصحابة، (وقد ذكرنا ذلك في تحقيقنا من قبل). قال القاضي: وسب أحدهم من المعاصي الكبائر ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعذر ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل.

(٢) سورة الأحزاب (٥٣). قال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قال: نزلت في رجل هَمّ أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده، قال رجل لسفيان أهي عائشة؟ قال قد ذكروا ذلك، وكذا قال مقاتل بن حبان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وذكر بسنده عن السدي أن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبيد الله ﷺ حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك، ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين. تفسير ابن كثير (٥٢٢/٣).

(٣) الأحزاب(٥٧).

(٤) الأحزاب (٥٨). قال ابن كثير: وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "يقول الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب ليله ونهاره".

وقوله تعالى:**﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾**، أي: ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعلموه ولم يفعلوه**﴿فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾** وهذا هو البهت الكبير أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم.ابن كثير في تفسيره.(٥٣٤/٣).

أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه"(١).

وقال ﷺ: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر(٢) فأمسكوا"، رواهما السيوطي في الجامع الصغير.

وقد تعرضت لذلك في كتابي:"نشر الطي في حديث حبب إليّ". في بحث مخصوص، وأطلت الكلام فيه، وبيَّنت بعض فضلهم(٣)، وما يجب في حقهم، وأن حبهم حب للنبي ﷺ وبغضهم من بغضه، وإيذاءهم إيذاء له، وأن سبهم أو أحدًا منهم(٤) يستوجب أن النبي ﷺ لعن من يفعله بل أن يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون كما يأتي، وها أنا أذكر طرفًا مما ذكرته فيه.

وقال القاضي عياض: وقال- أي: رسول الله ﷺ-:"من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صدقًا ولا عدلاً"(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)٥٠-كتاب المناقب، باب في فضل من بايع تحت الشجرة، عن عبد الله بن مغفل، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) قال النووي: اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ﷻ وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها ﷻ، وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه ﷻ لم يقدرها، ولم يتقدم علمه ﷻ بها، وأنها مستأنفة العلم أي: إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله ﷻ عن أقوالهم الباطلة علوًا كبيرًا، وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر، قال أصحاب المقالات من المتكلمين، وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمات المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون الخير من الله، والشر من غيره تعالى الله عن قولهم.انظر شرح مسلم للنووي (١٣٨/١) طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) أخرج الدينوري في كتابه المجالسة وجواهر العلم (١٢٩/١) رقم (٢٣٤)ـ من تحقيقناـ طبعة دار الكتب العلمية. قال: حدثنا إبراهيم الحربي قال: سمعت أحمد بن عبد الله بن يونس يقول قال أبو الأحوص:"لا تسبواْ أصحاب النبي ﷺ فإنهم أسلموا خوفًا من الله، وأنتم أسلمتم خوفًا من سيوفهم، فانظرواْ كم بين الأمرين".

(٤) قال النووي: قال القاضي عياض: وذهبت طائفة منهم ابن عبد البر إلى أن من توفي من الصحابة في حياة النبي ﷺ أفضل ممن بقي بعده، وهذا الإطلاق غير مُرضٍ ولا مقبول، واختلف العلماء في أن التفضيل المذكور قطعي أم لا، وهل هو في الظاهر والباطن أم في الظاهر خاصة، وممن قال بالقطع أبو الحسن الأشعري قال: وهم في الفضل على ترتيبهم في الإمامة، وممن قال بأنه اجتهادي ظني أبو بكر الباقلاني وذكر ابن الباقلاني اختلاف العلماء في أن التفضيل هل هو في الظاهر أم الظاهر والباطن جميعًا. النووي في شرح مسلم (١٢١/١٥).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٢/١٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٣/٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٤١/٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨٣/٢)، وابن عدي (١٨٥٥/٥).

وقال:"أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم"[(١)].

وقال:"مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام، لا يصلح الطعام إلا به[(٢)]". وقال:"إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين[(٣)] سوى النبين والمرسلين، واختار لي منهم أربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليًا، فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير".

وقال: أيها الناس إني راضٍ عن أبي بكر، فاعرفواْ له ذلك، أيها الناس إني راضٍ عن عمر، وعن عثمان، وعن علي، وطلحة[(٤)]، والزبير، وسعد، وسعيد[(٥)]، وعبد الرحمن بن عوف،

---

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية رقم (٤١٩٣)، وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٣٨).

(٢) أخرجه البغوي في شرح السنة (١/٥٥١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٨)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/٢٧٥)، وقال: رواه ابن المبارك، وكذا أبو يعلي عن أنس رفعه، وأخرجه البغوي في شرح السنة بسند فيه كسابقه إسماعيل بن مسلم المكي ضعيف انفرد به الحسن البصري، انتهى كلام العجلوني، وانظر مشكاة المصابيح (٦٦٠٦).

(٣) في قوله تعالى:﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ الفتح (٢٩). قال ابن كثير: ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله عليه في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة (ﷺ) قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة (ﷺ) فهوكافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء (ﷺ) على ذلك، والأحاديث في فضل الصحابة (ﷺ) والنهي عن التعرض بمساويهم كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم.
تفسير ابن كثير (٤/٢٠٥،٢٠٤).

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي، أبو محمد، أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة. غاب عن بدر في تجارة بالشام، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأبره، وخرج مع عمر إلى الجابية، وكان على المهاجرين. قُتل في وقعة الجمل رماه مروان بن الحكم بسهم فقتله. وعن الشعبي قال: رأى عليٌّ طلحةَ في بعض الأودية ملقىً فنزل فمسح التراب عن وجهه. ثم قال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مجندلاً في الأودية. ثم قال: إلى الله أشكو عجري وبجري. قال الأصمعي: معناه: سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي، وقال ليث، عن طلحة بن مصرف أن عليًا انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل وأجلسه، ومسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه ويقول: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة.
تاريخ الإسلام وفيات سنة (٣٦).

(٥) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، أبو الأعور، أحد العشرة المشهود لهم

فاعرفوا لهم ذلك، أيها الناس، إن الله غفر لأهل بدر والحديبية، أيها الناس احفظوا في أصحابي وأصهاري وأختاني، لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة؛ فإنها مظلمة لا توهب في القيامة غدًا.

وقال: احفظوني في أصحابي وأصهاري، فإنه من حفظني فيهم، حفظه الله في الدنيا والآخرة، ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه، ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه(١). انتهى.

وذكرت فيه أيضًا أن الأَصْهار- بفتح فسكون-جمع صهر بكسر فسكون. وبينت فيه معنى الصِهر(٢)،والختن(٣) والحمو، وأن الصهر يقال لمن بينك وبينه علاقة سببية بتزويجه، أو التزوج منه نقلاً عن الخفاجي على الشفاء.

وبغض أحدهم بغض للنبي ﷺ، وإيذاؤه كذلك إيذاء للنبي ﷺ، وإيذاء لله ﷻ.

لما قدمنا من قوله ﷺ:"الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا(٤) بعدي فمن أحبهم

=

بالجنة، وكان أميرًا على ربع المهاجرين وولي دمشق نيابة لأبي عبيدة، وشهد فتحها، وأسلم سعيد قبل دخول دار الأرقم، وكان متزوجًا بفاطمة أخت عمر وهي بنت عم أبيه. وقال أهل المغازي: إن سعيد بن زيد قدم من الشام بعد بدر فكلم النبي ﷺ فضرب له بسهمه وأجره، وعن ابن مكيث أن النبي ﷺ بعث سعيدًا وطلحة يتجسسان خبر عير قريش؛ ولهذا غابا عن وقعة بدر، وشهد أحدًا وما بعدها، تُوفي سنة (٥١هـ) وغسله سعد وكفنه، وقال الواقدي: نزل في قبره سعد وابن عمر. تاريخ الإسلام وفيات(٥١-٦٠).

(١) روى البخاري (٣٦٥٠) في فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، عن عمران بن حصين (رضي الله عنهما) يقول: قال رسول الله (ﷺ):"خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم". قال عمران:"فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا" ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن". وأخرجه مسلم في صحيحه[٢١٤-(٢٥٣٥)]كتاب فضائل الصحابة. ٥٢-باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

(٢) الصهر: القريب بالزوج، ويوصف به، فيقال: هو صهري، جمعها: أصهار، والمصاهرة.

(٣) الخَتَنُ: كل من كان من قبل المرأة كأبيها، وأخيها وكذلك زوج البنت أو الأخت.

(٤) قال النووي: أما عثمان رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع، وقتل مظلومًا، وقتله فسقة؛ لأن موجبات القتل مضبوطة، ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه، ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همج ورعاع من الغوغاء القبائل وسفلة الأطراف والأرذال، تحزبوا وقصدوه من مصر، فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتى قتلوه ﷺ. وأما على ﷺ فخلافته صحيحة بالإجماع، وكان هو الخليفة في وقته لا خلافة لغيره. وأما معاوية ﷺ فهو من العدول الفضلاء والصحابة النجباء ﷺ وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم عدول(رضي الله عنهم). شرح مسلم للنووي (١٥/١٢١).

فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه[1]". وسب أحدهم يستوجب أن يلعن الله وملائكته والناس أجمعون من يفعله على لسان النبي ﷺ، لما روينا أنه (عليه وآله الصلاة والسلام) قال[2]:"من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً". ومن أراد زيادة على ذلك فعليه بكتابنا المذكور.

وروى البخاري[3] عن رسول الله ﷺ أنه قال:"سباب المسلم فسوق وقتاله كفر[4]".

الباب الثاني والعشرون

في أنه لا يجوز لعن أحد بعينه، ولو كان كافرًا فضلاً عن أن يكون مسلمًا أو صحابيًا والعياذ بالله تعالى، إلا أن يعلم موت الكافر على الكفر.

اعلم أن اللعن معناه لغة: الطرد والإبعاد[5]، وفي الشرع: هو الطرد والإبعاد من رحمة الله

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)٥٠-كتاب المناقب، باب في فضل من بايع تحت الشجرة، عن عبد الله بن مغفل.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٠٣/٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٤١/٤)، والطبراني في المعجم الكبير(٤٨٣/١٢).

(٣) رواه البخاري وسيأتي . وقال النووي: وأما معنى الحديث فسب المسلم بغير حق حرام بإجماع الأمة، وفاعله فاسق كما أخبر به النبي ﷺ، وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفرًا يخرج به من الملة كما قدمناه في مواضع كثيرة إلا إذا استحله، فإذا تقرر هذا فقيل في تأويل الحديث أقوال: أحدها: أنه في المستحل، والثاني: أن المراد كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام لا كفر الجحود. والثالث: أنه يؤول إلى الكفر بشؤمه، والرابع: أنه كفعل الكفار والله أعلم. ثم إن الظاهر من قتاله المقاتلة المعروفة. قال القاضي: ويجوز أن يكون المراد المشارة والمدافعة، والله أعلم. شرح مسلم للنووي (٤٧/٢).

(٤) أخرجه البخاري (١١٠/١)-فتح، ٢-كتاب الإيمان، ٣٦-باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله، رقم (٤٨)، ومسلم [١١٦-(٦٤)]كتاب الإيمان، ٢٨-باب قول النبي ﷺ"سباب المسلم فسوق وقتاله كفر". والترمذي (١٩٨٣)كتاب البر والصلة. باب (٥٢)، والنسائي (١١١/٧-المجتبى)كتاب التحريم، باب قتال المسلم، وابن ماجة في (٣٩٣٩)كتاب الفتن. ٤-باب سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، وأحمد في مسنده (١-٤١١،٣٨٥،١٧٨،١٧٦). وأخرجه: ابن الأعرابي في معجم شيوخه (٢/ ٤٧٤)، رقم (٢٤٥٣)عن ابن مسعود- من تحقيقنا- طبعة دار الكتب العلمية.

(٥) في قوله ﷺ:"لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء". قال النووي: لا يرزقون الشهادة، وهي القتل في سبيل الله، وإنما قال ﷺ:"لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا". ولا يكون اللعانون شفعاء بصيغة التكثير، ولم يقل لاعنًا ولاعنون؛ لأن هذا الذم في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة ونحوها؛ ولأنه يخرج منه أيضًا اللعن المباح وهو الذي ورد في الشرع به وهو لعنة الله الظالمين، لعن الله اليهود =

تعالى، وهذا لا يستحقه إلا كافر مات على الكفر(١)، إذا عُلم منه، وأما كافر حي لم يمت فلا يجوز لعنه؛ رجاء أن تدركه رحمة الله تعالى فيؤمن. وأما كافر مات ولم يتبين حاله، هل مات على كفره؟ أو آمن قبل موته، فلا يجوز لعنه أيضًا؛ لاحتمال إيمانه بالله تعالى، وأما لعن المؤمن والعياذ بالله تعالى، فلا يجوز بحال من الأحوال.

روى البخاري ومسلم(٢) عن النبي ﷺ أنه قال:"من حلف بملة غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء، عُذب به في نار جهنم، ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله(٣)".

وروي أيضًا عنه ﷺ قال:"أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما(٤)". وروى

= والنصارى، والواصلة والواشمة وشارب الخمر وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمصورين... وغيرهم ممن هو مشهور في الأحاديث الصحيحة.
النووي في شرح مسلم (١٢٣/١٦)

(١) انظر ما سيأتي من شرح الإمام النووي لصحيح مسلم في تخريج حديث:"لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء".

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وسيأتي عقب هذا. قال النووي: والحلف بملة غير الإسلام كقوله هو يهودي أو نصراني إن كان كذا أو واللات أو والعزى وشبه ذلك، فإن كان معتقدًا عظمته بقلبه فهوكاذب في ذلك، وإن كان غير معتقد ذلك بقلبه فهوكاذب في الصورة؛ لكونه عظّمه بالحلف به، وإذا علم أنه لا ينفك عن كونه كاذبًا حُمل التقييد بكاذبٍ على أنه بيان لصورة الحالف، ويكون التقييد خرج على سبب فلا يكون له مفهوم، ثم إن كان الحالفُ به معظمًا لما حلف به مجلاً له كان كافرًا، وإن لم يكن معظمًا بل كان قلبه مطمئنًا بالإيمان فهوكاذب في حلفه بما لا يحلف به ومعاملته إياه معاملة ما يحلف به، ولا يكون كافرًا خارجًا عن ملة الإسلام.
النووي في شرح مسلم (١٠٨/٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٣) ٢٣-كتاب الجنائز، ٨٣-ما جاء في قاتل النفس، وفي رقم (٦٠٤٧) في الأدب. ٤٤-باب ما ينهى من السباب واللعن، ورقم (٦١٠٥)، في الأدب، باب من كفر أخاه من غير تأويل فهو كما قال، ورقم (٦٦٥٢)كتاب الأيمان والنذور، ٧-باب من حلف بملة سوى الإسلام". ومسلم [١٧٦-(١١٠)]كتاب الإيمان، ٤٧-باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأحمد في مسنده (٣٣/٤)، وأبو داود في الإيمان والنذور، باب ما جاء في الحلف بالبراءة وبملة غير الإسلام، والترمذي في الإيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير ملة الإسلام.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه[١١١-(٦٠)]كتاب الإيمان، ٢٦-باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، عن ابن عمر. وقال النووي: هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات من حيث إن ظاهره غير مراده، وذلك أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا، =

أبو داود في سننه عن أبي الدرداء قال:"سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء(١)".

هذا إذا كان ذلك المؤمن من آحاد الناس فما بالك بمن كان له صحبة مع رسول الله ﷺ، بقطع النظر عن أن تكون له يدٌ وأيادٍ في الإسلام، كأبي بكر ﷺ وعمر ﷺ، فلا يُقدم على مثل ذلك إلا من أضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة.

وأراد به بدل الهدى والعناية الضلال والغواية، ويكفي هذا الجاهل الغمر(٢) والأحمق(٣) (الفرانه)(٤) يلقي نفسه بيده إلى التهلكة واللعنة المحققة المهلكة؛ لقوله ﷺ:"من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً(٥)".

هذا في حق من يقع منه سبٌ لأحدهم دون قذف أو لعن، فما بالك بمن يرتكب جريمة

وكذا قوله لأخيه (كافر) من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام، وإذا عرف ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه: أحدها أنه محمول على المستحل لذلك وهذا يكفر، فعلى هذا معنى باء بها أي: كلمة الكفر، وكذا جار عليه وهو معنى رجعت عليه أي: رجع عليه الكفر فباء وجار ورجع بمعنى واحد. والوجه الثاني معناه رجعت عليه نقيضته لأخيه ومعصية تكفيره. والثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين المؤمنين. والرابع: معناه أن ذلك يؤول به إلى الكفر.

النووي في شرح مسلم (٢/٤٣). طبعة دار الكتب العلمية

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٧)كتاب الأدب، باب اللعن، عن أبي الدرداء، وقد رواه مسلم [٨٥-(٢٥٩٨)]كتاب البر والصلة والآداب، ٢٤-باب النهي عن لعن الدواب وغيرها. وقال النووي: فيه الزجر عن اللعن، وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة؛ لأن اللعنة في الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى، وليس بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضًا وكالجسد الواحد، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهي الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاطعة والتدابر، وهذا غاية ما يوده المسلم للكافر ويدعو عليه ولهذا جاء في الحديث الصحيح لعن المؤمن كقتله؛ لأن القاتل يقطعه عن منافع الدنيا وهذا يقطعه عن نعيم الآخرة ورحمة الله تعالى. النووي في شرح مسلم (١٦/١٢٣).

(٢) الغمر: يقال الرجل الغمر أي: الذي لم يجرب الأمور، فهو غُمر.

(٣) الأحمق: فلان قل عقله فهو أحمق، وهي حمقاء، وجمعها: حُمق. واتحمق: اندفع بلا روية. وتحامق: تظاهر بالحماقة.

(٤) كذا بالأصل.

(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧/١٠٣)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/٢٤١). وابن أبي عاصم في الثقات (٢/٤٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٤٢)، وابن عدي في الكامل (٥/١٨٥٥).

القذف واللعن؟ على أن مثل ذلك لا يحط بسامي مقامهم رضوان الله تعالى عليهم وعلى آلهم. فإن مقامهم محفوظ واحترامهم في كل مكان وزمان ملحوظ.

وأما لعن غير الناس فقد روى أبو داود عن مسلم بن إبراهيم، عن ابن عباس (رضي الله تعالى عنهما) أن رجلاً لعن الريح، وقال مسلم: نازعته الريح رداءه على عهد النبي ﷺ فلعنها، فقال النبي ﷺ: لا تلعنها فإنها مأمورة، وإن من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه[١].

وأما ما ورد في الشرع من لعن نحو الكاذبين وغيرهم[٢]، فإنه يجوز كما ورد بأن يلعن الكاذبين مثلاً، لا كاذب بعينه، ولو كان كافرًا، وكذلك الظالمين لا ظالم بعينه، كما قدمنا، إلا أن يعلم موته على الكفر، فيجوز لعنه حينئذ بخصوصه.

وأما إذا لم يعلم ذلك فلا يجوز لعنه سواءٌ حيًا أو ميتًا، وإن كذب وظلم وفعل الموبقات جميعها، بل وقتل نفسًا ومات مُصِرًا على ذنوبه، لم يتب منها فنقول فيه إنه مؤمن مسلم وأمره مفوض لله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه. قال الله تعالى:﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾. فلا يجوز لعنه بحالٍ من الأحوال.

روى البخاري[٣] عن أبي ذر (رضي الله تعالى عنه) قال: خرجت ليلةً من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده، وليس معه إنسان قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فظللت أمشي في ظل القمر، فالتفت فرآني. فقال: من هذا"؟ قلت: أبو ذر، جعلني الله

---

(١) أخرجه أبو داود وقد تقدم. وقد روى مسلم في صحيحه [٨٥-(٢٥٩٨)] كتاب البر والصلة والآداب. ٢٤_ باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "لايكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة".

(٢) قال النووي في معنى الحديث المتقدم:"لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء". هذا الذم في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة ونحوها، ولأنه يخرج منه أيضًا اللعن المباح، وهو الذي ورد الشرع به وهو لعنة الله على الظالمين، ولعن اليهود والنصارى، ولعن الواصلة والواشمة، وشارب الخمر، وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، والمصورين ومن انتمى لغير أبيه، وتولى غير مواليه وغَيَّر منار الأرض، وغيرهم ممن هو مشهور في الأحاديث الصحيحة.
شرح مسلم للنووي (١٢٣/١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤٣) كتاب الرقاق ١٣-باب المكثرون هم المقلون. وقد رواه أيضًا في الاستقراض، باب أداء الديون، وقول الله تعالى:﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ**﴾ الآية. وأعاده في الاستئذان، باب من أجاب بـــلبيك وسعديك، وفي الرقاق:"باب قول النبي ﷺ:"ما أحب أن لي مثل أحد ذهبًا". وفي بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم. وأخرجه مسلم [٣٢-(٩٩١)] كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة، وفي رقم (٣٣).

فداءك[١]. قال:"يا أبا ذر، تعال"، قال: فمشيت معه ساعةً فقال:"إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة، إلا من أعطاه الله خيرًا فنفح فيه يمينه وشماله، وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرًا[٢]". قال: فمشيت معه ساعةً، فقال لي:"اجلس ههنا". قال: فأجلسني في قاعٍ حوله حجارة. فقال لي:"اجلس ههنا حتى أرجع إليك". قال: فانطلق في الحرة حتى لا أراه، فلبث عني فأطال اللبث، ثم إني سمعته وهو مقبل وهو يقول:"وإن سرق وإن زنى". قال: فلما جاء لم أصبر حتى قلت يا نبي الله جعلني الله فداءك، من تكلم بجانب الحرة؟ ما سمعت أحدًا يرجع إليك شيئًا. قال: ذلك جبريل (عليه السلام) عرض لي في جانب الحرة، قال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة. قلت:"يا جبريل، وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم، وإن شرب الخمر[٣]".هذا مذهب أهل السنة والجماعة[٤].وأما عند الشيعة فيجوز لعن الغواة من المسلمين، قال شاعرهم كاظم الأسدي في القصيدة:

---

(١) قال النووي في قوله:"من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق قال: وإن زنى وإن سرق": فيه دلالة لمذهب أهل الحق أنه لا يخلد أصحاب الكبائر في النار، خلافًا للخوارج والمعتزلة، وخص الزنى والسرقة بالذكر؛ لكونهما من أفحش الكبائر وهو داخل في أحاديث الرجاء. وقوله:"فالتفت فرآني فقال: من هذا؟ فقلت: أبو ذر". فيه جواز تسمية الإنسان نفسه بكنيته إذا كان مشهورًا بها دون اسمه، وقد كثر مثله في الحديث.
شرح مسلم للنووي (٦٥/٧) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال النووي: المراد بالخير الأول المال، كقوله تعالى:﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أي: المال والمراد بالخير الثاني طاعة الله تعالى، والمراد بيمينه وشماله ما سبق أنه جميع وجوه المكارم والخير، ونفح بالحاء المهملة أي: ضرب يديه فيه بالعطاء والنفح الرمي والضرب.
شرح مسلم للنووي (٦٦/٧).

(٣) وأخرجه أيضًا الترمذي في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، والنسائي في اليوم والليلة، وأحمد في مسنده (١٥٢/٥).

(٤) أهل السنة والجماعة هم الذين عناهم الرسول ﷺ لما سُئل عن الفرقة الناجية فقال:"الجماعة"، وقال:"ما أنا عليه وأصحابي"، فكانت تسميتهم لذلك أهل السنة والجماعة، وأصحاب الحديث. وأهل الأهواء هم الذين لا يتابعون الكتاب، ويخالفون السنة، ويخرجون عن الإجماع، ويفرقون الأمة، ويصدق فيهم قول الله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ وجميع فرق المخالفين من الشيعة والروافض الخوارج والقدرية والمرجئة والغلاة وغيرهم، كانوا كما وصفهم الله تعالى، مفارقين للدين.

إن لعن الغواة في كل يـــــــوم
كصلاة وجوب أو كصـــــــوم
عام في فكري في حقهم أي عوم
لا تلمني يا سعد في مقت قـــوم
ما وفت حق أحمد إذ وفاهـــــا

ولو دريا ما قالا لما تعرضا لأحد ممن يلوذ بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بسوء؛ لأن ذلك ليس من الوفاء بحقه. فمن يفعله فهو من الغاوين ويستحق اللعنة إلى يوم الدين، فقد علمت وجوب لعنهم في مذهبهم لغوايتهم.

تفريع: إن هذه الآية وهي قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾[1]...الخ". عامة في أن غفران الذنوب ماعدا الإشراك بالله تعالى مناط بمشيئته تعالى عز شأنه[2]. وحينئذ يكون قوله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) المتقدم في الباب الحادي والعشرين: أيها الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني، لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة لا توهب في القيامة غدًا مخصصًا لهذه الآية فليحرر، فنسأله تبارك وتعالى السلامة من عثرات اللسان، والفوز يوم القيامة من الأهوال والامتحان.

* * *

(١) سورة النساء (٤٨). وقال ابن كثير في معنى الآية أحاديث، وقد ذكر منها: قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا أحمد بن مالك، حدثنا زائدة بن أبي الزناد النمري عن أنس بن مالك عن النبي (ﷺ) قال: الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره الله، وظلم لا يترك الله منه شيئًا: فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك وقال:﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضًا حتى يدين لبعضهم من بعض ". تفسير ابن كثير (١/٥٠٨).

(٢) روى الترمذي (٣٥٤٠) في الدعوات، عن أنس ﷺ قال سمعت رســول الله ﷺ يقول قال الله سبحانه وتعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة". وقد أخرجه أيضًا الدارمي (٢٧٩١) وقال السخاوي في تخريج الأربعين النووية هذا حديث حسن.

الخاتمة

في بيان الفروق بين قوله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) للسيدة عائشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها) في قصة الإفك:"وإن كنت ألممت ذنبًا، فاستغفري الله وتوبي إليه[(١)]". وبين قول عزيز مصر لامرأته في قصة سيدنا يوسف عليه السلام:﴿**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾[(٢)]. ليعلم أولاً أن العصمة عن اقتراف الذنوب والرذائل واجبة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلم يكن لنبي أن يشرب خمرًا، ونهى عن شربه[٣]، أو يزني ونهى عن الزنى[(٤)]، أو يرابي ونهى عن المراباة[(٥)]، أو يقامر وينهى عن المقامرة إلى غير ذلك. لاستلزام الاقتداء بفعله وعدم الإصغاء حينئذ لقوله بل يستلزم الشك في صحة قوله؛ لأن المبعوث لهم ربما يتوهمون أنه لو كان قوله صدقًا لما خالف نفسه إن كان رسولاً، فلم يكن له أن يأمر بشيء ويأتي بضده. فيأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر[(٦)] ويفعله. أو يأمر غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر، وينسى نفسه، فلا يأمرها بالمعروف ولا ينهاها عن المنكر، أو يقول ما لا يفعله فذلك كبر مقتًا عند الله وعند عبيده. إلاّ ما كان من خصائص ذلك النبي. وكذلك الرذائل، فلم يكن له أن يقترف ما يخل بالمروءة لاستلزامها الاشمئزاز من صاحبها، أو لم يرسل الله تعالى نبيًا من قوم أدنياء قط لاستلزام الدناءة الترفع على صاحبها؛ ولذا جعل عز شأنه النبوة في أشراف الخلائق[(٧)] وأفضل القبائل حتى يكون النبي عليه السلام معظمًا في

---

(١) أخرجه بطوله البخاري (٤٧٥٠) ٦٥-كتاب تفسير القرآن، ٦-باب﴿ **لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا**﴾ إلى قوله: ﴿**الْكَاذِبُونَ**﴾ و مسلم [٥٦-(٢٧٧٠)] كتاب التوبة، ١-في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف.

(٢) سورة يوسف (٢٩). قال ابن كثير: يقول لامرأته وقد كان لين العريكة سهلاً أو أنه عذرها؛ لأنها رأت ما لا صبر لها عنه، فقال لها: استغفري لذنبك، أي: الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب، ثم قذفه بما هو بريء منه﴿**إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾.تفسير ابن كثير (٤٨٦/٢).

(٣) في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾ المائدة (٩٠).

(٤) في قوله تعالى:﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾الإسراء (٣٢).

(٥) في قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِه**﴾. البقرة (٢٧٨،٢٧٩).

(٦) في قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾. النحل (٩٠).

(٧) روى أحمد في مسنده (٢٦٢/٥)، عن أبي أمامة قال: قلت: يا رسول الله، ما كان بدء أمرك؟ قال:"دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام". وروى =

قومه محترمًا بينهم، والرسول كذلك ومقتدى به في فعله ممتثلاً لأمره ونهيه، وهذا لحكمته تعالى الظاهرة إجراء ما تستلزم النبوة والرسالة من الأحكام التي تقتضيانها، وأوجدهما الله تعالى لأجلها. كما أن العصمة في تبليغ الرسالة واجبة[١] أيضًا. فلا يجوز لرسول أن يكتم شيئًا مما أمره الله تعالى بتبليغه. قالت السيدة عائـــشة الصديقة (رضي الله تعالى عنها): لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا[٢] من الوحي لكتم هذه تعني:﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾ إلى قوله...﴿**مَفْعُولاً**﴾[٣]. وأما من يخص العصمة بأمور التبليغ فقط،

الترمذي في سننه (٥/٢٤٥) عن أبي هريرة سئل النبي ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ قال:"بين آدم ونفخ الروح"، وقال الترمذي: حسن غريب.

(١) قال ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس جاء رجل فقال له رجل: إن ناسًا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يبده رسول الله ﷺ للناس، فقال ابن عباس ألم تعلم أن الله تعالى قال:﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ والله ما ورثنا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء. وقال البخاري قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم، وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من أصحابه نحو أربعين ألفًا، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: أيها الناس، أنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع إصبعه إلـــى السماء وينكسها إليهم، ويقول:"اللهم هل بلغت". تفسير ابن كثير (٢/٧٩).

(٢) قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ روى البخاري في صحيحه (٤٦١٢) كتاب تفسير القرآن، ٧-باب يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: من حدثك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أنزل عليـــه فقد كذب والله يقول:﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾الآية.

(٣) سورة الأحزاب (٣٧). يقول تعالى مخبرًا عن نبيه ﷺ أنه قال لمولاه زيد بن حارثه رضي الله عنه هو الذي أنعم الله عليه- أي: بالإسلام -ومتابعة الرسول ﷺ،"وانعمت عليه" أي: بالعتق من الرق، وكان سيدًا كبير الشأن جليل القدر حبيبًا إلى النبي ﷺ يقال له الحب، ويقال لابنه أسامه الحب ابن الحب. وروى البخاري بسنده عن أنس قال: إن هذه الآية ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ**﴾ نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثه(رضي الله عنهما)، وعن ابن أبي حاتم بسنده عن علي بن الحسين﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ**﴾فذكرت له فقال: لا، ولكن الله تعالى أعلم بنبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد رضي الله عنه يشكوها إليه قال:﴿**أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللهَ**﴾ فقال: قد أخبرتك أني مزوجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه.
تفسير ابن كثير (٣/٥٠٧).

ويُجوز أن يكون للأنبياء عليهم الصلاة والسلام عُصاة قبل النبوة وبعدها، برأهم الله تعالى من ذلك[١]. فليس من العلم في شيء أصلاً؛ ولا يلتفت لقوله لجهله بمعنى النبوة والرسالة والعصمة، ولو علم حقيقتها لقال بالتلازم.

ولذا أرسل الله تعالى نبيه سيدنا محمدًا ﷺ من خير بطون العرب، هم خير أولاد آدم وأعرقهم في النسب[٢].

واتفق أعداؤه (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) على أنه قبل النبوة لم يقترف رذيلة، ولا فعل ما يحرم مروءة، ولا عهد أحد عليه كذبة، ولا خيانة قط، فضلاً عما بعدها؛ ولذا كان ﷺ يُدعى في الجاهلية بالصادق الأمين[٣] ﷺ، وعلى صحبه أجمعين هذا مع أنه رُبي يتيمًا من الأب والأم في حجر عمه أبي طالب، وكان أميًا لا يقرأ ولا يكتب ونشأ بين أقوام يعبدون الأصنام، يدعونه للاشتراك معهم بعبادتهم[٤]. فحماه الله تعالى وعصمه فكان يتركهم

---

(١) قال ابن إسحاق بسـنده عن علي بن أبي طالب سمع رسول الله ﷺ يقول:"ما هممت بقبيح مما يهم به أهل الجاهلية إلاّ مرتين، عصمني الله فيهما، قلت ليلة لفتىً من قريش: أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان، قال: نعم، فخرجت حتى جئت أدنى دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلان تزوج، فلهوت بذلك حتى غلبتني عيني، فنمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، ثم فعلت ليلة أخرى مثل ذلك، فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته". تاريخ الإسلام في السيرة العطرة (٤٢/١).

(٢) هو النبي ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم، وقيل بين عدنان وإسماعيل تسعة أو سبعة من الأباء، والذي عليه أئمة هذا الشأن أنه: عدنان بن أدد بن مقمم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسماعيل. تاريخ الإسلام للذهبي في بداية السيرة العطرة.

(٣) قال حماد بن سلمة، عن راود بن أبي هند، عن سماك بن حرب عن خالد ابن عرعرة عن علي ﷺ قال: لما تشاجروا في الحجر أن يضعه أول من يدخل من هذا الباب، فكان أول من دخل النبي ﷺ فقالوا: قد جاء الأمين، وعن مجاهد في قصة أخرى فقال بطن من قريش: نحن نضعه، وقال: آخرون بل نحن نضعه، فقالوا: اجعلوا بينكم حكمًا، قالوا: أول رجل يطلع من الفخ، فجاء النبي ﷺ وقالوا: أتاكم الأمين، فقالوا: له فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم فأخذوا بنواحيه معه، فوضعه هو. تاريخ الإسلام في بداية السيرة العطرة.

(٤) قال ابن سعيد بسنده عن ابن عباس قال: كان بوانه صنمًا تحضره قريش، تعظمه وتنسك له النساك، ويحلقون رؤوسهم عنده ويعكفون عنده يومًا في السنة، وكان أبو طالب يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد، فيأبى حتى رأيت أبا طالب غضب، ورأيت عماته غضبن يومئذ أشد الغضب... ثم =

وشركهم ويذهب إلى غار حراء يتعبد فيه ربه ﷻ إلى أن ينزل عليه جبريل الأمين بالنبوة على رأس الأربعين، وقال له:﴿اقْرَأْ﴾، فقال: ما أنا بقارئ. وذلك معلوم لا يستدعي بيانًا[١].

وكان صدقه (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) وعدم خيانته وعدم غدره. وما ذكرنا معها من جملة العلامات التي استدل بها على نبوته. فقد روى أهل السير والحديث أنه ﷺ لما أرسل كتابًا مع سيدنا دحية[٢] (رضي الله تعالى عنه) إلى قيصر ملك الروم في القدس، وأخذ قيصر الكتاب فوجد عنوانه عربيًا، ودعـــا ترجمانه الذي يقرأ بالعربية. قال: انظروا لنا أحدًا من قومه نسأله عنه. وكان أبو سفيان بن حرب[٣] (رضي الله تعالى عنه) في غزة للتجارة مع

قال: فما زالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوبًا، فقالت: ما دهاك؟ قال: إني أخشى أن يكون بي لمم، إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح: وراءك يا محمد لا تمسه، قالت: فما عاد إلى عيد لهم حتى نُبِّئ.

تاريخ الإسلام بداية السيرة العطرة. (٤٢/١).

(١) أخرج البخاري في صحيحه(٣) ١-كتاب بدء الوحي، باب ٣-عن عائشة أم المؤمنين قالت: أول ما بدء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم... الحديث"، وفيه: وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه- وهو التعبد -الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خليجة ويتزود لمثلها، حتى جاء الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال:﴿ اقْرَأْ﴾، قال: "ما أنا بقارئ"، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: "ما أنا بقارئ"، فأخذني فغطني الثالثة... الحديث بطوله.

(٢) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن امرئ القيس ﷺ، الكلبي، الخزرجي، صحابي جليل مشهور، أخرجه له أبو داود، وتوفي في خلافة معاوية.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٢٠٦/٣)، تقريب التهذيب (٢٣٥/١)، الكاشف (٢٩٣/١)، تاريخ البخاري الكبير (٢٥٤/٣)، الجرح والتعديل (١٩٩٦/٣)، الاستيعاب (٤٦١/١)، تجريد أسماء الصحابة (١٦٥/١)، أُسد الغابة (١٥٩/٢)، الإصابة (٢٨٤/٢)، الوافي بالوفيات (١/١٤)، طبقات الحفاظ (٤٩٨)، طبقات ابن سعد (١٨٤/٤)، سير الأعلام (٥٥٠/٢)، الثقات (١١٧/٣)، أسماء الصحابة الرواة (٣٦٩).

(٣) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سفيان، أبو حنظلة، الأموي الصحابي الشهير، القرشي، صحابي شهير، أسلم عام الفتح، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، توفي سنة (٣١،٣٢،٣٤).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٤١١/٤)، تقريب التهذيب (٣٦٥/١)، الكاشف (٢٦/٢)، تاريخ البخاري الكبير (٣١٠/٤)، تاريخ البخاري الصغير (١،٤٤،٦٩،٧٠،١١٢)، الجرح والتعديل (١٨٦٩/٤)، الوافي بالوفيات (٢٨٤/١٦)، أسد الغابة (١٠/٣)، الاستيعاب (٧١٤/٢)، سير الأعلام (١٠٥/٢)،

رجال من قريش زمن هدنة الحديبية[1]. وكان وقتئذ لم يسلم.

قال أبو سفيان فأتانا رسول قيصر فانطلق بنا حتى دخلنا عليه أي: في بيت المقدس فإذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله. فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسبًا لهذا الرجل الذي خرج بأرض العرب يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان: أنا، فقال له: ادن مني. ثم أمر أصحابي فجعلواْ خلف ظهري[2]. ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي. وإنما جعلتكم خلف ظهره لتردواْ عليه كذبًا إن قاله. قال أبوسفيان: فوالله لولا الحياء يومئذ أن يردواْ عليَّ كذبًا لكذبت. ولكن استحييت فصدقت وأنا كاره[3]. وفي الرواية: لولا المخافة أن يؤثر عني الكذب لكذبت. ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قلت: هو منا ذو نسب. قال: قل له: هل كان حلافًا كذابًا، مخادعًا في أمره؟ لعله يطلب ملكًا وشرفًا، لم يكن في أهل بيته. قال: قلت لا. قال: هل كان من آبائه ملك[4]؟. قلت: لا، قال: كيف عقله ورأيه؟ قلت: لم نعب عليه

الثقات (٣/١٩٣).

(١) قال النووي قوله عن أبي سفيان انطلق من المدة التي بيني وبين رسول الله ﷺ: يعني الصلح يوم الحديبية، وكانت صلح الحديبية في أواخر سنة ست من الهجرة.
شرح مسلم للنووي (١٢/٨٨).

(٢) قال النووي: قوله عن هرقل: "إنه سأل أيهم أقرب نسبًا إلى النبي ﷺ ليسأله عنه". قال العلماء: إنما سأل قريب النسب؛ لأنه أعلم بحاله وأبعد من أن يكذب ذلك. فقال لأصحابه: إن كذبني فكذبوه أي: لاتستحيوا منه فتسكتوا عن تكذيبه إن كذب. وقوله:"وأجلسوا أصحابي خلفي" قال: بعض العلماء إنما فعل ذلك ليكون أهون عليهم في تكذيبه إن كذب؛ لأن مقابلته بالكذب في وجهه صعبة، بخلاف ما إذا لم يستقبله.
المرجع السابق (١٢/٨٨).

(٣) قوله:"لولا مخافة أن يؤثر عليَّ الكذب لكذبت" معناه: لولا خفت أن رفقتي ينقلون عني الكذب إلى قومي ويتحدثون في بلادي لكذبت عليه لبغضي إياه ومحبتي نقصه، وفي هذا بيان أن الكذب قبيح في الجاهلية كما هو قبيح في الإسلام، ووقع في رواية البخاري لولا الحياء من أن يأثرواْ عليَّ لكذبت عنه وهو بضم الثاء وكسرها.
المرجع السابق (١٢/٨٨).

(٤) قوله:"فهل كان من آبائه ملك؟" هكذا هو في جميع نسخ صحيح مسلم، ووقع في صحيح البخاري "فهل كان في آبائه من مالك"، وروى هذا اللفظ على وجهين: أحدهما: مِن بكسر الميم وملك بفتحها مع كسر اللام. والثاني: مَن بفتح الميم وملك بفتحها على أنه فعل ماض. وكلاهما صحيح، والأول أشهر وأصح، وتؤيـــده رواية مسلم بـــحذف من.

عقلاً ولا رأيًا قط. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم[١]. قال: هل يزيدون أو ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يغدر إذا عاهد. قلت: لا، ونحن الآن منه في ذمة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان حربكم وحربه؟ قلت: دول وسجال. قال: فما يأمركم به؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، وينهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصلة والزكاة. وفي لفظ: جمع بين الصلة والعفاف[٢]، ويأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة[*]. فاستدل قيصر بهذه الصفات الحميدة التي سأل عنها على رسالته ﷺ لأنها لازمة للنبوة والرسالة[٣]. ولذا كان يظهر في بادي النظر أن (قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم):﴿**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ**﴾.مثل قول عزيز مصر[٤] لامرأته:﴿**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ**﴾ وقد عدوا قول عزيز مصر المذكور من

=

المرجـــع السابق (١٢/٨٩).

(١) قال النووي: قوله:"وكذلك الرسل تُبعث في أحساب قومها". يعني: في أفضل أنسابهم وأشرفها. قيل: الحكمة في ذلك أنه أبعد انتحاله الباطل وأقرب إلى انقياد الناس له. وأما قوله: إن الضعفاء هم أتباع الرسل؛ فلكون الأشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم، والضعفاء لا يأنفون فيسرعون إلى الانقياد واتباع الحق، وأما سؤاله عن الردة فلأن من دخل على بصيرة في أمر محقق لا يرجع عنه بخلاف من دخل في أباطيل، وأما سؤاله عن العدد فلأن من طلب حظ الدنيا لا يبالي بالغدر وغيره مما يتوصل به إلى ذلك، ومن طلب الآخرة لم يرتكب غدرًا ولا غيره من القبائح.
المرجع السابق (١٢/٩٠).

(٢) قال النووي: قوله:"قلت يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف". أما الصلة: فصلة الأرحام وكل ما أمر الله به أن يوصل، وذلك بالبر والإكرام وحسن المراعاة، وأما العفاف الكف عن المحارم وخوارم المروءة. قال صاحب المحكم: العفة الكف عما لا يحل ولا يحمل، يقال: عف يعف عفة وعفافًا وعفافة، وتعفف واستعف ورجل عف وعفيف والأنثى عفيفة وجمع العفيف أعفة وأعفاء.
شرح مسلم للنووي (١٢/٩١) طبع دار الكتب العلمية.

(*) أخرجه بطوله: البخاري (٤/٢)، ومسلم في صحيحه [٧٤-(١٧٧٣)] في الجهاد والسيرة، ٢٦ـباب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

(٣) قال النووي: قوله:"إن يكن ما يقول حقًا أنه نبي". قال العلماء: هذا الذي قاله هرقل أخذه من الكتب القديمة، ففي التوراة هذا أو نحوه من علامات رسول الله ﷺ فعرفه بالعلامات، وأما الدليل القاطع على النبوة فهو المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة، فهكذا قال المازري والله أعلم.
المرجع السابق (١٢/٩١).

(٤) في قوله تعالى:﴿**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾ وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير، حدثنا العوفي عن ابن عباس وكان اسمه قطفير، وقال

=

المخل بالمروءة، وناشئًا عن عدم الغيرة والشهامة والحمية، التي هي من مقتضيات الكمال في الإنسان حتى في غيره. فإنها ممدوحة أيضًا مع أن بينهما فروقًا كثيرة، ولأجل بيانها عقدنا هذه الخاتمة راجين منه تعالى أن يمن علينا بحسن الخاتمة.

الفروق:

الفرق الأول: إن قول عزيز مصر لامرأته:﴿**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ**﴾ كان بعد ثبوت من نفسها، واتُهمت به[١]. وأن قول النبي ﷺ ذلك كان قبله.

الفرق الثاني: أن عزيز مصر قال ذلك وهو معاشر لامرأته، مع ثبوت ما اتُهمت به[٢]. وأن النبي ﷺ قاله وهو معتزل أهله من خلال تلك المدة، مع عدم ما يوجب شكًا أو وهمًا.

الفرق الثالث: أن عزيز مصر قال هذا القول وهو موقن بثبوت ما اتُهمت به امرأته[٣].

محمد بن إسحاق اسمه أطفير بن روحيب وهو العزيز، وكان على خزائن مصر، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق، قال واسم امرأته راعيل بنت رعبيل، وقال غيره: اسمها زليخا.
تفسير ابن كثير (٢/٤٨٥).

(١) في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ** ﴾ أي لما تحقق زوجها صدق يوسف وكذبها فيما قذفته ورمته به.
﴿ **قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ**﴾ :أي إن هذا البهت واللطخ الذي لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدهن.
﴿ **إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾: ثم قال آمرًا ليوسف عليه السلام بكتمان ما وقع ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا** ﴾ أي: اضرب عن هذا صفحًا أي فلا تذكره لأحد.
تفسير ابن كثير(٢/٤٨٨).

(٢) قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن هل راودتن يوسف عن نفسه؟ ﴿**قُلْنَ حَاشَ للهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**﴾ الآية، قال يوسف:﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ فقال له جبريل (عليه السلام): ولا يوم هممت بها، مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي الهزيل والضحاك والحسن وقتادة والنسري. والقول الأول أقوى (أي: أنه من كلام امرأة العزيز). لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ولم يكن يوسف (عليه السلام) عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك. تفسير ابن كثير (٢/٤٩٤).

(٣) في قوله تعالى:﴿**قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾. قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد تقول الآن تبين الحق وظهر وبرز ﴿**وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ أي: في قوله ﴿**هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي**﴾، ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة. تفسير ابن كثير (٢/٤٩٤).

وأن رسول الله ﷺ قال وهو موقن ببراءتها إذ لم تكن تخفى عليه براءتها، ولكنه حيث كان مأمورًا بالحكم والظاهر، ولم ينزل عليه في أمرها شيء جرى على مقتضى الظاهر.

فقال: فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت ذنبًا فاستغفري الله وتوبي إليه.

الفرق الرابع: إن عزيز مصر قال ما قال وشريعته مقررة لمجازه من يجترم مثل ما اجترمته امرأته بعد ثبوته. وأما النبي ﷺ، فإنما قال ذلك حين لم توجب شريعته على أهله شيئًا.

الفرق الخامس: إن عزيز مصر قال ذلك والشبهة ثابتة، والتهمة متيقنة، والحق بادٍ، وأن النبي ﷺ قال ما قال لأهله، والدليل كان على جانب البراءة راجحًا، وهو أن صفوان لم يكن يدخل على أهله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) إلا معه[(١)].

بخلاف عزيز مصر، فإن ما اُتهمت به امرأته كان حاله معها على خلاف ذلك.

وإن كان الله تعالى برأ سيدنا يوسف[(٢)] (عليه السلام) وعلى آبائه الكرام.

والفرق السادس: إن أصل التهمة التي وقعت بين سيدنا يوسف (عليه السلام) وزليخا، وهي المراودة ثابتة.لم يكن فيها نزاع، وإنما النزاع كان في المراود فقال سيدنا يوسف:﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ وقالت هي: هو أراد سوءًا[(٣)].

---

(١) لما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، وقد تقدم تخريجه ففي البخاري (٤٧٥٠) ٦٥-كتاب تفسير القرآن ٦-باب﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ إلى قوله: ﴿الْكَاذِبُونَ﴾ عن عائشة وفيه: " فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أُبي بن سلول قالت: فقال: رسول الله ﷺ وهو على المنبر:" يا معشر المسلمين منْ يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي "؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا، ما كان يدخل على أهلي إلا معي "... الحديث بطوله.

(٢) قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾. قال ابن كثير: قيل هم بضربها، وقيل تمناها زوجة، وقيل هم بها لولا أن رأى برهان ربه، أي فلم يهم بها، وفي هذا القول نظر من حيث العربية حكاه ابن جرير وغيره، وأما البرهان الذي رآه ففيه أقوال أيضًا، فعن ابن عباس وسعيد ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة وأبي صالح والضحاك ومحمد بن إسحاق وغيرهم رأى صورة أبيه يعقوب عاضًا على إصبعه بفمه، وقيل عنه في رواية فضرب في صدر يوسف وقال العوفي عن ابن عباس رأى خيال الملك يعني سيده، وكذا قال محمد بن إسحاق فيما حكاه عن بعضهم إنما هو خيال قطفير سيده حين دنى من الباب. تفسير ابن كثير (٢/٤٨٦).

(٣) لما قالت امرأة العزيز ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءً ﴾ أي فاحشة ﴿إِلاَّ أَن يُسْجَنَ﴾ أي يحبس ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾أي يُضرب ضربًا شديدًا موجعًا، فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق وتبرأ مما رمته به من الخيانة، وقال ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾، وذكر أنها تبعته تجذبه إليها حتى قدت قميصه

وإن أهل النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) لما قال ذلك كانت أصل التهمة لها موهومًا فيها، وإلى جانب النفي أقرب.

الفرق السابع: أن لفظ القولين وحالهما يدلان على الفرق بينهما لأن قول عزيز مصر مصدر بطلب الإعراض من سيدنا يوسف (عليه السلام)(١).

ومختوم بالاعتراف بالخطأ، والخطأ مؤكد بأن فيه، وأن للتحقيق–فكان قولها له: ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ بعد تحققه خطأها و تأكده(٢).

بخلاف قول النبي ﷺ: فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت ذنبًا فاستغفري الله وتوبي إليه ".

فإنه مصدر بما يدل على الشك وهو "إن" ومقدم فيه ما يدل على البراءة وهو " فإن كنت بريئة(٣) "ولم يقدم ذلك إلاّ للإشارة إلى كونه هو الثابت، وأن الله سبحانه وتعالى

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾ أي من قدامه ﴿فَصَدَقَتْ﴾ أي في قولها أنه راودها عن نفسها لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه دفعته في صدره فقدت قميصه فيصح ما قالت ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ ﴾ وذلك يكون كما وقع لما هرب منها وتطلبته أمسكت بقميصه من ورائه لترده إليها فقدت قميصه من ورائه. تفسير ابن كثير(٢/٤٨٧).

(١) في قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ قال ابن كثير: ثم قال آمرًا ليوسف (عليه السلام) بكتمان ما وقع لامرأته وقد كان لين العريكة سهلاً أو أنه عذرها لأنها رأت ما لا صبر لها عنه فقال لها: استغفري لذنبك، أي الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو بريء منه، " ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾.

(٢) الخطأ مؤكد وهي اعترفت بذلك بما جاء في قوله تعالى:﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجننَّ وليكونًا من الصاغرين﴾. وفي قوله تعالى:﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وقال ابن كثير في تفسيره (٢/٤٨٨): يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز وهي مصر حتى تحدث به الناس " وقال نسوة في المدينة " مثل نساء الأمراء والكبراء ينكرن على امرأة العزيز وهو الوزير، ويعين ذلك عليها.

﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ أي تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه إلى نفسها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ أي قد وصل حبه إلى شغاف قلبها وهو غلافه.

(٣) في الرد على ذلك قالت عائشة: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي أجب عن رسول الله فقال: والله لا أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي أجيبي رسول الله ﷺ فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرًا من القرآن: والله لقد علمت لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقر في أنفسكم، فلئن قلت لكم

سيبرئها وقد برأها الله(١)، وهذه الفروق في غاية من الظهور ولا غبار عليها ولا خفاء فيها، ولم أر من تعرض لها.

فالحمد لله تعالى على أن وفقني إليها فينبغي أن يعتمد عليها، ويُرجع إليها.

ومن يرد زيادة بيان على ذلك فعليه بكتب الحديث والتفسير العربية فإنها مشحونة ببيان أخبار وسير النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم)، وأزواجه الطاهرات وسائر أهل بيته وصحابته، ومن بعدهم ممن اقتفى أثرهم، والاطلاع على ذلك يقتضي قوة معرفة باللغة العربية.

فإذا تمكن الإنسان من معرفتها ووقف على أسرارها وبلاغتها،علم محسنات هذا الدين المحمدي، وما اشتمل عليه من العدل والفضل الذين لم تحوهما شريعة قبله قط.فنسترحم من فضل مولانا السلطان المهتم بإحياء هذا الدين المحمدي، وتأييده أن يعمم تعلم اللغة العربية في المكاتب العالية والصبيانية،كما أمر بتعلم الحديث والتفسير والتوحيد فيها.

فجزاه الله تعالى عن هذا الدين خير جزاء، وحفظه وآله، وعزه، وشكوته، واقتداره، وسلطانه ما بقيت الأرض والسماء بجاه جميع الرسل والأنبياء، وخصوصًا خاتمهم سيدنا محمد (صلى الله تعالى عليه) وعلى آلهم أجمعين، فإن قلت حيث لم يثبت على السيدة عائشة الصديقة المبرأة البريئة وقوع ما اتُهمت به فلم قال لها ﷺ فاستغفري الله وتوبي إليه(٢) "؟

إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني، ولئن اعترفت بأمر الله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

تفسير ابن كثير (٢/٢٧٨).

(١) قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ. لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ. وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ سورة النور (١١-١٥).

(٢) روى مسلم في صحيحه [٤٣-(٢٧٠٣)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،١٢-باب استحباب الاستغفار والاستنكار من الذنب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه ".

قال النووي: قال العلماء: هذا حد لقبول التوبة وقد جاء في الحديث الصحيح أن للتوبة بابًا مفتوحًا فلا تزال مقبولة حتى يغلق، فإذا طلعت الشمس من مغربها أُغلق وامتنعت التوبة على من لم يكن قبل ذلك. شرح مسلم للنووي (١٧/٢٠).

فأمرها بالتوبة والاستغفار.

قلت: أما أمرها بالتوبة، فإنها قضية شرطية وقد علمت أن الشرطية لا تستلزم لوقوع أمره ﷺ إياه بالتوبة إلمامها بالذنب لا يقتضي وقوعها منها[١].

وهذا أمر منه ﷺ بمقتضى الظاهر. فإنه كما قدمنا مأمور بالحكم الظاهر، والظاهر هنا أحد شيئين، إما البراءة، وقد قال لها فسيبرئك الله.

وإما الإلمام بالذنب، وحيث لم يثبت عليها فيقيم عليها الحد[٢]، ولم يبرئها الله تعالى، أمرها بما يجب على كل مسلم يذنب أن يفعله، وهو التوبة فأمرها أن تتوب.

فإن التوبة من الذنب واجبة عقبه على الفور، ولا يجوز تأخيرها.

فإنها تجب على الفور، وهذا من جملة الأحكام المأمور بتبليغها[٣].

وقد روى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: "يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة"[٤].

---

(١) باب التوبة لا يغلق إلا بطلوع الشمس من مغربها فيما رواه مسلم وقد تقدم قبل هذا، فقد روى الترمذي في سننه (٣٥٤٢) كتاب الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد ".

(٢) حد المحصنة هو الرجم فيما رواه مسلم في صحيحه [٢٥-(١٦٧٦)] كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، ٦-باب ما يباح به دم المسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة".

(٣) وفيما تقدم من حديث مسلم قبل هذا قال النووي: في هذا الحديث إثبات قتل الزاني المحصن، والمراد رجمه بالحجارة حتى يموت وهذا بإجماع المسلمين، وقال النووي في موضوع آخر: وأجمع العلماء على وجوب جلد الزاني البكر مائة ورجم المحصن وهو الثيب ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة إلا ما حكى القاضي عياض وغيره عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام وأصحابه فإنهم لم يقولوا بالرجم، واختلفوا في جلد الثيب مع الرجم.
شرح مسلم للنووي (١٣٦/١١، ١٥٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه [٤٢-(٢٧٠٢)] كتاب الذكر والدعاء، والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، عن ابن عمر.

وقال النووي: هذا الأمر بالتوبة موافق لقوله تعالى: ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ** ﴾، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾ قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: للتوبة ثلاثة شروط أن يقلع عن المعصية وأن يندم على فعلها وأن يعزم جازمًا أن لا يعود إلى مثلها أبدًا، فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع وهو رد الظلامة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه، =

مع أنه معصوم من جميع الذنوب الصغائر والكبائر[(١)].

وأما أمره إياها بالاستغفار. فجوابه كالأول، ومع ما في هذا الإيــراد فإن الاســتغفار يستحـــب في كل حال.

وإن لم يكن ذنب، فقد صح أن النبي ﷺ كان يستغفر في كل يوم وليلة سبعون مرة. كما في صحيح البخاري[(٢)].

وروى الإمام مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه أنه ﷺ كان يستغفر الله في اليوم مائة مرة[(٣)].

وعن ابن عمر قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة:﴿**رب اغفر لي وتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم**﴾.[(٤)]

مع أنه معصوم من الذنوب الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها.

وفوائد الاستغفار وصيغه كثيرة جمة. وأفضل ما سماه النبي ﷺ سيد الاستغفار[(٥)].

=

والتوبة أهم قواعد الإسلام وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة.

شرح مسلم للنووي (١٧/٢٠) طبعة دار الكتب.

(١) روى مسلم في صحيحه [٤١-(٢٧٠٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١٢-باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، عن الأغر المزني أن رسول الله ﷺ قال:"إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة".

قال القاضي: قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه على الدوام عليه فإذا فتر عنه أو غفل عد ذلك ذنبًا واستغفر منه، قال: وقيل هو همه بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها فيستغفر لهم، وقيل سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ومحاربة العدو ومداراته وتأليف المؤلفة ونحو ذلك.

شرح مسلم للنووي (١٧/٢٠).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (٦٣٠٧) ٨٠-كتاب الدعوات، ٣-باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة،"حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: قال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول:" والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ".

وأخرجه النسائي في الكبرى (١٠٢٦٩)،وابن ماجة (٣٨١٥)، والترمذي (٣٢٥٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه [٤١-(٢٧٠٢)] كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١٢-باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، عن الأغر المزني. وأبو داود (١٥١٥) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار عن الأغر المزني والنسائي في الكبرى (١٠٢٧٦).

(٤) أخرجه أبو داود (١٥١٦) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، عن ابن عمر، والترمذي (٣٤٣٠)، والنسائي (٤٥٨) في عمل اليوم والليلة، وابن ماجة (٣٨١٤)، وابن حبان (٩٢٧) الإحسان.

(٥) كذا رواه البخاري في صحيحه (٦٣٠٦)، ٨-كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار عن شداد بن

=

وروى أبو عيسى الترمذي[١] في سننه في فوائد الاستغفار، عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي.

يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي. يا ابن آدم إنك إن أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة[٢]"

وروى أيضًا عن أبي بكر[٣] (رضي الله تعالى عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: ما أصَرَّ من استغفر، ولو فعله في اليوم سبعين مرة[٤] ".

وكذا رواه أبو داود في سننه.

وروى أبو الدرداء عن زيد[٥] مولى النبي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من قال استغفر

أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال:" سيد الاستغفار أن تقول:" اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني... الحديث " وسيأتي لفظه.

(١) أبو عيسى الترمذي هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، وقيل ابن السكن، أبو عيسى السلمي، الترمذي، الضرير البوغي،ثقة حافظ صاحب الجامع أحد الأئمة لم يخرج له أحد منهم، توفي ســنة (٢٧٥،٢٧٩).

ترجمته: تهذيب التهذيب (٩/٣٨٧)، ميزان الاعتدال (٣/٦٧٨)، لسان الميزان (٧/٣٧١)، الأنساب (٢/٣٦١-٣/٤٢)،الثقات (٩/١٥٣)، المعين (١١٧٨)، الوافي بالوفيات (٤/٢٩٤)، طبقات الحفاظ (٢٧٨)، سير الأعلام (١٣/٢٧٠)، العبر (١/٤٤٢)، الإكمال (٤/٣٩٦)، ديوان الإسلام (٥٨٧).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٥٤٠)،٤٩-كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، عن أنس بن مالك. والدارمي في سننه (٢٧٩١)، وقال السخاوي في تخريج الأربعين النووية: هذا حديث حسن.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال ابن الإمام في سلاح المؤمن رواه أبو عوانة في مسنده الصحيح من حديث أبي ذر.

انظر مختصر سلاح المؤمن (ص٢٤)- من تحقيقنا -طبعة من دار الكتب العلمية.

(٣) أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) تقدمت ترجمته من قبل.

(٤) أخرجه: أبو داود في سننه (١٥١٤)، كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار. وفي رقم (١٥١٨)، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب ".

(٥) زيد، أبو يسار، مولى النبي ﷺ، صحابي أخرج له أبو داود والترمذي ويسمى زيد بن بولا.

ترجمته: تهذيب التهذيب (٣/٤٣٠)، تقريب التهذيب (١/٢٧٨)، الكاشف (١/٣٤٢)، تاريخ البخاري الكبير (٣/٣٧٩)، الجرح والتعديل (٣/٥٧٦)، أسد الغابة (٢/٨٧)، الاستيعاب (٢/٥٥٩)، الثقات (٣/١٤٠).

الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه، غُفر له، وإن كان فر من الزحف "[١].

وقد روى السيوطي في الجامع الصغير عن البخاري[٢] والنسائي[٣]، والإمام أحمد في مسنده[٤] في فوائد الاستغفار ما نصه[٥]: أن رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) قال: من قالها يعني كلمات سيد الاستغفار، من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة[٦].

أما لفظ سيد الاستغفار الوارد عن النبي المختار (عليه أفضل صلاة، وأتم سلام، وعلى آله الأطهار) على ما رواه هؤلاء الأئمة الأخيار فهو[٧]:

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، و أبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت "[٨].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٧)، كتاب الصلاة باب في الاستغفار، عن زيد مولى النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦)،٨٠-كتاب الدعوات. ٢-باب أفضل الاستغفار، عن شداد بن أوس (ﷺ). ورقم (٦٣٢٣) ٨٠-كتاب الدعوات، ١٦-باب ما يقول إذا أصبح ، عن شداد بن أوس.

(٣) والنسائي (٢٧٩/٨-المجتبي) كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر ما صنع، عن شداد بن أوس ﷺ.

(٤) أحمد في مسنده (١٢٤/٤-١٢٥).

(٥) تقدم بلفظه من قبل.

(٦) انظر البخاري (٦٣٠٦)كتاب الدعوات،٢-باب أفضل الاستغفار، قوله تعالى: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا** ﴾ نوح (١٠-١٢).
﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ آل عمران (١٣٥).
وكرره في رقم (٦٣٢٣) في باب ما يقال إذا أصبح.

(٧) أخرجه البخاري والنسائي وأحمد، وسيأتي، وأخرجه الترمذي (٣٣٩٣)، ٤٩-كتاب الدعوات باب ١٥-منه عن شداد بن أوس ﷺ أن النبي ﷺ قال له: ألا أدلك على سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء إليك بنعمتك علي، وأعترف بذنوبي، فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، لا يقولها أحدكم حين يمسي فيأتي عليه قدر قبل أن يصبح إلا وجبت له الجنة، ولا يقولها حين يصبح فيأتي عليه قدر قبل أن يمسي إلا وجبت له الجنة،" وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٨) أخرجه: أحمد في مسنده (١٢٤/٤-١٢٥) والبخاري في كتاب الدعوات، باب فضل الاستغفار، رقم الحديث (٦٣٠٦)، وفي باب ١٦-باب مايقوله إذا أصبح، رقم الحديث (٦٣٢٣).
ورواه النسائي (٢٧٩/٨) المجتبى، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر ما صنع.

ولفظ البخاري في موضع آخر ليس فيه "لك" في "وأبوء لك بذنبي"، وهو المشهور بين الناس[١].

أقول حيث صادف إنهاء هذا الكتاب سيد الاستغفار.

أرجو منه تبارك وتعالى أن يكون ذلك فألاً لغفر ذنوبي والأوزار[٢].

وإذا أعان الله تعالى وشاء، وساعدت الأقدار سوف أحرر رسالة أخرى بعد انتهاء كتابي "التدقيق في الرد على التحقيق في مسألة الرقيق" الذي لم يتم بعد، وأُبين فيه براءة الصديق الأكبر (رضي الله تعالى عنه)، مما نسب إليه أعداؤه الشيعة كونه اعتقد بالنبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) أنه ساحر في تفسير قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾[٣].

تم الكتاب بعون الملك الوهاب

صلى الله تعالى على سيدنا وأسعدنا وسندنا (محمد وإخوانه)[*]

وآله وصحبه وسلم إلى يوم الحساب

والترمذي (٣٣٩٣) في الدعوات، باب منه وتقدم بلفظه.

وذكره ابن كثير في جامع المسانيد والسنن (١٨٩/٦-١٩٠) رقم (٤٢٣٩) عن شداد بن أوس ﷺ.

(١) نظر البخاري (٦٣٠٦) ٨٠-كتاب الدعوات، ٢-باب أفضل الاستغفار، عن شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال: سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

(٢) حديث سيد الاستغفار رُوي عن بريدة بن الحصيب أخرجه: أحمد في مسنده (٣٥٦/٥).

وأبو داود (٥٠٧٠) كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى.

وذكره ابن كثير في مسند بريدة بن الحصيب من كتاب جامع المسانيد والسنن.

(٣) سورة التوبة (٤٠).

(*) كذا بالأصل.

خاتمة المحقق

وبعد فقد انتهينا والحمد لله رب العالمين من تحقيق كتاب "الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة".

والذي قام مصنفه بتفنيد آراء الشيعة مما نسبوه إلى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق من أنها هي صاحبة حادث الإفك، أي هي التي أفكت على السيدة مارية القبطية واتهامها في خادمها في ولد النبي ﷺ سيـــدنا ابراهيم رضي الله عنه.

وللشيعة آراء غريبة ومخالفة ليس في السيدة عائشة بل في رموز الإسلام من الصحابة الكرام، وعلى رأسهم عملاقي الإسلام الصديق الأكبر أبو بكر ﷺ، والفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وطوائف الشيعة كثيرة وسوف نجملها في هذا الملخص: أئمة الشيعة من آل البيت

علي بن أبي طالب (أبو الحسن المرتضى) ٢٣ق.هـ-٤٠هـ

الفرع الحسينى الفرع الحسنى الفرع الكيساني

أولاً: الحسني هو الحسن (أبو محمد الزكي)-تُوفي (٤٩) هـ، ثم ابنه الحسن الثاني (المتوفى ٧٨) هـ.

ووالداه إبراهيم (توفي١٤٥)- ومحمد ذو النفس الزكية المتوفى (١٤٥) هـ.

ثانيًا: الفرع الكيساني: قالوا الإمامة في محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب من خولة الحنفية (تُوفي ٨١هـ).

ثم في ولديه: أبو هشام (عبد الله)، وعلي، ومن علي بن محمد بن الحنفية إلى ابنه الحسن بن علي، ثم ولده علي بن الحسن، ثم ولده الحسن بن علي.

ثالثًا:- الفرع الحسيني وهو علي بن الحسين الملقب بزين العابدين (توفي ٩٤).

ثم ولده:- محمد الباقر (توفي ١١٧)، وزيد بن على هو رأس الشيعة الزيدية المتوفى (١٢١)، ومن زيد ولداه يحيى وعيسى.

ومن محمد الباقر:جاء ولده جعفر الصادق (المتوفى ١٤٨).

ثم من جعفر الصادق:

١-إسماعيل (تُوفي ١٣٢) وولده محمد المكتوم (تُوفي ١٩٨).

٢-عبد الله الأفطح، ٣-إسحاق، ٤-محمد الديباج،

٥-موسى الكاظم(تُوفي ١٨٣)

ومن الكاظم: على الرضا (٢٠٣)←محمد الجواد(٢٢٠)←علي الهادي(٢٥٤) ← الحسن العسكري (٢٦٠)←محمد المهدي(٢٥٦).

وخلاصة القول فقد حصر الشيعة الأئمة في آل البيت وفي الإمام على (ﷺ)ثم أولاده وركزوا على فرع الإمام الحسين[1] ﷺ.

ومنهم تشعبت فرق الشيعة المختلفة والتي نجمل طوائفها في الجدول المبين الآتي.

فرق الشيعة

الغالية	الإمامية	الزيدية
البياتية	القطعية	الجارودية
الجناحية	الكيسانية	السلمانية
الخربية	الكربية	الصالحية
المغيرية	الراوندية	البترية
المنصورية	الابومسلمية	النعيمية
الخطابية	الرازمية	اليعقوبية
المعمرية	الحربية	
البزيغية	البيلقية	
العميرية	المغيرية	
المفضلية	الحسينية	
الحلولية	الكاملية	
الشريعية	المحمدية	
النميرية	الباقرية	
السبئية	الناوسية	

(١) اختاروا تسعة من ولد الحسين وهم:ــ

١ــ على زين العابدين ،٢ــ محمد الباقر ،٣ــ جعفر الصادق ، ٤ــ موسى الكاظم ، ٥ــ على الرضا ،٦ــ محمد الجواد التقي ، ٧ــ على الــهادي التقي ،٨ــ الحسن العسكري ، ٩ــ محمد المهدي ويسمى الإمام المنتظر.

المفوضية القرامطية

الذهبية المباركية

الغرابية الشميطية

الحلمانية العمارية

المقنعية الزرارية

الحلاجية الواقفية

العذافرة الإسماعلية

الموسوية

الهاشمية

اليونسية

الشيطانية

انظر موسوعة الفرق والجماعات (ص٢٦٨).

تلك هي فرق الشيعة المختلفة، ولكل طائفة منهم منهج وآراء.

وقد قمنا بتحقيق ما ورد من كتب التفاسير لأهل السنة والجماعة وكذلك كتب الصحاح المجمع عليها عند أهل السنة وكتب الرجال وغيرها.

فلله الحمد في الأولى والآخرة، ونسأل الله أن يهدينا سواء السبيل إنه نعم المولى ونعم النصير.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

المحقق: السيد يوسف أحمد

الفهرس